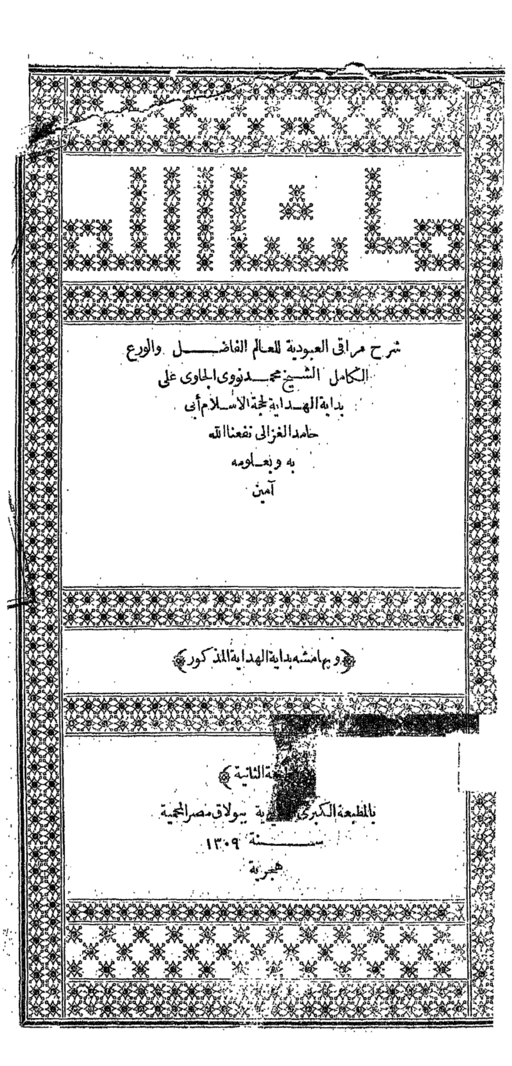
شرح مراقي العبودية

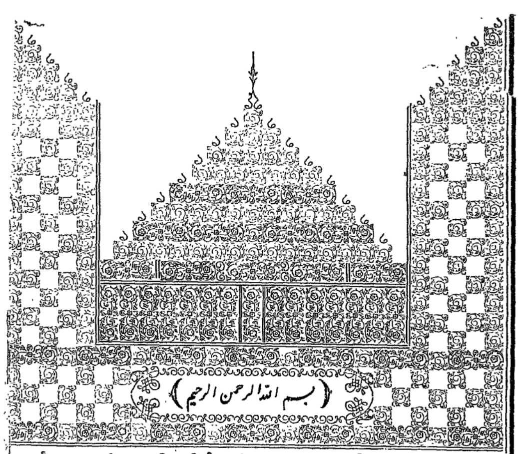




شرح مراقي العبودية للعالم الفاضل والورع
الكامل الشيخ محمد نووي الجاوي على
بداية الهداية لحجة الإسلام أبي
حامد الغزالي نفعنا الله
به وبعلومه
آمين

(وبهامشه بداية الهداية المذكور)

الطبعة الثانية
بالمطبعة الكبرى الميرية ببولاق مصر المحمية
سنة ١٣٠٩
هجرية



(بسم الله الرحمن الرحيم) قال الشيخ الامام

(الحمدلله) الذى جل وعلا أحمده لجميع الايادى والا لا وأشكره شكر من عوفى من البلا وأستغفر لى ولوالدى ولمن له حق على وللمسلمين من كل ذنب قولا وفعلا وأتوب اليه من كل معصية توبة عبد لا يملك لنفسه هدى ولا يستطيع أن يدفع عنها ضلالا وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا مماثلا وأشهد أن سيدنا محمدا نبيه ورسوله ذو المقام الاعلى وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الذى اختص الله به فضائلا وعلى آله الذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا بما قالا وأصحابه الذين فازوا بالاقتداء بالجهاد وغيره فنالوا الدرجات العلا ﴿أما بعد﴾ فهذا شرح على بداية الهداية ﴿سميته مراقى العبودية﴾ أرجو به حصول بركة الشيخ المصنف ودعاء طلبة العلم ممن يتصف وليس لى فى هذا الا الجمع من كلام العلماء الاجلاء بحسب ما أطلعنى الله عليه فاذا رأيت فيه شيأ من الخلل فن وهم صدر من سوء فهمى فالمطلوب ممن علم ذلك أن يصلحه فان بضاعتى من العلم والدين مزجاة وايمانى أضعف الايمان انقص اليقين مع ضيق الوقت وكثرة الاخوان فرحم الله امرأ رأى عيبا فستره والى الله الكريم أمد أكف الابتهال أن لا يجعله حجة على يوم ظهور الاهوال وأن ينفع به نفسى ومثلى من الجهال انه تعالى رؤف جواد يعطى النوال واليه التفويض والاعتماد وهو الهادى الى سبيل الرشاد آمين (بسم الله الرحمن الرحيم) كلمات البسملة أربع ففيها اشارة الى اعانة الله تعالى عباده المسلمين على الشيطان فانه قال لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم فأعطاهم الله تعالى هذه الكلمات الاربع لئلا يضرهم وسوسته واشارة الى أن معاصى المؤمنين فى أربعة أوجه فى السر والعلانية والليل والنهار فأعطاهم ليغفرها لهم بها ثم ان معانى الحروف أن الباء بر الله لاهل السعادة والسين ستر الله على أهل الجهالة والا محبته لاهل الاسلام والالف الفته واللام لطافته والهاء هدايته والراء رضوانه على السابقين والتائبين والحاء حلمه على المذنبين والميم منته على المؤمنين والنون نور المعرفة فى الدنيا ونور الطاعة فى العقبى فأعطاهم العبادة المتقين والياء يد الله أى حفظه على أهل السلام (قال الشيخ الامام) أى المقتدى

(العالم

(العالم العلامة) أى العالم جدّا فالهاء للمبالغة (حجة الاسلام) فالحجة من أحاط بأكثر السنة ولم يفته منها الا اليسير وأما الحافظ فهو من أحاط بمائة ألف حديث والحاكم من أحاط بثلاثة آلاف حديث (وبركة الانام) زين الدين (أبو حامد محمد بن محمد بن محمد) ولد رضى الله عنه بطوس سنة خمسين وأربعمائة وتوفى بها صبيحة يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة فكان عمره خمسا وخمسين سنة (الغزالى) بتخفيف الزاى نسبة الى غزالة قرية من قرى طوس (الطوسى) بضم الطاء نسبة الى طوس بلدة من أعمال نيسابور (قدّس الله روحه ونوّر ضريحه) أى قبره (آمين) أى استجب يا ألله (الحمد لله) أى كل حمد لله فيدخل فيه جميع المحامد التى ذكرها ملائكة العرش والكرسى وسكان أطباق السموات وجميع المحامد التى ذكرها جميع الانبياء من آدم الى محمد عليه الصلاة والسلام وجميع المحامد التى ذكرها جميع الاولياء والعلماء وجميع الخلق (حق حمده) اى أعمه وأتمه اما بالاجمال وأما بالتفصيل فيعجز الخلق عنه (والصلاة والسلام على خير خلقه محمد رسوله) الى كافة الخلق (وعبده) صاحب المناقب وقد نظم بعضها بعضهم من بحر البسيط بقوله

لم يحتلم قط طه مطلقا أبدا * وما تثاءب أصلا فى مدى الزمن
منه الدواب فلم تهرب وما وقعت * ذبابة أبدا فى جسمه الحسن
بخلفه كأمام رؤية ثبتت * ولا يرى أثر بول منه فى علن
وقلبه لم ينم والعين قد نعست * ولا يرى ظله فى الشمس ذو فطن
كتفاه قد علتا قوما اذا جلسوا * عند الولادة صف يا ذا بمختتن
هذى الخصائص فاحفظها تكن أمنا * من شر نار وسراق ومن محن

(وعلى آله وصحبه من بعده * أما بعد فاعلم أيها الحريص) أى المجتهد (على اقتباس العلم) أى استفادته من المعلم وفى نسخة اقتناص العلم بالنون ثم الصاد أى اصطياده فشبه العلم بالصيد فى كون كل يحتاج الى الحيلة والسياسة (المظهر من نفسه) وفى نسخة من نفسك بالخطاب (صدق الرغبة) أى الاقبال (وفرط التعطش) أى شدة الاشتياق (اليه) أى العلم (انك) معمول لاعلم (ان كنت تقصد بطلب العلم المنافسة) بالفاء والسين المهملة أى الرغبة فى التفرد بالعلم لانه نفيس جدّا (والمباهاة) أى الافتخار الذى هو التعاظم (والتقدم على الاقران) أى الامثال الذين يعادلونك فى طلب العلم (واستمالة) أى طلب اقبال (وجوه الناس اليك وجمع حطام الدنيا) أى متاع الدنيا الذى يصير آخره فانيا والاكرام عند السلطان (فأنت ساع) أى متصرف (فى هدم دينك واهلاك نفسك) بايقاعك على غضب الله تعالى (وبيع آخرتك بدنياك فصفقتك) أى عقدك فى ذلك البيع (خاسرة) أى ناقصة لان الدنيا فى مقابلة ثواب الآخرة لا شئ (وتجارتك) أى تصرفك فيه (بائرة) أى هالكة لا خير فيها وهذا كناية عن عدم النفع بذلك العلم (ومعلمك معين لك على عصيانك وشريك لك فى خسرانك وهو كبائع سيف من قاطع طريق) من بمعنى اللام (كما قال صلى الله عليه وسلم من أعان على معصية ولو بشطر كلمة) نحو اق من اقتل (كان) أى المعين (شريكا له فيها) وفى الحديث طلب العلم فريضة على كل مسلم وواضع العلم عند غير أهله كمقلد الخنازير الجوهر واللؤلؤ والذهب أى ان واضع العلم فى غير موضعه ظالم فيجب أن يكون العالم ناصحا فى جميع الامور يعامل كل انسان على حسب حاله كالطبيب يعالج كل مريض بما يناسب علته * وروى عن معروف الكرخى أنه قال لما مات أبو يوسف صاحب أبى حنيفة لم يكن من الناس أحد حضر جنازته لانه كان يدخل فى أمر السلطان فرأيته فى المنام قبل أن يدفن فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لى ربى قلت بماذا قال بنصحى للمتعلمين فانتبهت من النوم فشهدت جنازته (وان كانت نيتك وقصدك بينك وبين الله تعالى من طلب العلم الهداية) بأن تنوى بتحصيله ازالة الجهل عن نفسك وعن سائر الجهال واحياء الدين وابقاء الاسلام بالعلم والدار الآخرة ورضا الله تعالى وتنوى بذلك الشكر على نعمة العقل ونعمة صحة البدن (دون مجرّد الرواية) أى الحمل والنقل من العلماء (فابشر فان الملائكة تبسط لك) أى رضاء بما تطلب (أجنحتها) أى تضعها

العالم العلامة حجة الاسلام وبركة الانام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى قدّس الله روحه ونوّر ضريحه آمين * الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه من بعده (أما بعد) فاعلم أيها الحريص المقبل على اقتباس العلم المظهر من نفسه صدق الرغبة وفرط التعطش اليه انك ان كنت تقصد بطلب العلم المنافسة والمباهاة والتقدم على الاقران واستمالة وجوه الناس اليك وجمع حطام الدنيا فأنت ساع فى هدم دينك واهلاك نفسك وبيع آخرتك بدنياك فصفقتك خاسرة وتجارتك بائرة ومعلمك معين لك على عصيانك وشريك لك فى خسرانك وهو كبائع سيف من قاطع طريق كما قال صلى الله عليه وسلم من أعان على معصية ولو بشطر كلمة كان شريكا له فيها وان كانت نيتك وقصدك بينك وبين الله تعالى من طلب العلم الهداية دون مجرّد الرواية فأبشر فان الملائكة تبسط لك أجنحتها

لتكون وطاءك (اذا مشيت) وقيل ان الملائكة تظلل طالب العلم بأجنحتها (وحيتان البحر تستغفر لك اذا سعيت) أي ذهبت الى العالم وذلك لان صلاح العالم منوط بالعالم بتبليغه الاحكام الشرعية التي منها أن الحيوان يحرم تعذيبه كما أفاده العزيزي وعلامة ذلك القصد أن يكون بحث العلم في الخلاء أحب اليك من أن يكون في الملاء وأن لا تفرق بين أن ينكشف الحق على لسانك أو على لسان غيرك ﴿حكاية نفيسة﴾ وقع للعلامة منعوش المغربي في درسه أشكال وقد حضر مجلسه أئمة المذاهب الاربعة فاعترض قول الشافعي وهو اذا دخل شرط على شرط فلا يوجب الحكم الا بتقديم المؤخر نحو ان كلمت ان دخلت الدار فأنت طالق فلا يقع طلاق عنده الا بالدخول فقال ذلك الشيخ لم نر لهذا القول دليلا في كلام العرب فقال له حمدان وهو يومئذ صغير ما قاله الامام الشافعي هو الحق فزجره الناس من كل جانب لصغره فقال الشيخ دعوه فانه ليس بيننا وبين الحق خصومة وان كان من صغير ومن خصوصيتنا قبول الحق ولو من صغير ورد الصغير على الكبير في الحق بخلاف الامم السابقة اذا أخطأ الكبير لم يتجاسر أحد على الرد عليه فيصير خطؤه شريعة يعمل بها فيهلكون ثم التفت الشيخ الى حمدان وقال قل ما عندك فقال له ما تقول في قول الشاعر من بحر البسيط

ان تستغيثوا بنا ان تذعروا تجدوا * منا معاقد عز زانها كرم

فان الاستغاثة انما يحتاج لها بعد الخوف لا قبله وما قاله الشافعي هو الحق ويشهد له كلام العرب فتبسم الشيخ وفرح بذلك وقال صدقت يا ولدي ودعا له قال الشيخ حمدان ولم أكن أهلا للرد الا أني ظننت أن الامام الشافعي هو الذي حرك لساني بالكلام وما أحسن ما قيل من بحر الطويل

وكم من صغير لاحظته عناية * من الله فاحتاجت اليه الاكابر

(ولكن ينبغي) أي يطلب (لك) العبادة مع العلم والا كان علمك هباء منثورا فان العلم بمنزلة الشجرة والعبادة بمنزلة ثمرة من ثمراتها فيجب عليك أولا أن تعرف المعبود ثم تعبده وكيف تعبد من لا تعرفه بأسمائه وصفات ذاته وما يجب له وما يستحيل في نعته فربما تعتقد فيه وفي صفاته شيأ مما يخالف الحق فتكون عبادتك هباء منثورا وذلك بأن تعرف أن لك الها عالما قادرا مريدا حيا متكلما سميعا بصيرا منفردا بالقدم عن كل محدث واحدا لا شريك له متصفا بصفات الكمال منزها عن النقصان والزوال ودلالات الحدوث وأنه أرسل عبده سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فهو رسوله الصادق فيما جاء به من الاحكام وفيما أخبر به من أمور الآخرة كالحشر والنشر وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والميزان والصراط والجنة والنار والحوض والشفاعة وغير ذلك ثم يطلب منك (أن تعلم قبل) شروع (كل شئ) أي عمل مطلوب شرعا (أن الهداية) أي سلوك الطريق الى الله تعالى (التي هي ثمرة العلم لهابداية) وهي المسماة بالشريعة والطريقة (ونهاية) وهي المسماة بالحقيقة لان حقيقة الشئ منتهاه وهي ثمرة الشريعة والطريقة معا كما قاله شيخ الاسلام وثمرة الطريقة فقط على ما قاله الصاوي (وظاهر وباطن) فان كل باطن له ظاهر وعكسه فالشريعة ظاهر الحقيقة والحقيقة باطنها وهما متلازمان معنى فشريعة بلا حقيقة عاطلة أي خالية من الثمرات وحقيقة بلا شريعة باطلة أي لا غنية لا خير فيها ولا حاصل لها كما قال بعضهم نظما من بحر البسيط

بل التصوف أن تصفو بلا كدر * وتتبع الحق والقرآن والدينا

وان ترى خاشعا لله مكتئبا * على ذنوبك طول الدهر محزونا

قال الصاوي والشريعة هي الاحكام التي كلفنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله جل وعلا من الواجبات والمندوبات والمحرمات والمكروهات والجائزات وقيل هي الاخذ بدين الله تعالى والقيام بالامر والنهي والطريقة هي العمل بالواجبات والمندوبات والترك للمنهيات والتخلي عن فضول المباحات والاخذ بالاحوط كالورع وبالرياضة من سهر وجوع وصمت والحقيقة فهم حقائق الاشياء كشهود الاسماء والصفات وشهود الذات وأسرار القرآن وأسرار المنع والجواز والعلوم الغيبية التي لا تكتسب من معلم وانما تفهم عن الله كما قال تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا أي فهما في قلوبكم تأخذونه عن ربكم من غير معلم وقال تعالى

اذا مشيت وحيتان البحر تستغفر لك اذا سعيت ولكن ينبغي لك أن تعلم قبل كل شئ أن الهداية التي هي ثمرة العلم لها بداية ونهاية وظاهر وباطن

واتقوا الله ويعلمكم الله أى بغير واسطة معلم كما قال الامام مالك رضى الله عنه من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم فأفاد بهذه الكلمات الشريعة والطريقة والحقيقة فأشار بقوله علم الى الشريعة وبقوله عمل الى الطريقة وبقوله ورثه الله علم مالم يعلم الى الحقيقة انتهى (ولا وصول) لك أيها السالك (الى نهايتها) أى الهداية (الا بعد احكام) بكسر الهمزة أى اثبات (بدايتها) بأن تصحح منك البداية التى هى الشريعة مع ملازمتك لها بالجد (ولا عثور) بالثاء المثلثة أى لا علم وفى نسخة لا عبور بالباء الموحدة أى لا مرور (على باطنها الا بعد الوقوف) أى المشاهدة (على ظاهرها) ومثل بعضهم الشريعة بالسفينة والطريقة بالبحر والحقيقة باللؤلؤ فلا يحصل اللؤلؤ الا من البحر ولا يتوصل الى لجة البحر الا بالسفينة ومثل بعضهم هذه الثلاثة بالترجيل فالشريعة كالقشر الظاهر والطريقة كاللب والحقيقة كالدهن الذى فى باطن اللب فلا يحصل الدهن الا بعد دق اللب ولا يتوصل الى اللب الا بخرق القشر ويقال الشريعة عبادة وللطريقة عبودية وللحقيقة عبودة قال أبو على الدقاق العبادة للعوام من المؤمنين والعبودية للخواص والعبودة لخاص الخواص وقال شيخ الاسلام فالصابر على مراد الله وهو حامل النفس على مشاق التكليف لطلب الجزاء عليه فى مقام العبادة والراضى أى المطمئن بمراده تعالى فى مقام العبودية والعارف فى مقام العبودة (وها) للتنبيه (أنا مشير عليك) أيها المريد للخير (ببداية الهداية لتجرب بها نفسك) أى الامارة أو غيرها (وتمتحن بها قلبك) ومعنى تجرب وتمتحن واحد وهو تختبر بعد أخرى (فان صادفت) أى وجدت (قلبك اليها) أى بداية الهداية (مائلا) أى محبا (ونفسك) التى فى قلبك (بها) أى البداية (مطاوعة) أى منقادة (ولها قابلة) أى راضية فى أخذها (فدونك) أى خذ ذلك (التطلع) أى الارتقاء (الى النهايات والتغلغل) بالغينين وبالفاءين أى الدخول والسير (فى بحار العلوم) أى علوم الاسرار اللدنية التى كالبحار فى عمقها (وان صادفت قلبك عند مواجهتك) اى استقبالك (اياها) أى بداية الهداية وفى نسخة اياه أى القلب (بها مسوفا) بأن يقول القلب مرة بعد أخرى سوف أفعل ذلك (وبالعمل بمقتضاها) أى بمطلوبها (مماطلا) أى مؤخرا بوعد (فاعلم أيها الطالب) للعلم (ان نفسك المائلة الى طلب العلم هى النفس الامارة بالسوء وقد انتهضت) أى قامت النفس لطلب العلم (مطيعة للشيطان اللعين) أى المبعد من الخير (ليدليك) أى ليوصلك (بحبل غروره) بضم الغين أى خديعته (فيستدرجك) أى يأخذك قليلا قليلا (بمكيدته) أى حيلته (الى غمرة الهلاك) أى شدته (وقصده) أى الشيطان (أن يروج) أى يسلك (عليك الشر فى معرض الخير) أى مسلكه وطريقه (حتى يلحقك بالاخسرين أعمالا) أى الذين اتعبوا أنفسهم فى عمل يرجون به فضلا فنالوا هلاكا (الذين ضل) أى ضاع (سعيهم فى الحياة الدنيا) لاتباعهم الشيطان (وهم يحسبون) أى يظنون (أنهم يحسنون صنعا) أى عملا يجازون عليه لاعتقادهم أنهم على الحق (وعند ذلك) أى قصد الشيطان تسليك الشر فى طريق الخير (يتلو عليك الشيطان فضل العلم) أى النافع (ودرجة العلماء) أى العاملين بميزان الشرع (وما ورد فيه) أى العلم (من الاخبار) وهى أقوال النبى صلى الله عليه وسلم (والآثار) وهى أقوال الصحابة والتابعين كما قال صلى الله عليه وسلم نظرة الى العالم أحب الى من عبادة سنة صيامها وقيامها وقال الناس عالم ومتعلم والباقى همج أى ذباب صغير كالبعوض يقع على وجوه الحمير والغنم المهزولة وقال فضل العالم على العابد سبعون درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقال من لم يحزن بموت العالم فهو منافق فانه لا مصيبة أعظم من موت العالم وقال ان العمل القليل مع العلم ينفع وان العمل الكثير مع الجهل لا ينفع وقال عمر رضى الله عنه موت ألف عابد قائم بالليل صائم بالنهار أهون من موت عالم واحد يعلم ما أحل الله وما حرمه وان لم يزد على الفرائض وقال الربيع العلماء سرج الازمنة فكل عالم مصباح زمانه يستضىء به أهل زمانه (ويلهيك) أى يجعلك الشيطان غافلا (عن قوله صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا و) يغفلك الشيطان أيضا (عن قوله صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا) أى تعذيبا (يوم القيامة عالم لم ينفعه

ولا وصول الى نهايتها الا بعد احكام بدايتها ولا عثور على باطنها الا بعد الوقوف على ظاهرها وها أنا مشير عليك ببداية الهداية لتجرب بها نفسك وتمتحن بها قلبك فان صادفت قلبك اليها مائلا ونفسك بها مطاوعة ولها قابلة فدونك التطلع الى النهايات والتغلغل فى بحار العلوم وان صادفت قلبك عند مواجهتك اياها بها مسوفا وبالعمل بمقتضاها مماطلا فاعلم أن نفسك المائلة الى طلب العلم هى النفس الامارة بالسوء وقد انتهضت مطيعة للشيطان اللعين ليدليك بحبل غروره فيستدرجك بمكيدته الى غمرة الهلاك وقصده أن يروج عليك الشر فى معرض الخير حتى يلحقك بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وعند ذلك يتلو عليك الشيطان فضل العلم ودرجة العلماء وما ورد فيه من الاخبار والآثار ويلهيك عن قوله صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وعن قوله صلى الله عليه وسلم أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه

الله بعلمه) أي لم يعمل به رواه الطبراني وعبد الله بن عدي والبيهقي عن أبي هريرة لكن بلفظ لم ينفعه علمه (وكان صلى الله عليه وسلم يقول) كثيرا في الدعاء تعليما لامته اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع وهو ما لا يصحبه عمل أو ما لم يؤذن في تعلمه شرعا أو ما لا يهذب الاخلاق (وقلب لا يخشع) أي لذكرك ولا لسماع كلامك وهو القلب القاسي (وعمل لا يرفع) أي رفع قبول لرياء أو فقد نحو اخلاص لكون صاحبه مغضوبا عليه (ودعاء لا يسمع) أي لا يقبله الله ولا يعتد به فكأنه غير مسموع لخبث صاحبه وفي رواية لا يستجاب رواه أحمد بن حنبل ومحمد ابن حبان ومحمد بن عبد الله الحاكم عن أنس لكن باسقاط وقلب لا يخشع (و) يغفلك الشيطان أيضا (عن قوله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي) من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم قالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه) أي لا نفعله (وننهى عن الشر ونأتيه) وفي السراج المنير للشربيني روى عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الخطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب (فإياك) أي فاحذر لا فيك (يا مسكين) أي يا أيها الذليل الضعيف الذي لا فطنة له (أن تذعن) بضم التاء وكسر العين أي تنقاد (لتزويره) أي لتزيين الشيطان الكذب عليك (وتدلى) أي تصل وفي نسخة فيدليك (بحبل غروره) واذا كان تعلم العلم والسؤال عنه واجبا لقوله تعالى فاسألوا أهل الذكر أي العلم ان كنتم لا تعلمون فالعمل بالعلم بعد العلم واجب (ف) يقال (ويل) أي عذاب وهلاك أو واد في جهنم كما قاله الشربيني (للجاهل حيث لم يتعلم مرة واحدة) في عمره كله (وويل للعالم حيث لم يعمل بما علم ألف مرة) أي مثلا ويقال أيضا ويل للعالم حيث لم يعمل بما علم سبعين مرة فقوله ألف مرة يتعلق بقوله لم يعمل وكذا قوله مرة فهو متعلق بقوله لم يتعلم وهو أظهر وأحسن ويجوز أن يكون كل من الظرفين متعلقا بقوله ويل في الموضعين اذا كان بمعنى عذاب أو هلاك ولا يجوز ذلك اذا كان بمعنى واد لانه اسم ذات وحينئذ يكون عذاب العالم أعظم من عذاب الجاهل نعم هو بحسب العدد فقط دون الهيئة فيمكن أن يكون العذاب الواحد أشد من الالف بأضعاف وأيضا ان العالم اذا ترك واجبا أو فعل محرما يعذبه الله تعالى ان شاء ويكون تعذيبه تعالى له تطهيرا له كذا قال بعضهم وعلى هذا المعنى ما يقال الزبانية تسرع للعلماء غير العاملين قبل عبدة الاوثان كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم العالم حبيب الله ولو كان فاسقا والجاهل عدو الله ولو كان عابدا وحكي أن بعض الناس اختلف في شرف العالم الفاسق وشرف الجاهل العابد فخرج أحد منهم وذهب الى صومعة العابد الجاهل فقال يا عبدي قبلت دعوتك وغفرت لك ذنبك فاترك العبادة واسترح فقال العابد الهي اني أرجو منك هذا واني أحمدك وأشكرك وأعبدك من زمان كذا فصار مخطئا أو كافرا بجهله ثم ذهب أحد منهم الى العالم الفاسق فاذا هو يشرب الخمر فقال يا عبدي اتق مني وأنا ربك أستر ذنبك وأنت لا تستحيي مني فاني أريد أهلاكك فسل العالم الفاسق سيفه وخرج من مكانه فقال يا ملعون أنت لا تعلم ربك فاني أعلم ربك الآن ففر ذلك القائل فعلم بذلك شرف العلم وأهله (واعلم) أيها المريد لطلب العلم (ان الناس في طلب العلم على ثلاثة أحوال) أي مراتب (رجل طلب العلم ليتخذه) أي ليجعله (زاده الى المعاد) أي الآخرة فانها معاد الخلق (ولم يقصد به الا وجه الله والدار الآخرة فهذا) أي الرجل (من الفائزين) أي الناجين من عذاب الله تعالى اللاحقين بالخير وعلامة عالم الآخرة ثلاثة وهي عدم طلب الدنيا بالعلم وكون قصده بالاشتغال بالعلوم نيل سعادة الآخرة فيكون معتنيا بعلم الباطن سائسا لقلبه بمجاهدة النفس وكون اعتماده في العلوم على اتباع صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وعلامة عدم طلب الدنيا بالعلم أن يكون أول عامل بالامر ومجتنب بالنهي وان يكون مجتنبا ترفه مطعم ومسكن وملبس وأن يكون منعزلا منقبضا عن مخالطة السلطان الا لنصح له أو لرد مظالم الى أربابها أو للشفاعة في مرضاة الله تعالى وأن لا يكون مسارعا الى الفتاوى كان يدل على من هو أعلم منه كما روى عن شريح بن هانئ قال أتيت عائشة

الله بعلمه وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع وعمل لا يرفع ودعاء لا يسمع وعن قوله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم قالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه فاياك يا مسكين أن تذعن لتزويره فيدليك بحبل غروره فويل للجاهل حيث لم يتعلم مرة واحدة وويل للعالم حيث لم يعمل بما علم ألف مرة واعلم أن الناس في طلب العلم على ثلاثة أحوال رجل طلب العلم ليتخذه زاده الى المعاد ولم يقصد به الا وجه الله والدار الآخرة فهذا من الفائزين

رضى الله عنها أسألها عن المسح على الخفين فقالت عليك بعلى بن أبى طالب فاسأله فانه كان يسافر مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسألناه وكما روى عن سعد بن هشام بن عامر أنه أتى ابن عباس يسأله عن وتر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس ألا أدلك على أعلم أهل الارض بوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
قال عائشة فأتها فاسألها عن ذلك وكما روى عن عمران بن حطان قال سألت عائشة عن الحرير فقالت ائت
ابن عباس فاسأله فسألته فقال سل ابن عمر فسألت ابن عمر فقال أخبرنى أبو حفص وهو عمر بن الخطاب أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما يلبس الحرير فى الدنيا من لا خلاق له فى الآخرة وهذا كله من النصيحة
(ورجل طلبه) أى العلم (ليستعين به على حياته) أى الرجل الثانى (العاجلة) أى الحاضرة (وينال به) أى العلم
(العز) أى القوة والكرم (والجاه) أى القدر والمنزلة (والمال وهو عالم بذلك) أى بسبب ذلك الغرض (مستشعر)
أى مضمر (فى قلبه ركاكة) أى ضعف (قلبه) فقوله ركاكة معمول العالم ومستشعر (وخسة) أى دناءة (مقصده)
بفتح الصاد أى مقصوده (فهذا) أى الرجل (من المخاطرين) اى المقربين أنفسهم على خطر هلاك (فان عاجله)
أى أخذه بلا مهلة (أجله) أى وقته الذى يموت فيه (قبل التوبة) من ذلك الغرض (خيف عليه سوء الخاتمة)
وهو الموت بغير الايمان نعوذ بالله منها (وبقى أمره) أى حاله (فى خطر المشيئة) لله تعالى فان شاء عفا عنه والا فلا
(وان وفق) بالبناء للمفعول أى وجه (للتوبة قبل حلول) أى انتهاء (الاجل) أى مدة الموت (وأضاف) أى
ضم (الى العلم العمل وتدارك مافرط) أى قصر (فيه من الخلل) أى الفساد فى أمره (التحق بالفائزين فان
التائب) الفاء للتعليل (من الذنب كمن لا ذنب له) كما فى الحديث (ورجل ثالث استحوذ) أى غلب (عليه
الشيطان فاتخذ علمه ذريعة) أى وسيلة (الى التكاثر) أى المكاثرة (بالمال والتفاخر) أى المباهاة (بالجاه
والتعزز) أى صيرورة القوة (بكثرة الاتباع) بفتح الهمزة جمع تبع كسبب وأسباب (ويدخل بعلمه كل مدخل)
أى يمكر بعلمه مكرا كثيرا قال تعالى ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم أى مكرا وخديعة (رجاء أن يقضى) أن
يبلغ وينال (من الدنيا وطره) أى حاجته (وهو) أى الرجل الثالث (مع ذلك) أى جعل العلم وسيلة الى تلك
الاغراض (يضمر فى نفسه) أى قلبه (انه عند الله بمكانة) بالتاء المربوطة كما قاله شيخنا يوسف السنبلاوينى أى
عظامة وارتفاع وهو مصدر مكن بضم الكاف كذا فى المصباح وذكر الجوهرى فى فصل الكاف ان المكانة بمعنى
المنزلة وهو من كان وفى فصل الميم بمعنى الاستقامة وهو من مكن (لاتسامه) لاتخاذه سمة أى علامة لنفسه
(بسمة العلماء) أى بعلامتهم (وترسمه) أى تصوره (برسومهم) أى بصورتهم (فى الزى) بكسر الزاى أى اللباس
والهيئة (والمنطق) أى الكلام وهو مصدر ميمى (مع تكالبه) أى تواثبه ومسارعته (على الدنيا ظاهرا وباطنا
فهذا) أى الرجل الثالث (من الهالكين ومن الحمقى) بفتح الحاء وسكون الميم وبالقصر جمع أحمق وحمق بكسر
الميم هما للمذكر وحمقاء بالمد للمؤنث كما فى الصحاح ومعنى الحمق بفتحتين أو بضم فسكون وهو مصدر قلة العقل
وفساده وماضيه حمق بكسر الميم أو ضمها ومصدر المضموم حماقة أيضا (المغرورين) أى المخدوعين بالشيطان
(اذ الرجاء منقطع عن توبته) أى لان توبته لا ترجى لفوت قصده عليها والمنقطع بفتح الطاء اسم معنى وأما المنقطع
بكسرها فهو اسم عين (لظنه أنه من المحسنين) أى العاملين بعلومهم (وهو) أى الرجل الثالث (غافل عن
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون وهو) أى هذا الرجل (ممن) أى من بعض من (قال فيهم)
أى فى حقهم (رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال) وفى رواية غير الدجال
أخوفنى عليكم وفى رواية بحذف نون الوقاية أى أخوف مخوفاتى عليكم وأخوف خبر غير وهو أفعل تفضيل
وانما دخل النون فيه لمشابهته لفعل التعجب (فقيل) أى لرسول الله (وما هو) أى غير الدجال (يا رسول الله
فقال علماء السوء) وهو كل منافق كثير علم اللسان جاهل القلب والعمل اتخذ العلم حرفة يتأكل بها وأبهة يتعزز
بها يدعو الناس الى الله ويفر هو منه كما قال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم
اللسان رواه احمد بن حنبل عن عمر بن الخطاب وكما قال صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف على أمتى

ورجل طلبه ليستعين به على
حياته العاجلة وينال به العز
والجاه والمال وهو عالم بذلك
مستشعر فى قلبه ركاكة حاله
وخسة مقصده فهذا من
المخاطرين فان عاجله أجله
قبل التوبة خيف عليه
من سوء الخاتمة وبقى
أمره فى خطر المشيئة
وان وفق للتوبة قبل حلول
الاجل وأضاف الى العلم
العمل وتدارك ما فرط فيه من
الخلل التحق بالفائزين فان
التائب من الذنب كمن لا ذنب
له ورجل ثالث استحوذ عليه
الشيطان فاتخذ علمه ذريعة
الى التكاثر بالمال والتفاخر
بالجاه والتعزز بكثرة الاتباع
يدخل بعلمه كل مدخل رجاء
أن يقضى من الدنيا وطره
وهو مع ذلك يضمر فى نفسه أنه
عند الله بمكانة لاتسامه بسمة
العلماء وترسمه برسومهم فى
الزى والمنطق مع تكالبه
على الدنيا ظاهرا وباطنا فهذا
من الهالكين ومن الحمقى
المغرورين اذ الرجاء منقطع
عن توبته لظنه أنه من
المحسنين وهو غافل عن قوله
تعالى يا أيها الذين آمنوا لم
تقولون ما لا تفعلون وهو ممن
قال فيهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنا من غير الدجال
أخوف عليكم من الدجال
فقيل وما هو يا رسول الله
فقال علماء السوء

وهذا لان الدجال غايته الاضلال ومثل هذا العالم وان صرف الناس عن الدنيا بلسانه ومقاله فهو داع لهم اليها باعماله وأحواله

ولسان الحال أفصح من لسان المقال وطباع الناس الى المساعدة فى الاعمال أميل منها الى المتابعة فى الاقوال فما أفسده هذا المغرور بأعماله أكثر مما أصلحه بأقواله اذ لا يستجرئ الجاهل على الرغبة فى الدنيا الا باستجراء العلماء فقد صار علمه سببا لجرأة عباد الله على معاصيه ونفسه الجاهلة مدلة مع ذلك تمنيه وترجيه وتدعوه الى أن يمن على الله بعلمه وتخيل اليه نفسه انه خير من كثير من عباد الله فكن أيها الطالب من الفريق الاول واحذر أن تكون من الفريق الثانى فكم من مسوف عاجله الاجل قبل التوبة فخسر واياك ثم اياك أن تكون من الفريق الثالث فتهلك هلاكا لا يرجى معه فلاحك ولا ينتظر صلاحك فان قلت فما بداية الهداية لأجرب بها نفسى فاعلم أن بدايتها ظاهرة التقوى ونهايتها باطنة التقوى فلا عاقبة الا بالتقوى ولا هداية الا للمتقين والتقوى عبارة عن امتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه فهما قسمان وها أنا أشير عليك بجمل مختصرة من ظاهر علم التقوى فى القسمين جميعا وألحق قسما ثالثا ليصير هذا الكتاب جامعا مغنيا والله المستعان ((القسم الاول فى الطاعات)) اعلم أن أوامر الله تعالى فرائض ونوافل فالفرائض رأس المال وهو أصل التجارة وبه تحصل النجاة والنفل هو الربح وبه

الائمة المضلون رواه الامام أحمد والطبرانى عن أبى الدرداء أى ان من أخوف شئ أخافه على أمتى ذلك (وهذا) أى بيان هذا الحديث (لان الدجال غايته الاضلال) فلا يخفى على أحد من المؤمنين (ومثل هذا العالم وان صرف الناس عن الدنيا) أى عن حبها (بلسانه ومقاله فهو داع لهم اليها) أى الى حبها ز (باعماله وأحواله ولسان الحال أنطق) أى أوضح دلالة الى المراد وفى بعض النسخ أفصح أى أظهر (من لسان المقال وطباع الناس الى المساعدة) بالسين المهملة ثم بالعين أى المعاونة (فى الاعمال أميل) أى أكثر ميلا (اليها من المتابعة فى الاقوال) فقوله ولسان الحال فى مقام التعليل لما قبله وكذا قوله وطباع الناس فهو أيضا فى مقام التعليل وقوله الى المساعدة متعلق باميل وقوله اليها تأكيد له وقوله من المتابعة مفضول عليه متعلق أيضا باميل (فما) أى فالذى (أفسده هذا المغرور) بالشيطان (بأعماله) الفاسدة (أكثر مما أصلحه بأقواله) المزخرفة (اذ لا يستجرئ) أى لا يشجع (الجاهل على الرغبة) أى التوجه (فى الدنيا الا باستجراء العلماء) عليها (فقد صار علمه) أى ذلك الرجل الثالث (سببا لجرأة) بضم الجيم وسكون الراء (عباد الله على) اتيان (معاصيه) من غير توقف فقوله صار الى آخره ملتصق بقوله فاتخذ علمه ذريعة الى آخره فلو أتى بهذه الجملة عقبه ثم عللها بقوله اذ لا يستجرئ الخ ثم ذكر معطوفها لكان ذلك أظهر والله أعلم (و) صارت (نفسه الجاهلة) الامارة بالسوء (مدلة مع ذلك) أى الرجل الثالث كتدلل المرأة مع زوجها والمدلة بضم الميم وكسر الدال من أدل بهمزة الصيرورة كما فى الصحاح ومعنى ذلك أن النفس صارت دلالا أى ملاعبة مع صاحبها ثم بين المصنف تدللها معه بقوله (تمنيه) أى فتارة تأمره النفس بأن يتمنى ما بعد حصوله كالجنة والثواب العظيم (وترجيه) أى وتارة تأمر نفسه بأن يترجى ما سهل حصوله كالمال وكثرة الاتباع (وتدعوه) أى وتارة تطلبه نفسه (الى أن يمن) أى يعدد (على الله بعلمه) بأن يقول يارب علمت كذا وكذا (وتخيل اليه) أى وتارة توقع النفس فى وهمه وخلده (انه خير من كثير من عباده) أى بسبب كثرة علمه (فكن أيها الطالب) للعلم (من الفريق) أى الطائفة (الاول) وهو الناجى (واحذر) أى احترز (أن تكون من الفريق الثانى) وهو المشرف على الهلاك (فكم) الفاء للتعليل أى لان كثيرا (من مسوف) أى مماطل للتوبة (عاجله) أى أسرع اليه (الاجل قبل التوبة فخسر) بالخاء المعجمة اى ضل وهلك ويجوز بالحاء المهملة بمعنى حزن وندم فى الآخرة فلم ينفعه الندم (واياك) اى احذر تلافيك (ثم اياك) تأكيد للاول (ان تكون من الفريق الثالث) وهو الهالك الذى تدللت معه نفسه (فتهلك) بالنصب لانه جواب الامر وهو فى الحقيقة جواب الشرط المقدر والتقدير وان لم تحذر فتهلك (هلاكا لا يرجى معه فلاحك) اى نجاتك (ولا ينتظر صلاحك) اى خيرك وصوابك (فان قلت) لى (فما بداية الهداية) التى ذكرتها سابقا (لأجرب بها نفسى) الامارة وغيرها فهل تقبلها او تمطلها (ف) أقول لك (اعلم) أيها السائل المريد للخير (ان بدايتها) اى الهداية (ظاهرة التقوى ونهايتها باطنة التقوى فلا عاقبة) اى لا غنيمة (الا بالتقوى ولا هدى) اى رشاد (الا للمتقين) اى المتصفين بالتقوى (والتقوى عبارة عن امتثال) اى اقتداء (أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه) أى مناهيه كما فى نسخة وسمى ذلك تقوى لانه يقى أى يحفظ صاحبه من المهالك الدنيوية والاخروية (فهما) أى الامتثال والاجتناب (قسمان وها) للتنبيه (أنا أشير عليك بجمل) بفتح الميم جمع جملة بسكونها (مختصرة) أى موجزة فى العبارة (من ظاهر علم التقوى فى) هذين (القسمين جميعا) وهو آداب فى الطاعات وآداب فى ترك المعاصى (وألحق) اى أتبع (قسما ثالثا) وهو آداب الصحبة (ليصير هذا الكتاب جامعا) اى لجميع المعاملة مع الله تعالى ومع الخلق (مغنيا) اى عن الكتب التى لم تذكر أحد هذه الاقسام الثلاثة أو عن الكتب المبسوطات (والله المستعان) على أداء الخيرات وترك المنكرات

((القسم الاول) من قسمى معنى التقوى (فى الطاعات) ❁ اعلم أن أوامر الله تعالى) نوعان (فرائض ونوافل فالفرض رأس المال) اى أصله (وهو أصل التجارة وبه تحصل النجاة) من المهالك (والنفل هو الربح وبه

(الفوز) أى الظفر (بالدرجات) وهى الطبقات من المراتب (قال صلى الله عليه سلم يقول الله تبارك) أى تزايد احسانه (وتعالى) أى تنزه عما لا يليق به أى فى الحديث القدسى والكلام الانسى (ما تقرب الىّ المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم) وفى رواية للبخارى وما تقرب الىّ عبد بشىء أى من الطاعات أحب الىّ مما افترضته عليه أى من أداء ذلك ودخل تحت هذا اللفظ جميع فرائض العين والكفاية وشمل الفرائض الظاهرة فعلا كالصلاة والزكاة وغيرهما من العبادات وتركا كالزنا والقتل وغيرهما من المحرمات والباطنة كالعلم بالله والحب له والتوكل عليه والخوف منه (ولا يزال العبد يتقرب) أى يتحبب (الىّ بالنوافل) أى التطوع من جميع صنوف العبادات (حتى أحبه) بضم أوّل الفعل لان الذى يؤدى الفرض قد يفعله خوفا من العقوبة ومؤدى النوافل لا يفعلها الا ايثارا للخدمة فلذلك جوزى بالمحبة التى هى غاية مطلوب من يتقرب بخدمته والمراد بالنوافل هى النوافل الواقعة ممن أدى الفرائض لا ممن ترك شيأ منها كما قال بعض الاكابر من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور (فاذا أحببته) أى أظهرت حبى له بعد تقربه الىّ بما ذكر فان حبه تعالى قديم غير حادث (كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها) أى كنت حافظا أعضائه وحامى أجزائه أن يتحرك بغير رضائى وأن يسكن بغير طاعتى وهنا معنى أدون من ذلك وهو أنه لا يسمع الا ذكرى ولا ينظر الا فى عجائب ملكوتى ولا يتلذذ الا بتلاوة كتابى ولا يأنس الا بمناجاتى ولا يمد يده الا بما فيه رضائى ولا يمشى برجله الا فى طاعتى والحاصل أن من اجتهد بالتقرب الى الله تعالى بالفرائض ثم بالنوافل قربه الله تعالى اليه ورقاه من درجة الايمان الى درجة الاحسان فيصير يعبد الله تعالى على الحضور والشوق اليه تعالى حتى يصير مشاهدا له تعالى بعين البصيرة فكأنه يراه تعالى فحينئذ يمتلئ قلبه بمعرفته ومحبته ثم لا تزال محبته تتزايد حتى لا يبقى فى قلبه غيرها فلا تستطيع جوارحه أن تنبعث الا بموافقة ما فى قلبه وهذا هو الذى يقال فيه لم يبق فى قلبه الا الله أى معرفته ومحبته وذكره (وان تصل أيها الطالب) للدرجة العالية (الى) مقام الاحسان الذى هو حقيقة (القيام بأوامر الله تعالى الا بمراقبة قلبك وجوارحك) وهو دوام ملاحظتك أى اشتغال قلبك واستغراق أعضائك مع الله تعالى (فى) دوام (لحظاتك) بعينك (وأنفاسك من حين تصبح الى حين تمسى) فاذا أردت المراقبة (فاعلم أن الله تعالى مطلع) أى عالم (على ضميرك) أى قلبك (ومشرف) أى ناظر (على ظاهرك وباطنك ومحيط) أى بعلم تام (بجميع لحظاتك وخطراتك) فى بالك (وخطواتك) برجليك (وسائر سكناتك) فى المعاصى والطاعات (وحركاتك) فى ذلك (وأنك فى مخالطتك) مع الناس (وخلواتك) بنفسك (متردد) وحاضر (بين يديه) تعالى (فلا يسكن فى الملك والملكوت) أى الملك العظيم والتاء للمبالغة والمراد بذلك فى الارض والسماء (ساكن ولا يتحرك) فى ذلك (متحرك الا وجبار السموات والارض مطلع عليه) أى على كل من الساكن والمتحرك (يعلم) سبحانه وتعالى (خائنة الاعين) أى خيانتها التى هى أخفى ما يقع من أعمال الظاهر وهو الاشارة بالعين كذا قاله الشربينى ويصح أن يكون ذلك من اضافة الصفة للموصوف أى العين الخائنة بمسارقتها النظر الى ما لا يحل (وما تخفى الصدور) أى القلوب من العزم على فعل المعصية والطاعة (ويعلم السر وأخفى) قال ابن عباس السر ما تسره فى نفسك وأخفى من السر هو ما يلقيه الله تعالى فى قلبك من بعد ولا تعلم أنك ستحدث به نفسك لانك تعلم ما تسر اليوم ولا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما أسررت اليوم وما تسر غدا قال بعض المشايخ فاذا داوم العابد على هذا الذكر وهو الله شاهدى الله حاضرى الله مطلع علىّ أعانه الله تعالى على المراقبة المذكورة انتهى وقد أرشد المصنف بذلك العابد الى أن يأتى بعبادته على الوجه الاكمل من اخلاص وفراغ قلب من شواغل الدنيا ومن تمكن من تلك المراقبة فى عبادته عالما بأنه يناجى ملك الملوك ذهب عنه الوسواس الصادر عن الجهل بمسالك الشريعة وتدبر معانى ما يقول فاذا كانت عبادته كذلك انفتح له فيها من المعارف ما يقصر عن وصفه كل عارف (فتأدب أيها المسكين ظاهرا وباطنا) أى بالجوارح والقلب بمحاسن الاخلاق

الفوز بالدرجات قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى ما تقرب الىّ المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال العبد يتقرب الىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولن تصل أيها الطالب الى القيام بأوامر الله تعالى الا بمراقبة قلبك وجوارحك فى لحظاتك وأنفاسك من حين تصبح الى حين تمسى فاعلم أن الله تعالى مطلع على ضميرك ومشرف على ظاهرك وباطنك ومحيط بجميع لحظاتك وخطراتك وخطواتك وسائر سكناتك وحركاتك وأنك فى مخالطتك وخلواتك متردد بين يديه فلا يسكن فى الملك والملكوت ساكن ولا يتحرك متحرك الا وجبار السموات والارض مطلع عليه يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ويعلم السر وأخفى فتأدب أيها المسكين ظاهرا وباطنا

و بمخالفة مرادات النفس المنهى عنها من حب الدنيا والرياسة فى مخالطة الناس وفى الانفراد بنفسك (بين يدى الله تعالى تأدب العبد) أى خادم الملك أو واحد من رعيته (الذليل) أى بين الذل (المذنب) أى متحمل الذنب (فى حضرة الملك) أى متولى السلطنة (الجبار) أى الذى يقتل عند الغضب (القهار) أى الذى قهر رعيته فلا يقدر أحد على دفع مراده قال بعضهم اذا أردت أن تفعل شيأ فاعلم أولا أن الله تعالى حاضر وناظر فان كان ذلك الشئ خيرا فافعله بالخضوع أى التذلل فى الاعضاء والخشوع أى خفض الصوت رعاية وتعظيما لله تعالى والا فاتركه خوفا من الله وعذابه (واجتهد) أى فابذل طاقتك فى (أن لا يراك مولاك حيث) أى فى موضع (نهاك ولا يفقدك حيث) أى فى موضع (أمرك) أى ابذل وسعك فى تحصيل اجتناب المعاصى وتحصيل أداء الطاعات لتصل الى نهاية المطلوب (ولن تقدر على ذلك) الاجتهاد (الا بأن توزع) أى تقسم (أوقاتك وترتب أورادك) أى وظائفك (من صباحك الى مسائك فاصغ) أى مل (الى ما يلق) أى ما يبلغ (اليك من أوامر الله تعالى) المطلوبة (عليك من حين تستيقظ من منامك الى وقت رجوعك الى مضجعك) حتى تنام

﴿فصل فى آداب الاستيقاظ من النوم﴾ أى وآداب اللبس هذه الترجمة ساقطة فى بعض النسخ (فاذا استيقظت) أى أردت الاستيقاظ (من النوم) لتحصيل الفضيلة العظمى (فاجتهد) فى طلب (أن تستيقظ قبل طلوع الفجر) لتصلى أول الوقت لان التغليس أولى من التنوير لان الانسان اذا شرع فى الصلاة من أول الوقت وفى ذلك الوقت ظلمة كانت ملائكة الليل حاضرة ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراءة حتى ظهر الضوء كانت ملائكة النهار حاضرة أيضا وهم يشهدون صلاته وأيضا الانسان اذا شرع فى صلاة الصبح من أول هذا الوقت وامتد القراءة ففى أثناء هذا الوقت ينقلب العالم من الظلمة الى الضوء فالظلمة مناسبة للموت والعدم والضوء مناسب للحياة والوجود فالانسان لما قام من منامه فكأنه انتقل من الموت الى الحياة ومن العدم الى الوجود ومن السكون الى الحركة وهذه الحالة العجيبة تشهد العقول بأنه لا يقدر على هذا التقليب الا الخالق بالحكمة فحينئذ يستنير العقل بنور هذه المعرفة ويتخلص من مرض قلبه فان أكثر الخلق وقعوا فى أمراض القلوب وهى حب الدنيا والحرص والحسد والتفاخر والانبياء كالاطباء الحاذقين حملوا أممهم على الشروع فى الطاعة والعبودية من أول وقت القيام من النوم لانه مما ينفع فى ازالة هذا المرض هكذا قال الشربينى (وليكن أول ما يجرى على قلبك ولسانك ذكر الله تعالى) لخبر البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانك عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان قوله أول خبر يكن مقدم وذكر الله اسمها مؤخر (فقل عند ذلك) أى الاستيقاظ من النوم (الحمد لله الذى أحيانا) أى أيقظنا (بعد ما أماتنا) أى أنامنا (واليه النشور) أى من القبور للجزاء روى هذا التحميد البخارى عن حذيفة وأبى ذر (أصبحنا) أى دخلنا فى الصباح مملوكين لله (وأصبح) أى صار (الملك لله والعظمة) أى الكبرياء (والسلطان لله والعزة والقدرة لله رب العالمين أصبحنا على فطرة الاسلام) بكسر الفاء أى دين الحق (وعلى كلمة الاخلاص) وهى كلمة الشهادة (وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملة أبينا ابراهيم حنيفا) أى مائلا الى الدين المستقيم (مسلما وما كان من المشركين) روى هذا الذكر الاخير الامام أحمد (اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك النشور اللهم انا نسألك أن تبعثنا) أى توجهنا (فى هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك أن نجترح) أى نكتسب (فيه) أى هذا اليوم (سوأ) أى ذنبا (أو نجره الى مسلم أو يجره أحد الينا نسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه ونعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما فيه) وعن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا استيقظ أحدكم فليقل الحمد لله الذى رد على روحى وعافانى فى جسدى وأذن لى بذكره وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل ينتبه من نومه فيقول الحمد لله الذى خلق النوم واليقظة الحمد لله الذى

بين يدى الله تعالى تأدب العبد الذليل المذنب فى حضرة الملك الجبار القهار واجتهد أن لا يراك مولاك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك ولن تقدر على ذلك الا بأن توزع أوقاتك وترتب أورادك من صباحك الى مسائك فاصغ الى ما يلقى اليك من أوامر الله تعالى عليك من حين تستيقظ من منامك الى وقت رجوعك الى مضجعك

﴿فصل فى آداب الاستيقاظ من النوم﴾ فاذا استيقظت من النوم فاجتهد أن تستيقظ قبل طلوع الفجر وليكن أول ما يجرى على قلبك ولسانك ذكر الله تعالى فقل عند ذلك الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله رب العالمين أصبحنا على فطرة الاسلام وعلى كلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملة أبينا ابراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك النشور اللهم انا نسألك أن تبعثنا فى هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوأ أو نجره الى مسلم أو يجره أحد الينا نسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه ونعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما فيه

يعني سالماسويا أشهد أن الله يحيي الموتى وهو على كل شئ قدير الا قال الله تعالى صدق عبدي وعن عائشه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استيقظ من الليل قال لا اله الا أنت سبحانك اللهم أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك اللهم زدني علما ولا تزغ قلبي بعد اذ هديتني وهب لي من لدنك رحمة انك أنت الوهاب كذا ذكره النووي في أذكاره (فاذا لبست ثيابك فانوبه) أي اللبس (امتثال أمر الله تعالى) الوارد (في ستر عورتك واحذر أن يكون قصدك من) لبس (لباسك مرآة الخلق فتخسر) أي فتهلك أما لو قصدت بلبس الثياب والنعل ونحو ذلك أن يكون لك تعظيم عند الناس أو محبة عند المشايخ والائمة لتتمكن من تأييد مذهب أهل الحق ونشر العلم وحض الناس على العبادة لا لشرف نفسك من حيث هي ولا لدنيا تنالها صار ذلك الامر خيرا وصار في حكم أعمال الآخرة لان هذه نيات محمودة لا يدخل شئ منها في باب الرياء اذ المقصود من ذلك أمر الآخرة بالحقيقة كما قاله الغزالي وقال بعضهم وينبغي أن يكون العلماء وطالب العلم في زماننا هذا أحسن ثيابا وأعظم عمامة وأوسع أكماما من الجهلاء أي ليكون العلم قويا عظيما كما قال أبو حنيفة لاصحابه عظموا عمائمكم ووسعوا أكمامكم لئلا يستخف الناس بالعلم وأهله وعن سعد بن مالك بن سنان أن النبي صلى الله عليه سلم كان اذا لبس ثوبا قميصا أو رداء أو عمامة يقول اللهم اني أسألك من خيره وخير ما هو له وأعوذ بك من شره وشر ما هو له وعن معاذ بن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لبس ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر الله ما تقدم من ذنبه

﴿باب آداب دخول الخلاء﴾

أي وما معه (فاذا قصدت بيت الماء) وهو مكان قضاء الحاجة من بول وغائط (لقضاء الحاجة) أي وغيره (فقدم في الدخول رجلك اليسرى) أو بدلها لو قطعت (وفي الخروج رجلك اليمنى) ومثل بيت الماء كل ما ليس شريفا ولو خرج من مستقذر الى مستقذر قدم يساره كذا أفاده الوناني (ولا تستصحب) أي لا تلازم (شيأ) معظما وان كتب بقلم هندي كأن كان (عليه اسم الله تعالى ورسوله) وحمله مكروه فيه والحروف ليست معظمة لذاتها (ولا تدخل) فيه (حاسر الرأس) أي كاشفه بلا ستر ويكفي في الأدب ستره بالكم للامن من أذى الجن كما أفاده الرملي (ولا حافي القدمين) أي بلا نعل وخف للتحفظ من النجاسة (وقل عند الدخول) أي المتصل لبابه وان بعد محل جلوسه عنه فان تركت حتى دخلت فقل بقلبك (باسم الله) أي أتحصن من الشيطان ولا تزد الرحمن الرحيم (أعوذ بالله) أي أعتصم بالله (من الرجس النجس) بكسر الراء في الكلمة الاولى وكسر النون في الثانية وسكون الجيم فيهما (الخبيث المخبث) بضم فسكون فكسر أي الذي يوقع الناس في الخبث أي يفرح بوقوعهم فيه (الشيطان الرجيم) أي البعيد من الرحمة وفي رواية ابن عدي اللهم اني أعوذ بك من الرجس الى آخره بلا لفظ باسم الله وهو موجود في رواية ابن أبي شيبة لكن مع التعوذ الآخر (وعند الخروج) أي الانصراف من بيت الماء بأن يكون خارجا عنه (الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني) اي باخراج الفضلة (وأبقى في ما ينفعني) وهو قوة المأكول والمشروب ويسن ان يقول عند ذلك ايضا غفرانك مرتين او ثلاثا كما افاده الوناني (وينبغي ان تعد النبل) اي ان تحضر احجار الاستنجاء من مدر وغيره والنبل بضم النون وفتح الباء جمع نبلة مثل غرف وغرفة لقوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الملاعن واعدوا النبل قبل قضاء الحاجة والجلوس له (وان لا تستنجي بالماء في موضع قضاء الحاجة) ان لم يكن معدا لذلك لئلا يعود عليه الرشاش فينجسه بخلاف المستنجي بالحجر لفقد تلك العلة وبخلاف المعد لذلك فان الاستنجاء فيه يصيره نظيفا الا ان كان فيه هواء معكوس فيكره ذلك فيه لخوف عود الرشاش (وان تستبرئ من البول) اي والغائط ايضا بعد انقطاعهما (بالتنحنح والنتر) بالتاء المثناة (ثلاثا) لقوله صلى الله عليه وسلم فلينتر ذكره ثلاث نترات يعني بعد البول وكيفية النتر أن يمسح بيسراه من دبره الى رأس ذكره ويمده بلطف ليخرج ما بقي ان كان ويكون ذلك بالابهام والمسبحة لانه يتمكن بهما من الاحاطة بالذكر وتضع المرأة أصابع يدها اليسرى على عانتها كذا

فاذا لبست ثيابك فانوبه امتثال أمر الله تعالى في ستر عورتك واحذر أن يكون قصدك من لباسك مرآة الخلق فتخسر

﴿باب آداب دخول الخلاء﴾

فاذا قصدت بيت الماء لقضاء الحاجة فقدم في الدخول رجلك اليسرى وفي الخروج رجلك اليمنى ولا تستصحب شيأ عليه اسم الله تعالى ورسوله ولا تدخل حاسر الرأس ولا حافي القدمين وقل عند الدخول باسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم وعند الخروج غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني ما يؤذيني وأبقى في ما ينفعني وينبغي أن تعد النبل قبل قضاء الحاجة وأن لا تستنجي بالماء في موضع قضاء الحاجة وأن تستبرئ من البول بالتنحنح والنتر ثلاثا

نقله البجيرمي عن شرح الروض لشيخ الاسلام لكن المراد بالنتر هنا مدّ الذكر بلطف بدليل عطف ما بعده وهو قوله (وبامرار اليد اليسرى) أى بمسحها أى بمسح ابهامها ومسبحتها (على أسفل القضيب) وهو قصبة الذكر من مجامع عروقها او بمسح البطن ونحو ذلك ويختلف الاستبراء باختلاف الناس وهو سنة ان علم أن بوله ينقطع بمجرد الخروج وواجب اذا غلب على ظنه عدم انقطاعه الا بنحو التنحنح (وان كنت فى الصحراء) أو فى البنيان (فابعد عن عيون الناظرين) بحيث لا يرى شخصك وهذا الابعاد أفضل من الابعاد عن الناس الى حيث لا يسمع للخارج منه صوت ولا يشم له ريح كما نقله الونائى عن الرملى (واستتر بشئ) يستر العورة عمن يمر عليك وان لم يكن أحد ولا يكفى الزجاج (ان وجدته) سواء وجدت هنالك ساتر القبلة أولا هذا اذا جلس فى وسط مكان واسع فان كان فى بناء مسقف أو يمكن عادة تسقيفه كفى الستر عن الاعين بذلك البناء وان تباعد عنه بأكثر من ثلاثة أذرع ان لم يكن داخله من ينظر اليه والا وجب الستر للعورة حينئذ لانه يحرم عليه كشف العورة بحضرة الناس كما قاله الونائى (ولا تكشف عورتك قبل الانتهاء الى موضع الجلوس) فاذا انتهيت اليه فاكشف ثوبك شيأ فشيأ الا أن تخاف تنجس ثوبك فترفعه بقدر حاجتك ثم اسدله كذلك قبل انتصابك (ولا تستقبل الشمس ولا القمر) بعين بول وغائط عند طلوعهما أو غروبهما بدون ساتر كسحاب ولا بأس عليك باستدبارهما (ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها) فاستقبال القبلة واستدبارها بعين الفرج الخارج منه البول أو الغائط ولو مع عدم الاستقبال بالصدر لعين القبلة بغير ساتر حال قضاء الحاجة حرام فى غير المعد لها وبساتر خلاف الاولى سواء كان بصحراء أو بناء أما فى المعد فخلاف الافضل ان سهل العدول عن القبلة والمراد باستدبار القبلة كشف دبره الى جهتها حال خروج الخارج منه فمن قضى الحاجتين معا لم يجب عليه الاستتار الا من جهة القبلة فقط ان استقبلها أو استدبرها ويشترط فى عرض الساتر أن يعم جميع ما توجه به الى القبلة ولو زجاجا وهو من السرة الى الارض سواء فى ذلك القائم والجالس فلو قضى حاجته قائما فلا بد أن يستر من سرته الى موضع قدميه صيانة للقبلة وان كانت العورة تنتهى للركبة ويشترط أن يكون بينه وبين الساتر ثلاثة أذرع فأقل بذراع الآدمى المعتدل ولا يحرم استقبال المصحف أو استدباره ببول أو غائط وان كان أعظم من القبلة لانه قد يثبت للمفضول ما لا يثبت للفاضل لكن اذا كان ذلك على وجه يعد ازدراء حرم بل قد يكون كفرا وكذا يقال فى استقبال القبر المكرم أو استدباره كذا أفاده الونائى (ولا تجلس) لقضاء الحاجة (فى متحدث الناس) وهو محل اجتماع الناس فى الشمس شتاء والظل صيفا والمراد هنا كل محل غير مملوك لاحد يقصد لغرض كمعيشة أو مقيل فيكره ذلك ان اجتمعوا الامر مباح والا فلا بل قد يجب ان لزم على ذلك دفع معصية اه (ولا تبل) أى ولا تتغوط أيضا (فى الماء) الراكد قل أو كثر ما لم يستبحر أما الجارى فلا يكره ذلك فى كثيره لقوته ويحرم ذلك فى مسبل وموقوف مطلقا وما هو واقف فيه ان قل والتفصيل انما هو فى قضاء الحاجة فى الماء نهارا أما فى الليل فيكره مطلقا جاريا كان أو راكدا مستبحرا أو لا لان الماء بالليل مأوى الجن (وتحت الشجرة المثمرة) ولو كان الثمر مباحا صيانة للثمرة الواقعة عن التلويث فتعافها الانفس ولو فى غير وقت الثمرة سواء كان الثمر مأكولا أو مشموما فيكره ذلك ما لم يعلم مجئ ما يزيل ذلك النجس عن المحل قبل وجود الثمرة من مطر أو غيره (ولا فى الجحر) وهو الثقب أى الخرق المستدير النازل فى الارض وألحقوا به السرب بفتح السين والراء وهو الشق المستطيل لما قيل ان ذلك مسكن الجن وأنهم قتلوا سعد بن عبادة رضى الله عنه لما بال فيه ويحرم قضاء الحاجة فيه اذا غلب على ظنه أن فيه حيوانا لم يندب قتله يتأذى بذلك النجس أو يموت به كما قاله الونائى (واحذر الارض الصلبة) بضم الصاد وفتحها وسكون اللام أى فى البول والغائط المائع لئلا يصيبك رشاش الخارج (ومهب الريح) أى محل هبوبها أو وقت هبوبها أى مرورها على ما قاله الرملى فلا تستقبله (احترازا من الرشاش) ان كان الخارج بولا أو غائطا رقيقا أو من عود ريحه ان كان جامدا وقال ابن حجر والشربينى المعتبر فى الكراهة هبوب الريح الغالب فى ذلك الزمن وان لم تكن هابة بالفعل اذ قد تهب بعد الشروع فى البول والغائط فيتأذى بهما (واتكئ) أى اعتمد (فى جلوسك على الرجل اليسرى)

وبامرار اليد اليسرى على أسفل القضيب وان كنت فى الصحراء فابعد عن عيون الناظرين واستتر بشئ ان وجدته ولا تكشف عورتك قبل الانتهاء الى موضع الجلوس ولا تستقبل الشمس ولا القمر ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ولا تجلس فى متحدث الناس ولا تبل فى الماء الراكد وتحت الشجرة المثمرة ولا فى الجحر واحذر الارض الصلبة ومهب الريح احترازا من الرشاش لقوله صلى الله عليه وسلم ان عامة عذاب القبر منه واتكئ فى جلوسك على الرجل اليسرى

ناصباً يمناك بأن تضع أصابع اليمنى على الارض وترفع باقيها لان ذلك أسهل لخروج الخارج مع راحة الاعضاء الرئيسة كالكبد والقلب فانها في جهة اليسار فان الانسان كالجرة الملآنة فاذا أملت سهل خروج الخارج منها واذا كنت معتدلة كان في خروج الخارج عسر ولان المناسب لليمنى أن تصان عن استعمالها في هذا المحل القذر أما القائم فيعتمد على الرجلين معاً في البول والغائط كما اعتمده الشيخ عطية أخذاً من كلام المنهاج (ولا تبل) ولا تتغوط (قائماً) فذلك مكروه (الا عن) أي لاجل (ضرورة) فلا كراهة ولا خلاف الاولى لان النبي صلى الله عليه وسلم أتى سباطة قوم فبال قائماً وفي هذا الحديث ثلاثة أوجه أحدها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك لمرض منعه من القعود والثاني أنه استشفى بذلك من وجع الصلب جرياً على عادة العرب من أنهم يستشفون بالبول قياماً والثالث أنه لم يتمكن من القعود في ذلك المكان لكثرة النجاسة (واجمع في الاستنجاء) من البول والغائط (بين استعمال الحجر والماء) بتقديم الحجر وهو أفضل من الاقتصار على أحدهما ليجتنب مس النجاسة لازالة عينها بالحجر ومن ذلك حصل أصل السنة بالحجر النجس في حال الجمع روى أنه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل قباء ان الله تعالى قد أثنى عليكم في الطهور فما هو قالوا انا نستنجي بالماء وكان قبل ذلك قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى أحدكم الخلاء فليستنج بثلاثة أحجار وهكذا كان الاستنجاء في الابتداء وقيل انهم لما سئلوا عن ذلك قالوا كنا نتبع الماء الحجر كذا في عوارف المعارف (فاذا أردت الاقتصار) في الاستنجاء (على أحدهما فالماء أفضل) لان النجاسة انما تزال بالماء (وان اقتصرت على الحجر فعليك أن تستعمل ثلاثة أحجار طاهرة منشفة) أي متشربة (للعين) فلا يجزئ متنجس ولا ما فيه رطوبة وما فيه نعومة كالتراب والفحم الرخو والقصب الذي لم يشقق اذا كان غير مجذوره (تمسح) أي تعم (بها محل النجو) أي الخرء فان تعميم كل مسحة من الثلاث لكل جزء من المحل واجب بأن تضع الحجر على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة وتمرها بالمسح والادارة الى المؤخرة وتأخذ الثانية وتضعها على المؤخر كذلك وتمرها الى المقدمة وتأخذ الثالثة فتديرها حول المسربة ادارة أو تمسحها بها من المقدمة الى المؤخرة (بحيث لا تنتقل النجاسة عن موضعها) الذي أصابته عند الخروج واستقرت فيه حتى لو قمت وانضمت اليتاك وانتقلت النجاسة تعين عليك الماء وقوله بحيث الباء بمعنى في وهو متعلق بقوله ان تستعمل أما النقل المضطر اليه الحاصل من الادارة فلا يضر (وكذلك تمسح القضيب في ثلاثة مواضع من حجر) بأن تأخذ حجراً كبيراً بيمينك والذكر بيسارك وتمسح الحجر بذكرك وتحرك اليسار فتمسح ثلاث مرات في ثلاث مواضع من حجر واحد كبير أو في ثلاثة أحجار أو في ثلاثة مواضع من جدار الى أن لا ترى الرطوبة في محل المسح هكذا في الاحياء (فان) حصل الانقاء بمرتين وجب عليك الاتيان بالثالثة وان (لم يحصل الانقاء بثلاثة) من المسحات بأن بقي أثر يزيله ما فوق صغار الخزف فعليك برابع وهكذا ثم ان أنقيت المحل بوتر فواضح والا (فتمم خمسة) ان أنقيت برابعة (أو سبعة) ان أنقيت بستة وهكذا (الى أن ينقى) أي الموضع ويحصل المسح (بالايتار) أي الافراد (فالايتار) بواحدة بعد الانقاء الذي لم يحصل بوتر (مستحب والانقاء) الى أن لا يزيل الاثر الا الماء أو صغار الخزف (واجب) واعلم أن المصنف ذكر لاجزاء الاقتصار على الحجر ستة شروط شرطين في ذات الحجر وهما كونه طاهراً قالعاً لعين النجاسة وثلاثة شروط لاجزاء استعمال الحجر وهي ثلاث مسحات وتعميم المحل بكل مسحة وانقاء المحل وشرطاً واحداً للمحل الذي يستنجي فيه وهو عدم انتقال الخارج (ولا تستنج الا باليد اليسرى) بأن تأخذ الحجر بيسارك على الكيفية المذكورة وبأن تفيض الماء باليمنى على محل الخرء وتدلكه باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بحس اللمس ويكفي في ذلك غلبة ظن زوال النجاسة ولا يسن حينئذ شم اليد وينبغي الاسترخاء لئلا يبقى أثرها في تضاعيف شرج المقعدة فتنبه لذلك كذا قاله ابن حجر (وقل عند الفراغ من الاستنجاء) وبعد الخروج من محله (اللهم طهر قلبي من النفاق) أي نفاق الاعتقاد أي الاعتقاد الفاسد كاعتقاد المعتزلة فيكون المعنى أدم تطهيره منه أو نفاق العمل فيكون المعنى اقطع قلبي عن أصول

ولا تبل قائماً الا عن ضرورة واجمع في الاستنجاء بين استعمال الحجر والماء فاذا أردت الاقتصار على أحدهما فالماء أفضل وان اقتصرت على الحجر فعليك أن تستعمل ثلاثة أحجار طاهرة منشفة للعين تمسح بها محل النجو بحيث لا تنتقل النجاسة عن موضعها وكذلك تمسح القضيب في ثلاثة مواضع من حجر فان لم يحصل الانقاء بثلاثة فتمم خمسة أو سبعة الى أن ينقى بالايتار فالايتار مستحب والانقاء واجب ولا تستنج الا باليد اليسرى وقل عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق

وحصن فرجي من الفواحش وادلك يدك بعد تمام الاستنجاء بالارض أو بحائط ثم اغسلها ﴿باب آداب الوضوء﴾ فاذا فرغت من الاستنجاء فلا تترك السواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب ومسخطة للشيطان وصلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بلا سواك وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتي لامرتهم بالسواك في كل صلاة وعنه صلى الله عليه وسلم أمرت بالسواك حتى خشيت أن يكتب على * ثم اجلس للوضوء مستقبل القبلة على موضع مرتفع كي لا يصيبك الرشاش وقل بسم الله الرحمن الرحيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ثم اغسل يديك ثلاثا قبل أن تدخلهما الاناء وقل اللهم اني أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم انو رفع الحدث أو استباحة الصلاة ولا ينبغي أن تعزب نيتك قبل غسل الوجه فلا يصح وضوءك ثم خذ غرفة لفيك وتمضمض بها ثلاثا وبالغ في رد الماء الى الغلصمة الا أن تكون صائما فترفق وقل اللهم أعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة * ثم خذ غرفة لانفك واستنشق بها ثلاثا واستنثر ما في الانف من رطوبة وقل في الاستنشاق اللهم أرحني رائحة الجنة وأنت عني راض

النفاق من القوة الشهوية والغضبية (وحصن فرجي من الفواحش) أي اجعله عفيفا عن الامور التي تجاوز الحد واعلم أن التكلم ولو بغير ذكر بمجرد الدخول في محل قضاء الحاجة مكروه ولو بغير قضاء نهما كأن دخل لوضع ابريق مثلا أو لكنس الا لمصلحة ولا يكره الذكر بالقلب ويكفي في هذه الحالة الحياء من الله والمراقبة وذكر نعمة الله تعالى في اخراج هذا العدو المؤذي الذي لو لم يخرج لقتل صاحبه وهذا من اعظم الذكر ولو لم يقل باللسان كما قاله عمر البصري (وادلك يدك بعد تمام الاستنجاء بالارض أو بحائط) أي بجدار ازالة للرائحة ان بقيت (ثم اغسلها) أي اليد ومن الآداب أيضا عدم تطويل القعود بلا ضرورة وعدم العبث باليد وبالرؤية الى اليمين والشمال وعدم النظر للسماء أو الفرج أو للخارج بلا حاجة

﴿باب آداب الوضوء﴾

المراد بالآداب هنا المطلوبة فتشمل المندوبة والواجبة كما أفاده شيخنا عبد الحميد (فاذا فرغت من الاستنجاء فلا تترك السواك) وانو بالسواك السنة وتطهير الفم لقراءة القرآن وذكر الله في الصلاة كما تنوي بالجماع حصول النسل (فانه) أي السواك (مطهرة للفم) بفتح الميم وكسرها أي آلة تنظفه من الرائحة الكريهة (ومرضاة للرب ومسخطة للشيطان وصلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بلا سواك) لخبر رواه الحميدي ركعتان بسواك أفضل من سبعين ركعة بلا سواك وفي رواية ركعة بسواك تعدل سبعين ركعة ولا يدل هذا الحديث على زيادة فضل السواك على فضل الجماعة التي هي بسبع وعشرين درجة لانه لم يتحد الجزاء فيهما لان درجة واحدة من الجماعة قد تعدل كثيرا من السبعين ركعة بسواك وقال الوناني وقد يجب الاستياك لامرأة اذا أمرها زوجها وللمملوك اذا أمره سيده ولمن أكل ثوما أو بصلا يوم الجمعة وقد توقف ازالة الرائحة على السواك لاجل صلاة الجمعة اهـ (ثم) عند الفراغ من السواك (اجلس للوضوء) وهذا موافق لما في كلام الرملي والماوردي من أن محله قبل غسل الكفين خلافا للامام وابن الصلاح وابن النقيب وابن حجر والشربيني من أن محله بين غسل الكفين والمضمضة (مستقبل القبلة على موضع مرتفع كي لا يصيبك الرشاش) بفتح الراء أي المتناثر من الماء (وقل بسم الله الرحمن الرحيم) فان قلت باسم الله كفى فان تركت البسملة في أول الوضوء فأت بها في أثنائه فان فرغت فلا تأت بها لفوات محلها ثم قل الحمد لله الذي جعل الماء طهورا كذا في الاذكار (رب أعوذ بك من همزات الشياطين) أي وساوسهم (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أي ان تصيبني الشياطين بسوء كذا في الصحاح (ثم اغسل يديك) أي كفيك الى كوعيك (ثلاثا قبل أن تدخلهما الاناء وقل اللهم اني أسألك اليمن) بضم الياء أي القوة على الطاعة (والبركة) أي زيادة الخير (وأعوذ بك من الشؤم) أي الشر (والهلكة) بفتح أحرفه أو قل مثل ما نقل عن الرملي وهو اللهم احفظ بدني من معاصيك كلها (ثم انو رفع الحدث أو استباحة الصلاة) واستدم النية الى غسل الوجه ولا يقدح في نية رفع الحدث عند أول غسل الكفين ان السنن المقدمة لا ترفع الحدث لان السنن في كل عبادة تندرج في نيتها على سبيل التبعية فمعنى نية رفع الحدث قصد رفعه بمجموع أعمال الوضوء وهو رافع بلا شك كذا في حاشية الاقناع (ولا ينبغي) أي لا يجوز (أن تعزب) بضم الزاي وكسرها (نيتك) أي أن تغيب عنك ذكرا (قبل غسل) جزء من (الوجه فلا يصح وضوءك ثم خذ غرفة لفيك وتمضمض بها ثلاثا وبالغ في رد الماء الى الغلصمة) أي رأس الحلقوم وهو الموضع الناتئ في الحلق وأدر الماء في فيك ثم مجه (الا أن تكون صائما) اي أو ممسكا كتارك النية (فارفق) بضم الفاء لخوف الافطار (وقل اللهم أعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك) أو مثل ما ذكر في الاذكار وهو اللهم اسقني من حوض نبيك صلى الله عليه وسلم كأسا لا أظمأ بعده أبدا أو قل اللهم أعني على ذكرك وشكرك (ثم خذ غرفة لانفك واستنشق بها ثلاثا) وبالغ في تصعيد الماء بالنفس الى الخيشوم ما لم تكن صائما (واستنثر ما في الانف من رطوبة) وأذى بخنصر يدك اليسرى (وقل في الاستنشاق اللهم أوجدني) وفي بعض النسخ أرحني (رائحة الجنة وأنت عني راض) وفي الاذكار بدل ذلك اللهم لا تحرمني رائحة نعيمك

وجناتك

وفي الاستنثار اللهم اني اعوذبك من روائح النار وسوء الدار ثم خذ غرفة لوجهك فاغسل بها من مبتدا تسطيح الجبهة الى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الاذن الى الاذن في العرض وأوصل الماء الى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو ما بين رأس الاذن الى زاوية الجبين أعني ما يقع منه في جبهة الوجه وأوصل الماء الى منابت الشعور الاربعة الحاجبين والشاربين والاهداب والعذارين وهما ما يوازي الاذنين من مبتدا اللحية ويجب ايصال الماء الى منابت الشعر من اللحية الخفيفة دون الكثيفة وقل عند غسل الوجه اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك ولا تترك تخليل اللحية الكثيفة ثم اغسل يدك اليمنى ثم اليسرى مع المرفقين الى أنصاف العضدين فان الحلية في الجنة تبلغ مواضع الوضوء وقل عند غسل اليمنى اللهم أعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا وعند غسل الشمال اللهم اني أعوذبك أن تعطيني كتابي بشمالي او من وراء ظهري * ثم استوعب رأسك بالمسح بان تبل يديك وتلصق رؤس أصابع يدك اليمنى باليسرى وتضعهما على مقدمة الرأس وتمرهما الى القفا ثم تردهما الى المقدمة فهذه مرة تفعل ذلك ثلاث مرات وكذلك في سائر الاعضاء وقل اللهم غشني برحمتك وأنزل على من بركاتك وأظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك اللهم حرم شعري وبشري على النار ثم امسح أذنيك ظاهرهما وباطنهما بماء جديد وأدخل مسبحتيك في صماخي أذنيك وامسح ظاهر أذنيك ببطن ابهاميك

وجناتك وفي الاستنثار اللهم اني أعوذبك من روائح النار وسوء الدار لان الاستنشاق ايصال والاستنثار ازالة (ثم خذ غرفة لوجهك فاغسل بها من مبتدا تسطيح الجبهة) أي من أعلى بسطها (الى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الاذن الى الاذن في العرض وأوصل الماء الى موضع التحذيف) فهو من الرأس لاتصال شعره بشعر الرأس وبعضه من الوجه (وهو ما يعتاد النساء) والاكابر ممن له وجاهة (تنحية الشعر) أي ازالته (عنه) ليتسع الوجه (مما بين رأس الاذن) أي أصلها الذي يعلوه بياض مستور بالمرتفع منها فهو فوق الوتد قريب ليس بينه وبينه فاصل الا الجزء المنخفض فالجزء الذي فوق هذا المنخفض هو المسمى برأس الاذن (الى زاوية الجبين) أي الى ركن فوق الصدغ (أعني) بموضع التحذيف (ما) أي القدر الذي (يقع منه في جبهة الوجه) أي جانبها بأن يوضع طرف خيط على رأس الاذن والطرف الثاني على أعلى الجبهة ويجعل هذا الخيط مستقيما فما نزل عنه الى جانب الوجه الملاصق للنزعة فهو موضع التحذيف (وأوصل الماء الى منابت الشعور الاربعة الحاجبين والشاربين) الشاملين للسبالين (والاهداب والعذارين وهما ما يوازيان) أي يحاذيان (الاذنين من مبتدا اللحية) وهو ما بين الصدغ والعارض مما ينبت اولا للامرد غالبا (ويجب ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة) بأن ترى البشرة من تحتها في مجلس التخاطب دون الكثيفة والحاصل أن لحية الذكر وعارضيه وما خرج عن حد الوجه من الشعور ولو من امرأة وخنثى ان كثف وجب غسل ظاهره فقط وما عدا ذلك يجب غسله مطلقا أي ظاهرا وباطنا ولو كثيفا هذا هو المعتمد في شعور الوجه فاعتمده كذا نقله البجيرمي عن الشبراملسي (وقل عند غسل الوجه اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك) والاخصر من ذلك اللهم بيض وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه (ولا تترك تخليل اللحية الكثيفة) قبل غسل الوجه كما قاله عطية تبعا للعناني الا اذا كنت محرما فاتركه لخوف انتتاف الشعر كما اعتمده الرملي وتبعه ابن قاسم والزيادي والشبراملسي وهو بأصابع اليد اليمنى من أسفلها على الافضل ومثلها كل شعر يكفي غسل ظاهره (ثم اغسل يدك اليمنى ثم اليسرى مع المرفقين الى أنصاف العضدين فان الحلية في الجنة تبلغ مواضع الوضوء) وحرك الخاتم وخلل قبل غسلهما أصابعهما والاولى في تخليل اليد اليمنى أن يجعل بطن اليسرى على ظهر اليمنى وفي تخليل اليد اليسرى بالعكس خروجا من فعل العبادة على صورة العادة في التشبيك كذا قال البجيرمي نقلا عن الشوبري وابدأ باليمنى (وقل عند غسل اليمنى اللهم اعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا) وهو المسمى بحساب العرض (وعند غسل الشمال اللهم اني أعوذبك أن تعطيني كتابي بشمالي أو من وراء ظهري ثم استوعب رأسك بالمسح بأن تبل يديك وتلصق رأس أصابع يدك اليمنى باليسرى وتضعهما على مقدمة الرأس) وتضع ابهاميك على صدغيك (وتمرهما) أي اليدين (الى القفا ثم) ان انقلب شعرك (تردهما الى المقدمة) ليصل الماء لجميع الرأس (فهذه) أي الامرار والرد (مرة) لعدم تمام المسحة بالامرار الى القفا من غير رد الى المبدا فان لم ينقلب شعرك لضفره أو لقصره أو عدمه فلا ترد لعدم الفائدة لاستعمال الماء فيما لابد منه وهو مسح البعض الواجب فلا يحسب مرة ثانية (تفعل ذلك) أي الاستيعاب (ثلاثا وكذلك) أي فعل التثليث (في سائر الاعضاء وقل اللهم غشني) اي غطني (برحمتك وانزل على من بركاتك وأظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك) وفي الاذكار بدل ذلك اللهم حرم شعري وبشري على النار وأظلني تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك (ثم امسح أذنيك ظاهرهما) وهو ما يلي الرأس (وباطنهما) وهو ما يلي الوجه (بماء جديد) أي غير ماء بلل الرأس (وأدخل مسبحتيك) أي رأسيهما (في صماخي أذنيك) وأدرهما في المعاطف (وامسح ظاهر أذنيك ببطن ابهاميك) والوجه أشرف الاعضاء لكن فيه منافذ في بعضها ماء كوسخ الاذنين والبعض ملح كالدمع والبعض حامض كالذي في الانف والبعض عذب كالريق وجملة منافذه

وقل اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم أسمعني منادي الجنة في الجنة مع الابرار ثم امسح رقبتك وقل اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم اغسل رجلك اليمنى ثم اليسرى مع الكعبين وخلل بخنصر اليسرى أصابع رجلك اليمنى مبتدئا بخنصرها حتى تختم بخنصر اليسرى وتدخل الاصابع من أسفل وقل اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم مع أقدام عبادك الصالحين وكذلك تقول عند غسل اليسرى اللهم اني أعوذ بك أن تزل قدمي على الصراط في النار يوم تزل أقدام المنافقين والمشركين وارفع الماء الى أنصاف الساقين وراع التكرار ثلاثا في جميع أفعالك فاذا فرغت فارفع بصرك الى السماء وقل أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت عملت سوأ وظلمت نفسي أستغفرك وأتوب اليك فاغفر لي وتب علي انك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني صبورا شكورا واجعلني أذكرك ذكرا كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا فمن قرأ هذه الدعوات في وضوئه خرجت خطاياه من جميع أعضائه وختم على وضوئه بخاتم

ست العينان والاذنان والفم والانف كذا قال الشيخ عطية (وقل اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم أسمعني منادي الجنة) وهو سيدنا بلال بن رباح الحبشي (في الجنة مع الابرار) أي المطيعين لله (ثم امسح رقبتك وقل اللهم فك رقبتي) أي ذاتي (من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال) قال النووي ومسح الرقبة بدعة لا يسن كما نقل عن شرح الروض (ثم اغسل رجلك اليمنى ثم اليسرى مع الكعبين) ان وجدا ومع قدرهما ان فقدا (وخلل) قبل غسلهما أصابعهما بأي كيفية كان والافضل أن تخلل (بخنصر) اليد (اليسرى أصابع رجلك اليمنى مبتدئا بخنصرها حتى تختم بخنصر اليسرى وتدخل الاصابع من أسفل) أي أسفل الرجلين فيكون التخليل بخنصر من خنصر الى خنصر أي بخنصر اليد اليسرى ويبتدئ بخنصر الرجل اليمنى ويختم بخنصر الرجل اليسرى وادلك أعضاءك المغسولة بعد افاضة الماء عليها وبالغ في العقب خصوصا في الشتاء (وقل اللهم ثبت قدمي) بكسر الميم وهو مفرد مضاف فيعم الاثنين ولو أريد المثنى لقيل (٢) قدماي بالالف بعد الميم (على الصراط المستقيم يوم تزل الاقدام في النار وقل عند غسل اليسرى اللهم اني أعوذ بك أن تزل قدمي على الصراط يوم تزل أقدام المنافقين في النار) والاخصر من ذلك ما في الاذكار للنووي وهو أن تقول عند غسل الرجلين اللهم ثبت قدمي على الصراط (وارفع الماء الى أنصاف الساقين وراع التكرار ثلاثا في جميع أفعالك) من الغسل والمسح والتخليل والدلك والسواك وسائر الاذكار كالبسملة والتلفظ بالنية كما نقله عطية عن الشبراملسي والتشهد آخر الوضوء وأما دعاء الاعضاء فقال النووي لم يجئ فيه شئ عن النبي صلى الله عليه وسلم وانما هي دعوات جاءت عن السلف الصالحين وزادوا ونقصوا فيها وقال ابن حجر ورد ذلك من طرق لا تخلو من كذاب لكن الحلي والرملي الكبير والصغير اعتمدوا استحبابه لوروده في تاريخ ابن حبان وغيره وان كان ضعيفا لان الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الاعمال فشرط العمل بالحديث الضعيف عدم شدة ضعفه وأن يدخل تحت أصل عام وأن يكون في العبادات (فاذا فرغت) أي من التطهر (فارفع بصرك الى السماء) ولو كنت أعمى وارفع يديك واستقبل القبلة بصدرك لان السماء قبلة الدعاء ولان حوائج العباد في خزانة تحت العرش فالداعي يمد يديه لحاجته ولان الكعبة أشرف الجهات (وقل أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله) كما رواه مسلم والترمذي (سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت عملت سوأ) أي ذنبا (وظلمت نفسي) أي بارتكاب المعاصي (أستغفرك) أي أطلب منك المغفرة وهي ستر الذنب من غير مصاحبة عقوبة (وأتوب اليك) أي آتي بصورة التائب الخاضع الذليل أو المعنى أسألك أن تتوب علي كما رواه الحاكم الا قوله عملت سوأ وظلمت نفسي فليس فيه (فاغفر لي وتب علي) أي انقذني من المعاصي (انك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين) من الذنوب والراجعين عن العيوب (واجعلني من المتطهرين) أي بالاخلاص عن تبعات الذنوب السابقة وعن التلطخ بالسيئات اللاحقة أو من المتطهرين من الاخلاق الذميمة فيكون فيه اشارة الى أن طهارة الاعضاء الظاهرة لما كانت بيدنا طهرناها وأما طهارة الاعضاء الباطنة فانما هي بيدك فأنت تطهرها بفضلك وهاتان الكلمتان رواهما الترمذي (واجعلني من عبادك الصالحين) أي القائمين بما عليهم من حقوق الله وحقوق عباده (واجعلني عبدا صبورا شكورا) أي كثير الصبر وكثير الشكر لك والصبر هو تعظيم الله تعالى يمنع عن الجزع فيما أصابه ويحمل على الصبر والشكر هو تعظيم المنعم يمنع عن الكفران ويحمل على الشكر فأحدهما لا ينفك عن الآخر لان الباعثة عليهما واحدة وهي الاستقامة (واجعلني أذكرك ذكرا كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا) أي عشيا وهو ما بعد صلاة العصر الى الغروب كما في المصباح وقل عقب ذلك وصلى الله وسلم على محمد وآل محمد وأصحابه ويستحب أن يكرر ذلك ثلاثا (فمن قرأ هذه الدعوات) التي رواها مسلم والترمذي والحاكم (في وضوئه) أي بعده (خرجت بجميع خطاياه) أي ذنوبه (من جميع أعضائه) وكتب هذا اللفظ في خلد (وختم) أي طبع (على وضوئه) أي ثوابه (بخاتم) بفتح التاء ويصان صاحبه من تعاطي مبطل ثوابه بأن يرتد والعياذ بالله تعالى وفي ذلك بشرى بأن من قال تلك

(٢) قوله ينظر في ذلك فانه مثنى منصوب وهو بالياء اه مصححه

الدعوات لا يرتد وأنه يموت على الايمان (ورفع له) أي الوضوء (تحت العرش فلم يزل) أي الوضوء (يسبح الله تعالى) أي ينزهه عما يقول الجاحدون (ويقدسه) أي يطهره عن كل نقص وما خطر بالبال (ويكتب له) أي للمتوضئ (ثواب ذلك) أي التسبيح والتقديس (الى يوم القيامة) ويتجدد ذلك بتعدد الوضوء لان الفضل لا امتناع عليه فاذا قال الدعوات ثلاثا عقب الوضوء كتب ثلاث مرات وما ذلك على الله بممتنع واقرأ انا أنزلناه ثلاثا فان من قرأها مرة واحدة في اثر وضوئه كان من الصديقين ومن قرأها مرتين كتب في ديوان الشهداء ومن قرأها ثلاثا حشره الله محشر الانبياء كما في الحديث ويسن بعد قراءة تلك السورة أن تقول اللهم اغفر لي ذنبي ووسع لي في داري وبارك لي في رزقي ولا تفتني بما زويت عني ﴿تنبيه﴾ يندب ادامة الوضوء لما ورد في الحديث القدسي ياموسى اذا أصابتك مصيبة وأنت على غير وضوء فلا تلومن الا نفسك ولقوله صلى الله عليه وسلم دم على الطهارة يوسع عليك الرزق كما أفاد ذلك البجيرمي نقلا عن سيدي مصطفى البكري (واجتنب في وضوئك سبعا) من الخصال (لا تنفض يديك فترش الماء) لان النفض كالتبري من العبادة فهو خلاف الاولى وكذا التنشيف بلا عذر وهو أخذ الماء بخرقة أما اذا كان لعذر فيسن وتقدم حينئذ اليسار على اليمين لانه يزيل أثر العبادة فينبغي البداءة فيه باليسرى ليبقى أثرها على الاشرف كان خرجت بعد وضوئك في هبوب ريح بنجس أو آلمك شدة نحو برد والاولى أن لا يكون بذيلك ولا بطرف ثوبك ونحوهما كما قاله الونائي عن النشائي ويسن تنشيف الميت بعد غسله (ولا تلطم وجهك ولا رأسك بالماء لطما) بل تأخذ الماء بكفيك وتغسل وجهك بهما معا وتمسح بهما رأسك (ولا تتكلم في أثناء الوضوء) بلا عذر ولا يكره الكلام له ولو من عار لانه صلى الله عليه وسلم كلم أم هانئ يوم فتح مكة وهو يغتسل كما أفاده ابن حجر (ولا تزد في الغسل) أي والمسح (على ثلاث مرات) ولا تنقص عنها فان ذلك مكروه الا لعذر كان ضاق الوقت بحيث لو اشتغل بالتثليث لخرج الوقت فحينئذ يحرم التثليث أو قل الماء بحيث لا يكفيك الا الفرض فتحرم حينئذ الزيادة عليه أو احتجت الى الفاضل عن الماء لعطش فيحرم عليك التثليث وادراك الجماعة أفضل من تثليث الوضوء وسائر آدابه التي لم يقل المخالف بوجوبها كمسح جميع الرأس والدلك للاعضاء والاقدام على الجماعة (ولا تكثر صب الماء) بحيث يزيد على ما يكفي العضو وان لم يزد على الثلاث (من غير حاجة) ولو على شط نهر فذلك مكروه اذا كان (بمجرد الوسوسة) وكان الماء مملوكا له أو مباحا فان كان موقوفا حرم الاسراف (فللموسوسين شيطان يضحك) وفي بعض النسخ يلعب (بهم) أي يهزأ بهم (يقال له الولهان) بسكون اللام وهو الذي يوله الناس بكثرة استعمال الماء وذكر بعضهم أن لابليس تسعة من الولد لكل منهم اسم وعمل فمنهم خنزب وهو الموسوس في الصلاة والولهان وهو الموسوس في الطهارة والثالث زلنبور بزاي مفتوحة ولام مشددة بعدها نون فوحدة وآخره راء وهو في كل سوق يزين للبائعين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلعة وتطفيف الكيل والميزان والرابع الاعور وهو شيطان الزنا ينفخ في احليل الرجل وعجز المرأة والخامس الوسنان بواو مفتوحة وسين مهملة ساكنة ونونين بينهما ألف وهو شيطان النوم يثقل الرأس والاجفان عن القيام الى الصلاة ونحوها ويوقظ الى القبيح من زنا ونحوه والسادس تبر بفوقية فوحدة فراء وهو اسم شيطان المصيبة يزين الصياح ولطم الخدود ونحوه والسابع داسم بدال وسين مهملتين بينهما ألف وهو اسم شيطان الطعام يأكل مع الانسان ويدخل المنزل ان لم يسم عند طعامه ودخوله وينام على الفراش ويلبس الثياب ان لم تكن مطوية وذكر اسم الله عليها وقيل انه يسعى في اثارة الخصام بين الزوجين ليفرق بينهما والثامن مطون بميم مفتوحة فطاء مهملة وآخره نون ويقال مسوط بسين مهملة مضمومة وآخره طاء مهملة وهو صاحب الاخبار الكاذبة يلقيها على ألسنة الناس ثم لا يوجد لها أصل والتاسع الابيض بموحدة فتحتية فضاد معجمة موكل بالانبياء والاولياء أما الانبياء فسلموا منه وأما الاولياء فهم يجاهدونه فمن سلمه الله سلم ومن أغواه غوى كذا أفاده حسين بن سليمان الرشيدي (ولا تتوضأ بالماء المشمس) أي ما أثرت فيه الشمس بحيث قويت على أن تفصل بحدتها زهومة من الاناء الذي

ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الوضوء الى يوم القيامة واجتنب في وضوئك سبعا لا تنفض يديك فترش الماء ولا تلطم وجهك ورأسك بالماء لطما ولا تتكلم في أثناء الوضوء ولا تزد في الغسل على ثلاث مرات ولا تكثر صب الماء من غير حاجة بمجرد الوسوسة فللموسوسين شيطان يضحك بهم يقال له الولهان ولا تتوضأ بالماء المشمس

بقبل المطرقة غير النقدين ولو مغطى لكن كراهة المكشوف أشد لما روى عن عائشة أنها سخنت ماء في الشمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعلي يا حميراء فانه يورث البرص وهذا الحديث وان كان ضعيفا لضعف سنده يقويه خبر عمر رضي الله عنه أنه كان يكره الاغتسال بالمشمس وروى أنه قال لا تغتسلوا بالماء المشمس فانه يورث البرص ولا تخللوا بالقصب فانه يورث الا كلة وهذا مشتهر بين الصحابة فصار اجماعا سكوتيا وقيس بالاغتسال باقي أنواع الاستعمالات في البدن ظاهرا وباطنا بأن يشرب ذلك الماء (ولا) تتوضأ (من الاواني الصفرية) بل من الخزفية أو الجلدية أو الخشبية لما قد روى عن ابن عمرو وأبي هريرة رضي الله عنهما من كراهية اناء الصفر (فهذه السبعة مكروهة في الوضوء) أي مشتملة على خلاف الاولى كما في النفض والتكلم (وفي الخبر) الذي رواه عبد الرزاق عن الحسن الكوفي (ان من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما أصابه الماء) قال علي بن أحمد العزيزي في معنى هذا الحديث أي من سمى الله أول الوضوء طهر الله جسده الظاهر والباطن فان لم يذكر اسم الله عنده لم يطهر منه الا الظاهر دون الباطن

(تتمة) يسن الوضوء في مواضع نظمها بعضهم من بحر الطويل بقوله

ويندب للمرء الوضوء فخذ لدى * مواضع تأتي وهي ذات تعدد
قراءة قرآن سماع رواية * ودرس لعلم والدخول لمسجد
وذكر وسعي مع وقوف بعرفة * زيارة خير العالمين محمد
وبعضهم عد القبور جميعها * وخطبة غير الجمعة اضمم لمبتدي
ونوم وتأذين وغسل جنابة * اقامة أيضا والعبادة فاعدد
وان جنبا يختار أكلا ونومة * وشربا وعودا للجماع المجدد
ومن بعد فصد أو حجامة حاجم * وقيء وحمل الميت واللمس باليد
له أو لخنثى أو لمس لفرجه * ومس ولمس فيه خلف كأمرد
وأكل جزور وغيبة ونمية * وفحش وقذف قول زور مجرد
وقهقهة تأتي المصلي وقصنا * لشارننا والحلق والغضب الردي
بلوغ بسن مس فرج بهيمة * خروج لشيء من فتوح ومرتد
ورفع اصوت لم يكن يندمل قط * ومس للانفتاح ان كان من معد
وحمل لتفسير اذا كان أكثرا * من المصحف الرسمي صل وجدد

وشرح هذه الابيات أن الوضوء الشرعي لا اللغوي الذي هو مجرد غسل اليدين يطلب في مواضع كثيرة في قراءة قرآن أي ارادته وفي سماع للقرآن وللحديث وفي رواية الحديث غير الموضوع يقينا أي تحمله رواية عن الشيخ وفي تعلم علم شرعي من تفسير وحديث وفقه وتعليمه للطلبة أما آلاته فلا يسن لها الوضوء وفي دخول المسجد ولو مارا ولو لجنب وفي ذكر الله تعالى وفي سعي بين الصفا والمروة وفي وقوف عرفة وفي زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وزيارة سائر القبور وفي خطبة غير الجمعة وفي نوم ليلا أو نهارا ولو قليلا قاعدا ممكنا وفي أذان وفي غسل جنابة وغيرها من غسل واجب ومندوب وفي اقامة الصلاة وفي العبادة ككتابة الحديث والفقه وكرمي الجمار وعند ارادة الجنب أكلا ولو محرما كمغصوب أو شربا كذلك أو نوما أو وطأ جائزا بأن أراد وطء حليلته ثانيا وان كانت الجنابة الاولى من غير وطء أما المحرم كالزنا فلا يسن له الوضوء وفي فصد وحجامة وقيء أي بعدها وفي حمل ميت أي قبله وبعده وفي مس جزء ميت وان لم ينقض الوضوء كالشعر والظفر فيسن بعده الوضوء وفي لمس الرجل أو المرأة بدن الخنثى وفي مس احد قبليه ومحل سنية الوضوء بعد ذلك اذا مس كل من الرجل والمرأة غير ماله وفي مس الامرد الحسن للخلاف في نقضه الوضوء وفي أكل لحم ابل وفي غيبة وهي ذكرك أخاك بما يكره فيسن الوضوء بعدها ولو كنت متوضئا وغيبة وهي السعي بين الناس بالافساد وفي فحش

(ولا من الاواني الصفرية فهذه السبعة مكروهة في الوضوء وفي الخبر ان من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما أصابه الماء)

كسخرية ويمين غموس وشهادة زور وفى قذف زنا وفى قول كذب لغير مصلحة وفى قهقهة فى الصلاة فان القهقهة داخل الصلاة تبطل الوضوء عند أبى حنيفة أما القهقهة خارجها فلا تبطل الوضوء عنده كما قرره شيخنا عبد الحميد والشيخ يوسف السنبلاوينى وفى قص شارب وسبال وفى حلق الرأس وفى الغضب ولو لله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب أحدكم فليتوضأ وفى البلوغ بالسن فيسن له الوضوء مع استحباب الغسل أيضا لان الوضوء يطلب له استقلالا بدون الغسل لان حكمة الغسل احتمال نزول المنى من حيث لا يشعر ولذا ينوى به رفع الجنابة وهذا لا يظهر فى الوضوء وفى مس فرج البهيمة فيسن الوضوء بعده لان مس المشقوق منه ينقض الوضوء على القول القديم أما دبر البهيمة فلا ينقض بلا خلاف كما أفاده الدميرى وفى خروج شئ من المنفتح مطلقا أى فى أى موضع كان وفى الردة وكذا فى قطع النية بعد فراغ الوضوء وفى رفع لصوق الجرح عند توهم الاندمال فرآه لم يندمل وفى مس المنفتح تحت المعدة مع انفتاح الاصلى وفى حمل كتب التفسير اذا كان التفسير أكثر من القرآن وهذا باعتبار رسم مصحف سيدنا عثمان الذى اختص به نفسه المسمى بالامام وأما التفسير فباعتبار رسمه على قواعد علم الخط هذا ما اعتمده ابن حجر وفى تجديد الوضوء بعد كل صلاة ولو كان الوضوء المجدده كملا بالتيمم سواء كان الوضوء الاول كله بالماء أو مكملا بالتيمم أيضا فتطلب اعادة الوضوء وهذه الامور بعضها يطلب الوضوء قبلها وبعضها بعدها كما لا يخفى وفى جميعها يأتى بنية من نيات الوضوء ولا يكفى نية السبب عنها كان نوى الوضوء لقراءة القرآن وكان نوى سنة الوضوء للغضب بخلاف الاغسال المسنونة فانه تصح نية أسبابها والفرق ان أكثر مقصودها النظافة ومقصود هذا الوضوء العبادة واذا توضأ بنية سجود تلاوة أو شكر جاز له أن يصلى به الفرض ولو توضأ بنية قراءة القرآن أو اللبث فى المسجد لم يجز له أن يصلى به الفرض والفرق أن الطهارة لا تشترط للقراءة فانها تباح مع الحدث بخلاف سجود التلاوة فان من شرط صحته الطهارة فلهذا جاز له أن يصلى به الفريضة

﴿آداب الغسل﴾

أى الواجب والمسنون (فاذا أصابتك جنابة من احتلام) أى امناء (أو وقاع) أى جماع (فخذ الاناء) وفى نسخة فاحمل الاناء (الى المغتسل) وضعه عن يمينك ان كنت تغترف منه وعن يسارك ان كنت تصب منه وسم الله تعالى أولا (واغسل يديك أولا ثلاثا) ثم استنج كما مر (وأزل ما على بدنك) أى جسدك (من قذر) كمنى ومخاط ومن نجاسة ان كانت (وتوضأ كما سبق فى وضوئك للصلاة مع جميع الدعوات وأخر غسل قدميك) وفى نسخة رجليك (كيلا يضيع الماء) فان غسلهما ثم وضعهما على الارض كان مثل اضاعة الماء والافضل أن تقدم الوضوء جميعه على الغسل ولك أن تؤخره كله أو بعضه عنه وتنوى بالوضوء فى صورة التأخير الفرضية ان أردت الخروج من الخلاف والا نويت السنة بأن تقول نويت الوضوء لسنة الغسل وكذا فى صورة التقديم ان تجردت جنابتك عن الحدث والا فانو نية معتبرة فى الوضوء (فاذا فرغت من الوضوء فصب الماء على رأسك) والمعتمد أن الافضل بعد فراغ الوضوء ان تتعهد معاطفك ثم تخلل رأسك ولو كنت محرما لكن برفق ان كان عليه شعر بأن تدخل أصابعك العشرة فيه فيشرب بها أصوله كما قاله ابن حجر ثم تدلكه ثلاثا كما قاله شيخ الاسلام فى التحرير ثم تصب الماء على رأسك (ثلاثا وأنت) فى أول ما تغسل من بدنك (ناو رفع الحدث من الجنابة) أو نحوه (ثم) صب الماء (على شقك الايمن ثلاثا ثم على) شقك (الايسر ثلاثا) وهذه الكيفية تحصل أصل السنة كما قاله البجيرمى والكيفية الاخرى أن يغسل الرأس ثلاثا ثم شقه الايمن من مقدمه ثلاثا ثم من مؤخره ثلاثا ثم مقدمه الايسر ثلاثا ثم مؤخره ثلاثا فلا ينتقل الى مؤخر ولا الى أيسر الا بعد تثليث مقدم وأيمن (وادلك ما أقبل من بدنك وما أدبر) وظاهر كلام المصنف أن المغتسل لا ينتقل الى الايسر حتى يثلث الايمن وصريح كلامه فى الاحياء أن الدلك يكون بعد تمام الشقين (ثلاثا ثلاثا) لكن قال ابن حجر والشربينى فالاكمل أن يغسل ويدلك شقه الايمن المقدم ثم المؤخر ثم الايسر

﴿آداب الغسل﴾

فاذا أصابتك جنابة من احتلام أو وقاع فخذ الاناء الى المغتسل واغسل يديك أولا ثلاثا وأزل ما على بدنك من قذر وتوضأ كما سبق فى وضوئك للصلاة مع جميع الدعوات وأخر غسل قدميك كيلا يضيع الماء فاذا فرغت من الوضوء فصب الماء على رأسك ثلاثا وأنت ناو رفع الحدث من الجنابة ثم على شقك الايمن ثلاثا ثم على الايسر ثلاثا وادلك ما أقبل من بدنك وما أدبر ثلاثا ثلاثا

وخلل شعر رأسك ولحيتك وأوصل الماء الى معاطف البـــدن ومنابت الشعر ماخف منه وما كثف واحذر أن تمس ذكرك بعد الوضوء فان أصابتــه يدك فأعد الوضوء والفريضة من جملة ذلك كله النية وازالة النجاسة واستيعاب البدن بالغسل وفرض الوضوء غسل الوجه واليدين مع المرفقين ومسح بعض الرأس وغســـل الرجلين الى الكعبين مرة مرة مع النية والترتيب وما عداها سنن مؤكدة فضلها كثير وثوابها جزيل والمتهاون بهـا خاسر بل هو بأصـل فرائضه مخاطر فان النوافـل جوابر الفرائض

كذلك فهذه مرة ثم ثانية كذلك ثم ثالثة كذلك (وخلل شعر رأسك ولحيتك) سواء كان كثيفا أو خفيفا ولا يجب على المرأة نقض الضفائر الا اذا علمت أن الماء لا يصل الى خـلال الشعور (وأوصل الماء الى) كل معطف من (معاطف البدن) وهو ما فيه انعطاف والتواء كطبقات البطن والموق واللحاظ والابط والاذن وداخل السرة وتحت المقبـل من الانف فان ذلك مما يغفل عنـه ويتأكد التعهد فى الاذن خصوصا فى حق الصائم بأن يأخذ كفا من ماء ويضع الاذن عليه برفق مميلا لها ليصل لمعاطفها من غير نزول لصماخها فيضر به (ومنابت الشعر ماخف منه وما كثف) وانما وجب غسل الكثيف هنا دون الوضوء لقلة المشقة هنا لعدم تكرره فى كل صلاة بخلاف الوضوء فانه يتكرر كل وقت فخفف فيه واعلم أن المضمضة والاستنشاق سنتان مستقلتان فى الغسل كما أنهما سنتان فى الوضوء ومحلهـما قبـل الوضوء كما فى فتح الجواد وكره تركهـما كترك الوضوء ويسن تداركهما ولو بعـد الفراغ من الغسل لان سنن الغسل لا تفوت بالفراغ منـه لعدم اشتراط الترتيب فى أفعاله وهما عنـد مالك سنتان فى الغسل والوضوء كما عندنا وواجبان فيهما عنـد أحمد وفرضان فى الغسل سنتان فى الوضوء عند أبى حنيفة (واحذر أن تمس ذكرك بعد الوضوء) أى وقبـل تمام الغسل كما فى الاحياء (فان أصابته يدك فأعد الوضوء) وهذا موافق لابن حجر وهو ظاهر لاجل الخروج من الخلاف فى عدم اندراج الاصـغر فى الاكبر وقال البجيرمى ولو أحدث بعد الوضوء وقبـل الغسل لا تندب له اعادته على المعتمد عند الرملى لان هـذا الوضوء لا يبطله الحدث وانما يبطـله الجماع وبه يلغز فيقال لنا وضوء لا يبطله الحدث وقد نظم السيوطى ذلك من بحر الكامل المجزوء المرفل فقال

قـل للفقيه وللمفيد * ولكل ذى باع مـديد
ماقلت فى متـوضئ * قد جاء بالامر السديد
لا ينقضون وضـوأه * مهما تغوط أو يزيد
ووضـوء لم ينتقض * الا بايلاج جـديد

ونظم الجواب بعضهم من ذلك أيضا فقال

يا مبدى اللغز السديد * يا واحد العصر الفريد
هذا الوضوء هو الذى * للغسل سن كما تفيـد
وهو الذى لم ينتقض * الا بايـلاج جـديد

(والفريضة من جملة ذلك كله) أى المذكور من الافعال المطلوبة فى الغسل سواء كان واجبا أو مندوبا شيآن (النية وازالة النجاسة واستيعاب البدن) حتى الشعور والاظفار (بالغسل) وأما ازالة النجاسة التى لا تزول أوصافها بغسلة واحدة فهى شرط لصحة الغسل فيجب قبله وأما ان زالت بذلك فازالتها قبل الغسل سنة اذا وصل الماء الى البشرة بغير تغير والا وجبت ثم استطرد المصنف بيان أركان الوضوء فقال (وفرض الوضوء) ستة (غسل الوجه) ولو بفعل غيره بلا اذنه ان كان ذاكرا للنية (واليدين مع المرفقين) ان وجدتا ومع قدرهما ان فقدتا وأما ان وجدتا فى غير محلهما المعتاد فيحتمل اعتبار الغالب واعتبار وجودهما (ومسح بعض الرأس) من بشرته وان خرجت عن حده أو من شعره الذى فى حده (وغسل الرجلين الى الكعبين) كما فى المرفقين (مرة مرة) فى الاعضاء الاربعة (مع النية) المقترنة بأول مغسول من الوجه (والترتيب) ما بين الاعضاء الاربعة (وما عـداها) أى الستة من أفعال الوضوء (سنن مؤكدة فضلها) أى تلك السنن (كثير وثوابها) أى جزاؤها عند الله تعالى (جزيل) أى عظيم (والمتهاون بها) أى المستحقر للسنن (خاسر بل هو) أى المتهاون (بأصل فرائضه مخاطر) أى مشرف على فساده لان التهاون بالسنن يؤدى الى التهاون بالفرائض (فان النوافل جوابر للفرائض) أى فان مات شخص ولم يفعل الفرائض من الصلوات يقوم كل سبعين من النوافل مقام ركعة من الفرض وكذلك يقوم كل سـبعين ريالا من صدقة التطوع مقام ريال واحـد من الزكاة أما فى الدنيا فلا يجـبر ترك الفرائض بالنوافل بل لا بد من فعلها وأما الوضوء فهو مكفر للصغائر فان لم يكن عليه شئ من الصغائر حتت

من الكبائر ثم الفرائض هنا بالنسبة للوضوء هي اجتناب المعاصي وذلك ان كان المراد بالنوافل سنن الوضوء صار معنى قوله فان النوافل جوابر الفرائض ان اتيان سنن الوضوء جابر للفرائض التي هي ترك الذنوب المتعلقة بحقوق الله تعالى بمعنى أنها مكفرة لتلك الذنوب زيادة على تكفير الوضوء بدون سننه لها وأما الكبائر فلا يكفرها الا التوبة أو الحج المبرور وكذلك الذنوب المتعلقة بحقوق الآدميين فلا بد من التوبة والا فالقصاص عليه ان لم يجد فضلا من الله تعالى والله أعلم

﴿آداب التيمم﴾

وهو رخصة مطلقا سواء كان الفقد حسيا أو شرعيا وقيل عزيمة والرخصة انما هي اسقاط القضاء وقيل ان كان الفقد حسيا فعزيمة والا فرخصة بدليل صحة تيمم العاصي بالسفر قبل التوبة ان فقد الماء حسا وبطلان تيممه قبلها ان فقده شرعا كان تيمم لنحو مرض (فان عجزت عن استعمال الماء) لاحد ستة أسباب فيحل لك التيمم وهي اما (لفقده) أي الماء (بعد الطلب) للماء في وقت الصلاة (أو لعذر من مرض أو لمانع من الوصول اليه) أي الماء (من سبع أو حبس) أي بغير حق وهذا داخل في الفقد الحسي كما قاله عطية (أو كان الماء الحاضر) أي الموجود (تحتاج اليه لعطشك أو عطش رفيقك) غير المرتد وتارك الصلاة والحربي والخنزير ولو كان لحاجة اليه في المستقبل فيجب عليك أن تدخره ويحرم الوضوء به صونا للروح أو العضو أو المنفعة من التلف (أو كان) الماء (ملكا لغيرك ولم يبع الا بأكثر) أي بأزيد (من ثمن المثل) أي اللائق به في ذلك الزمان والمكان ولو كان الزائد عن اللائق مما يتسامح بمثله عادة (أو كان بك جراحة) أو كسر وخفت من استعمال الماء فساد العضو مثلا وروى الحاكم أن رجلا أصابه جرح على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أصابه احتلام فأمروه بالاغتسال فاغتسل فمات فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلوه ألم يكن شفاء العي السؤال والعي بالعين المهملة الجاهل (أو مرض تخاف منه على نفسك) الهلاك أو شدة الضنا وهو على وجه لا يحتمل عادة أو طول مدة البرء وهو مقدار وقت المغرب فاذا أردت التيمم (فاصبر حتى يدخل وقت الفريضة) لان التيمم طهارة ضرورة ولا ضرورة قبل الوقت (ثم اقصد صعيدا) أي وجه الارض (طيبا) أي حلالا (عليه تراب) أي على أي صفة كانت (خالص) بأن لم يختلط بنحو جص ورمل ناعم يلصق بالعضو (طاهر) بان لم يكن متنجسا ولا مستعملا (لين) أي بحيث يرتفع منه غبار (فاضرب عليه) أي التراب (بكفيك ضاما بين أصابعك) لان الضربة الاولى مقصودة للوجه فما فضل لليدين منها لا يعتد به وهذا كما في الاحياء خلافا لما قاله النووي والمحلي وشيخ الاسلام حيث قالوا يندب تفريق أصابعه في كل ضربة لانه أبلغ في اثارة الغبار فلا يحتاج الى زيادة على الضربتين (وانو استباحة فرض الصلاة) أو استباحة نحوه لا رفع الحدث لان التيمم لا يرفعه ويجب قرن النية بأول النقل وأول مسح الوجه ولا يضر عزوبها بينهما (وامسح بهما) أي كفيك (وجهك كله مرة واحدة) فان تكرير المسح لكل عضو مكروه (ولا تتكلف) أي لا تتجشم على مشقة (ايصال الغبار الى منابت الشعر خف أو كثف) فانه لا يسن لعسره مع عدم طلب الازالة في غير لحية المرأة أما تحت الاظفار فيجب ايصال التراب اليه كالوضوء لان الاظافر مأمور بازالتها (ثم انزع خاتمك) بفتح التاء فان نزع الخاتم في الضربة الثانية واجب ليصل التراب الى محله ولا يكفي تحريكه لان التراب لا يدخل تحته لكثافته بخلاف الماء فايجاب نزعه انما هو عند المسح لا عند النقل كذا أفاده أحمد الميهي وأما في الاولى فمندوب ليكون مسح جميع الوجه باليد كما أفاده المحلي (واضرب ضربة ثانية مفرجا) أي مفرقا كما في نسخة (بين أصابعك) وان لم تفرق أصابعك في هذه الضربة وجب عليك التخليل لانها المقصودة لليدين ولتستغني الاصابع بالتراب الواصل عن المسح بما على الكف (وامسح بهما) أي بكفيك (يديك مع مرفقيك فان لم تستوعبهما) أي اليدين بتلك الضربة (فاضرب ضربة أخرى) أي ثالثة (الى ان تستوعبهما ثم امسح احدى كفيك بالاخرى وامسح ما بين أصابعك بالتخليل) ويسن أن يأتي بمسح اليدين على كيفيته المشهورة وهي أن يضع بطون أصابع اليسرى سوى الابهام تحت أطراف أنامل اليمنى

﴿آداب التيمم﴾

فان عجزت عن استعمال الماء لفقده بعد الطلب أو لعذر من مرض أو لمانع من الوصول اليه من سبع أو حبس أو كان الماء الحاضر تحتاج اليه لعطشك أو عطش رفيقك أو كان ملكا لغيرك ولم يبع الا بأكثر من ثمن المثل أو كان بك جراحة أو مرض تخاف منه على نفسك فاصبر حتى يدخل وقت الفريضة ثم اقصد صعيدا طيبا عليه تراب خالص طاهر لين فاضرب عليه بكفيك ضاما بين أصابعك وانو استباحة فرض الصلاة وامسح بهما وجهك كله مرة واحدة ولا تتكلف ايصال الغبار الى منابت الشعر خف أو كثف ثم انزع خاتمك واضرب ضربة ثانية مفرجا بين أصابعك وامسح بهما يديك مع مرفقيك فان لم تستوعبهما فاضرب ضربة أخرى الى ان تستوعبهما ثم امسح احدى كفيك بالاخرى وامسح ما بين اصابعك بالتخليل

بحيث لاتخرج أنامل اليمنى عن مسبحة اليسرى ولامسبحة اليمنى عن أنامل اليسرى ويمرها على ظهر كفه اليمنى فاذا بلغ الكوع ضم أطراف أصابعه الى حرف الذراع ويمرها الى المرفق ثم يدير بطن كفه الى بطن الذراع فيمرها عليه رافعا ابهامه فاذا بلغ الكوع أمر ابهام اليسرى على ظهر ابهام اليمنى ثم يفعل باليسرى كذلك ثم يمسح احدى الراحتين بالاخرى وانما لم يجب لان فرضهما حصل بضربهما بعد مسح وجهه وجاز مسح ذراعيه بترابهما لعدم انفصاله مع الحاجة اذ لا يمكن مسح الذراع بكفها فصار كنقل الماء من بعض العضو الى بعضه لان اليدين كعضو واحد كما أفاده البجيرمي (وصل به) أى بالتيمم الذى استبحت به الفرض (فرضا واحدا وماشئت من النوافل) أى ومن صلاة الجنازة (فان أردت فرضا ثانيا) أى عينيا ولو منذورا (فاستأنف له تيمما آخر) وان لم تحدث وهكذا تفرد كل فريضة بتيمم نعم ان كانت الصلاة الثانية معادة جاز أن تجمعها مع أصلها بتيمم لان المعادة تقع نفلا وان كنت تنوى فيها الفرض ويجوز أن تجمع أيضا الظهر مع الجمعة بتيمم واحد

آداب الخروج الى المسجد

أى الصلاة أو لنحو طلب علم (فاذا فرغت من طهارتك) أى من الحدثين (فصل فى بيتك ركعتى الصبح ان كان الفجر قد طلع) واقرأ فيهما سورة الكافرون والاخلاص أو اقرأ ألم نشرح لك وألم تر كيف فمن قرأ فى ركعتى الفجر ألم نشرح وألم تر كيف قصرت عنه يد كل عدو ولم يجعل لهم عليه سبيل وهذا صحيح مجرب بلا شك هكذا نقله البجيرمى عن الغزالى (كذلك) أى أداء صلاة ركعتى الفجر فى البيت (كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم) ويسن أن يفصل بين سنة الفجر والفريضة بالاضطجاع على شقه الايمن أو الايسر واليمين أفضل ولو فى المسجد ولو أخرها عن الفريضة كما قاله الونائى وحكمة ذلك تذكر ضجعة القبر أول النهار ليكون باعثا له على أعمال الآخرة أو لاظهار العجز فى أول النهار ويقول فى حال اضطجاعه اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ورب محمد صلى الله عليه وسلم أجرنى من النار ثلاثا (ثم توجه الى المسجد) لقوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى فى بعض الكتب ان بيوتى فى أرضى المساجد وان زوارى فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زارنى فى بيتى فحق على المزور أن يكرم زائره (ولا تدع الصلاة فى الجماعة) لقوله صلى الله عليه وسلم من صلى أربعين يوما الصلوات فى جماعة لا تفوته فيها تكبيرة الاحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار (لاسيما الصبح) فان الجماعة فيها أفضل من الجماعة فى العشاء والجماعة فى هذه أفضل منها فى سائر الصلوات وأما أفضل الصلوات فهى صلاة العصر وفى الحديث من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة ثم علل المصنف نهى ترك الجماعة بقوله (فصلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ) بفاء وذال معجمة أى المنفرد (بسبع وعشرين درجة) أى صلاة كما فى الحديث (فان كنت تتساهل) أى تتسامح (فى مثل هذا الربح) وهو فضيلة الجماعة (فأى فائدة لك فى طلب العلم وانما ثمرة العلم العمل به فاذا سعيت) أى ذهبت على أى وجه كنت وفى نسخة مشيت (الى المسجد فامش على هينة) أى برفق من غير عجلة (وتؤدة) بضم التاء وفتح الهمزة أى تأن وتثبت (وسكينة كما فى نسخة (ولا تعجل) وهذا كالتفسير لما قبله (وقل فى طريقك اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وبحق الراغبين اليك وبحق ممشاى) أى سيرى (هذا) أى الذى أنا فيه (اليك) أى الى بيتك أى الى البيت الذى يعبدونك فيه وهو المسجد (فانى لم أخرج) أى من بيتى الى ذلك المحل (أشرا) بفتح الشين أى كفرا نا للنعمة (ولا بطرا) أى شدة مرح (ولا رياء) أى نفعا دنيويا (ولا سمعة) أى ذكرا جميلا عند الناس (بل خرجت) من بيتى (اتقاء سخطك) أى اجتناب غضبك (وابتغاء) أى طلب (مرضاتك فأسألك أن تنقذنى) أى تنجينى وفى الاذكار للنووى أن تعيذنى أى تمنعنى (من النار وأن تغفر لى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت) وفى كتاب ابن حجر بعد ذلك زيادة يا أرحم الراحمين يا أكرم الاكرمين

آداب دخول المسجد

أى وبيان جملة الاذكار (فاذا أردت الدخول الى المسجد) ووصلت بابه فانزع نعلك اليسرى أولا وحط

وصل به فرضا واحدا وما شئت من النوافل فان أردت فرضا ثانيا فاستأنف له تيمما آخر

آداب الخروج الى المسجد

فاذا فرغت من طهارتك فصل فى بيتك ركعتى الصبح ان كان الفجر قد طلع كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توجه الى المسجد ولا تدع الصلاة فى الجماعة لاسيما الصبح فصلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة فان كنت تتساهل فى مثل هذا الربح فأى فائدة لك فى طلب العلم وانما ثمرة العلم العمل به فاذا سعيت الى المسجد فامش على هينة وتؤدة وسكينة ولا تعجل وقل فى طريقك اللهم انى أسألك بحق السائلين عليك وبحق الراغبين اليك وبحق ممشاى هذا اليك فانى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تنقذنى من النار وأن تغفر لى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت

آداب دخول المسجد

فاذا أردت الدخول الى المسجد

رجلك اليسرى على ظهره ثم انزع نعلك اليمنى (فقدم رجلك اليمنى) ومثل المسجد كل محل شريف وكذا ما جهل حاله ولو خرج من مسجد الى مسجد قدم يمينه وفى الكعبة يقدم يمينه دخولا وخروجا كذا أفاده الونائى (وقل) عند ارادة الدخول أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم الحمد لله كما فى الاذكار ثم قل (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك) ثم قل باسم الله ثم ادخل واذا خرجت فقدم رجلك اليسرى وقل ذلك الا أنك تقول وافتح لى أبواب فضلك وحكمة ذكر الرحمة فى الدخول والفضل فى الخروج ان المساجد محال رحمة الله تعالى لعباده ورحمة تناسب العبادة وأما الخروج منها فهو الى محل الاسباب التى بها تحصل الارزاق والغنى عن الناس فهذا من مظاهر الفضل التى تفضل الله بها على عباده كما أفاده ابن حجر (ومهما رأيت فى المسجد من يبيع أو يبتاع فقل لا أربح الله تجارتك واذا رأيت فيه من ينشد) بضم الشين أى يطلب (ضالة فقل لا ردّ الله عليك ضالتك كذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم) كما روى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم من يبيع أو يبتاع فى المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك واذا رأيتم من ينشد فيه ضالة فقولوا لا ردا الله عليك وعنه أيضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع رجلا ينشد ضالة فى المسجد فليقل لا ردّها الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا (فاذا دخلت فى المسجد) ولو مشاعا أو مظنونا (فلا تجلس حتى تصلى ركعتى التحية) لكن اذا دخلت المسجد الحرام وأردت الطواف فالافضل أن تبدأ بالطواف ثم تنوى بالركعتين سنة الطواف وتحية المسجد معا فان نويت أحدهما اندرج الآخر وان لم تنوه لان تحية المسجد الحرام لا تفوت بالطواف كما نقله الونائى عن ابن قاسم وتكره التحية اذا وجد المكتوبة تقام بالكلمات المعروفة وتكره أيضا اذا توهم فوت الصلاة فرضا كانت أو نفلا أما اذا تحقق فوتها فان كانت فرضا حرمت التحية أو نفلا كرهت ويندب لمن لم يأت بالتحية لحدث أو غيره كان لم يردها وان كان متطهرا أو اشتغل بشئ آخر أن يقول أربع مرات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فانها تعدل ركعتين فى الفضل فتندفع الكراهة بذلك وهذا حيث لم يتيسر له الوضوء فى المسجد قبل طول الفصل والا فلا يكفى ذلك لتقصيره بترك الوضوء مع تيسره (فان لم تكن صليت فى بيتك) أى مثلا (ركعتى الفجر فيجزؤك أداؤها) أى ركعتى الفجر (عن التحية) لانها تحصل بكل نفل وبمكتوبة وان لم تنو مع ذلك لان المقصود وجود صلاة قبل الجلوس وقد وجدت بذلك قال البجيرمى اذا نوى التحية مع فرض مثلا حصل ثوابها اتفاقا واذا نفاها فلا يحصل اتفاقا وان أطلق حصل الثواب على المعتمد (فاذا فرغت من الركعتين) اللتين صليتهما لسنة الفجر أو للتحية (فانو الاعتكاف) وهو اللبث فى المسجد بنية الاعتكاف لانه سنة مؤكدة كل وقت فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من اعتكف فواق ناقة فكأنما أعتق نسمة وفواق بضم الفاء وآخره قاف أى مقدار زمن حلب ناقة والمراد بالنسمة هنا الرقيق (وادع بما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتى الفجر) كما رواه ابن عباس لكن روى الترمذى وغيره عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بهذا بعد فراغه من صلاته ليلة الجمعة (فقل اللهم انى أسألك رحمة من عندك) أى من فضلك وكرمك لا بمقابلة عمل من عندى وفى رواية بسقوط لفظ من عندك (تهدى بها قلبى) أى تدله اليك وتقربه لديك (وتجمع بها شملى) أى ما تشتت من أمرى وفى الشفاء والجامع الصغير بدل ذلك أمرى أى حالى عليك (وتلم) بضم اللام وتشديد الميم (بها شعثى) بفتحتين أى تصلح بها ما تفرق من أمورى وفى شرح الشفاء أى تجمع بها تفرق خاطرى وتضم بها تشتت أمرى (وترد) أى تجمع بها (ألفتى) بضم الهمزة وقد تكسر أى مألوفى أى ما كنت آلفه (وتصلح بها دينى وتحفظ بها غائبى) أى باطنى بكمال الايمان والاخلاق الحسان (وترفع بها شاهدى) أى ظاهرى بالاعمال الصالحة والهيئة السنية أو يراد بالغائب والشاهد الاتباع الغائبون والحاضرون (وتزكى بها عملى) أى تزيد ثوابه أو تطهره من الرياء والسمعة والعجب (وتبيض بها وجهى) أى يوم القيامة (وتلهمنى بها رشدى) أى صلاح حالى فى الحال والمآل (وتقضى لى بها حاجتى وتعصمنى) أى

فقدم رجلك اليمنى وقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك ومهما رأيت فى المسجد من يبيع أو يبتاع فقل لا أربح الله تجارتك واذا رأيت فيه من ينشد ضالة فقل لا رد الله عليك ضالتك كذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا دخلت المسجد فلا تجلس حتى تصلى ركعتى التحية فان لم تكن على طهارة أو لم ترد فعلها كفتك الباقيات الصالحات ثلاثا وقيل أربعا وقيل ثلاثا للمحدث وواحدة للمتوضئ فان لم تكن صليت فى بيتك ركعتى الفجر فيجزؤك أداؤهما عن التحية فاذا فرغت من الركعتين فانو الاعتكاف وادع بما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتى الفجر فقل اللهم انى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها شملى وتلم بها شعثى وترد بها ألفتى وتصلح بها دينى وتحفظ بها غائبى وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى وتبيض بها وجهى وتلهمنى بها رشدى وتقضى لى بها حاجتى وتعصمنى

بهامن كل سوء اللهم انى أسألك ايمانا خالصا دائما يباشر قلبي و يقينا صادقا حتى أعلم انه لن يصيبني الا ما كتبته على ورضنى

بما قسمته لى اللهم انى أسألك ايمانا صادقا و يقينا ليس بعده كفر وأسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة اللهم انى أسألك الفوز عند اللقاء والصبر عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الاعداء ومرافقة الانبياء اللهم انى أنزل بك حاجتى وان ضعف رأيى وقصر عملى وافتقرت الى رحمتك فأسألك يا قاضى الامور ويا شافى الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرنى من عذاب السعير ومن فتنة القبور ومن دعوة الثبور اللهم ما قصر عنه رأيى وضعف عنه عملى ولم تبلغه نيتى وأمنيتى من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فانى أرغب اليك فيه وأسألك اياه يارب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك سلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادى بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اللهم ذا الحبل الشديد والامر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع

تحفظنى (بها من كل سوء) بضم السين وقد تفتح وهو الضرر الحسى والمعنوى بان تصرفنى عنه وتصرفه عنى (اللهم انى أسألك ايمانا دائما) وفى نسخة خالصا وفى الاحياء عدم ذكر ذلك الوصف (يباشر قلبى) أى يخالطه (ويقينا صادقا حتى أعلم أنه) أى الشان وفى نسخة أن (لن يصيبنى الا ما كتبته على) أى قدرته على فى العلم الازلى أو فى اللوح المحفوظ (ورضنى بما قسمته لى) أى وأسألك أن ترزقنى رضا بما قسمته لى من الرزق والمعيشة وهذا الدعاء لم يذكر فى الاحياء ولا فى الشفاء ولا فى الجامع فى هذا الموضع بل ذكر فى الاحياء ان هذا دعاء آدم والدعاء الذى قبل هذا و بعده ملتصقان فى الاحياء وفى الجامع (اللهم انى أسألك) وفى الاحياء والجامع اللهم أعطنى (ايمانا صادقا ويقينا) أى فى الله تعالى (ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة) وفى الجامع شرف الدنيا والآخرة أى علو القدر فيهما (اللهم انى أسألك الفوز عند اللقاء) أى لقاء الله بالموت ثم البعث أو عند لقاء الكفار (والصبر عند القضاء) أى حين حلول ضيق القضاء وفى الشفاء والجامع بدل الكلمتين أسألك الفوز فى القضاء أى النجاة فيما قضيته أى قدرته على من البلاء أو الفوز باللطف فى القضاء وفى الاحياء بدلهما أسألك الفوز عند القضاء أى حين حلول القضاء بتوفيق الرضا (ومنازل الشهداء) وفى الشفاء والجامع ونزل الشهداء بضم النون والزاى وقد تسكن الزاى أى منزلتهم فى الجنة أو درجتهم فى القرب منك (وعيش السعداء) أى الحياة الطيبة المقرونة بالطاعة والقناعة من غير تعب كذا فى شرح الشفاء وقال العزيزى أى الذين قدرت لهم السعادة الاخروية (والنصر على الاعداء) أى من النفس والشياطين وسائر الكافرين (ومرافقة الانبياء) وفى الجامع والشفاء عدم هذه الكلمة وفى نسخة تقديمها على ما قبلها (اللهم انى أنزل) بضم الهمزة (بك حاجتى) أى أسألك قضاء ما أحتاجه من أمر الدارين (وان ضعف رأيى) أى عجز عن ادراك ما هو أنجح وأصلح (وقصر) بالتشديد (عملى) أى عبادتى فلا تبلغ مراتب الكمال وفى الجامع وان قصر رأيى وضعف عملى (وافتقرت) فى بلوغ ذلك (الى رحمتك) وفى الجامع اسقاط الواو (فأسألك يا قاضى الامور) أى يا مقدرها أو يا مبلغها (ويا شافى الصدور) أى القلوب من أمراضها كالحقد والحسد والكبر (كما تجير بين البحور) أى تمنع أحدهما من الاختلاط بالآخر مع الاتصال (أن تجيرنى) أى تنقذنى مفعول ثان لاسألك (من عذاب السعير) أى النار (ومن دعوة الثبور) أى من النداء بالهلاك والخسران فى الحشر (ومن فتنة القبور) أى عند سؤال الملكين منكر ونكير (اللهم ما قصر عنه رأيى) أى عجز منه عقلى (وضعف عنه عملى) أى كسبى (ولم تبلغه) أى تصله (نيتى وأمنيتى) وفى الجامع بدل هذا الأخير ولم تبلغه مسألتى (من خير وعدته أحدا من عبادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك فانى أرغب اليك) أى أتوجه اليك وأطلب منك (فيه) أى فى حصوله منك لى (وأسألك اياه) أى زيادة على ذلك فان رحمتك لا نهاية لسعتها كما أفاده العزيزى (يارب العالمين اللهم اجعلنا هادين) أى دالين الخلق على ما يوصلهم الى الحق (مهتدين) أى الى اصابة الصواب قولا وعملا (غير ضالين) أى عن الحق (ولا مضلين) أى أحدا من الخلق (حربا) أى مقاتلة (لاعدائك سلما) بكسر فسكون أى صلحا (لاوليائك) وفى الجامع تقديم هذا على ما قبله (نحب بحبك) أى بسبب حبنا لك (الناس) وفى الاحياء بدل هذه الكلمة من أطاعك من خلقك وفى الجامع بدلها أيضا من أحبك (ونعادى بعداوتك) أى بسببها (من خالفك) تنازعه نعادى وعداوتك (من خلقك) وهذه الكلمة لم تذكر فى الجامع (اللهم هذا الدعاء) أى ما أمكننا منه قد أتينا به (وعليك الاجابة) أى فضلا منك اذ لا يجب على الله تعالى شئ (وهذا الجهد) بضم الجيم أى الطاقة (وعليك التكلان) بضم التاء أى الاعتماد (وانا لله وانا اليه راجعون) أى بالموت ثم البعث (ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اللهم ذا الحبل الشديد) الحبل بموحدة المراد به هنا القرآن أو الدين ثم الشدة فى الدين هى الثبات والاستقامة و روى الحيل بمثناة تحتية بمعنى القوة كما أفاده العزيزى (والامر الرشيد) أى الموافق لغاية الصواب (أسألك الأمن) أى من الفزع الاكبر والاهوال (يوم الوعيد) أى يوم التهديد وهو يوم القيامة (والجنة يوم الخلود) أى خلود أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار (مع

المقربين

المقربين الشهود) أى الناظرين لربهم (الركع السجود) أى المكثرين للصلاة ذات الركوع والسجود فى الدنيا (الموفين لك بالعهود) أى بما عاهدوا الله عليه (انك رحيم) أى موصوف بكمال الاحسان لدقائق النعم (ودود) أى شديد الحب لمن والاك (وانك تفعل ماتريد سبحان من تعطف) أى اتصف (بالعز) بأن يغلب كل شئ ولا يغالبه شئ (وقال) أى غلب (به) كل عزيز (سبحان من لبس المجد) أى الذى اتصف بالعظمة والكبرياء (وتكرم به) أى تفضل وأنعم به على عباده (سبحان من لا ينبغى التسبيح) أى التنزيه المطلق (الاله) أى لجلاله المقدس (سبحان ذى الفضل) أى الزيادة فى العطاء (والنعم) جمع نعمة بمعنى انعام (سبحان ذى الجود) أى العطاء وفى الاحياء ذى العزة الجامع ذى المجد أى الشرف (والكرم) أى التفضل بالعطاء من غير سؤال (سبحان الذى أحصى كل شئ بعلمه اللهم اجعل لى نورا فى قلبى ونورا فى قبرى ونورا فى سمعى ونورا فى بصرى ونورا فى شعرى ونورا فى بشرى ونورا فى لحمى ونورا فى دمى ونورا فى عظامى ونورا من بين يدى") أى يسهى أمامى (ونورا من خلفى) أى ورائى (ونورا عن يمينى ونورا عن شمالى ونورا من فوقى ونورا من تحتى اللهم زدنى نورا وأعطنى نورا أعظم نور واجعل لى) بجر ياء المتكلم (نورا برحمتك ياأرحم الراحمين) هذا من عطف العام على الخاص أى اجعل لى نورا شاملا للانوار السابقة ولغيرها قال القرطبى والتحقيق فى معنى النور أنه مظهر لما نسب اليه وهو يختلف بحسبه فنور السمع مظهر للمسموعات ونور البصر كاشف للمبصرات ونور القلب كاشف عن المعلومات ونور الجوارح ما يبدو عليها من أعمال الطاعات وقال النووى نقلا عن العلماء طلب النور فى أعضائه وجسمه وتصرفاته وتقلباته وحالاته وجملته فى جهاته الست حتى لا يزيغ شئ منها عنه انتهى وهذا الدعاء موافق لما فى الاحياء من غير زيادة ولا نقص ومخالف لما فى الجامع (فاذا فرغت من الدعاء فلا تشتغل الى وقت الفرض الا بفكر أو تسبيح أو قراءة قرآن) أو غير ذلك كتحميد واستغفار كما روى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله تعالى ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وروى عن أم رافع رضى الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها يا أم رافع اذا قمت الى الصلاة فسبحى الله تعالى عشرا وهلليه عشرا واحمديه عشرا وكبريه عشرا واستغفريه عشرا فانك اذا سبحت قال هذا لى واذا هللت قال هذا لى واذا حمدت قال هذا لى واذا كبرت قال هذا لى واذا استغفرت قال قد فعلت كذا فى الاذكار للنووى وفى الحديث من قال بين طلوع الفجر وصلاة الصبح سبحان الله العظيم وبحمده سبحان من يمن ولا يمن عليه سبحان من يجير ولا يجار عليه سبحان من لا يبرأ من الحول والقوة الا اليه سبحان من التسبيح منة منه على من اعتمد عليه سبحان من يسبح كل شئ بحمده سبحانك لا اله الا أنت يا من يسبح له الجميع تداركنى بعفوك فانى جزوع ثم يستغفر الله مائة مرة فانه لا يأتى عليه أربعون يوما الا وقد أتته الدنيا بحذافيرها أى باثرها وذلك بشرط التقوى كذا نقل البجيرمى عن سيدى أحمد زروق (فاذا سمعت الاذان فى أثناء ذلك) أى المذكور من الاوراد (فاقطع ما أنت فيه) واستمع الاذان لان استماعه فى وقته أفضل من استماع القرآن وان كان القرآن أفضل منه كذا أفاده الونائى نقلا عن الزيادى (واشتغل بجواب المؤذن) ولو كنت طائفا أو مدرسا أو جنبا أو نحو ذلك لا ان كنت مصليا ولو نفلا ولا ان كنت قاضى الحاجة أو مجامعا أو مستمع الخطيب بل اذا سلمت من الصلاة أجبته كما يجيبه من لا يصلى فلو أجبته فى الصلاة كره ذلك الجواب ولم تبطل صلاتك الا اذا قلت صدقت وبررت فتبطل وكذا اذا خرجت من الخلاء فاجبه (فاذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقل) عقب كل كلمة (مثل ذلك) ولك المقارنة على خلاف فيها (وكذلك) أى أن تقول مثل قول المؤذن (فى كل كلمة الا فى الحيعلتين فقل فيهما) أى دبر كل لفظة منهما (لا حول) أى لا تحول عن المعصية (ولا قوة) أى على الطاعة (الا بالله العلى العظيم) ويسن أن تقول بعد قولك أشهد أن محمدا رسول الله فى الجواب وأنا أشهد أن محمدا رسول الله ثم تقول رضيت بالله ربا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا وبالاسلام دينا ويسن أيضا اذا سمعت المؤذن يقول حى على الفلاح أن تقول اللهم اجعلنا مفلحين (فاذا قال) أى

المقربين الشهود الركع السجود الموفين لك بالعهود انك رحيم ودود وانك تفعل ماتريد سبحان من تعطف بالعز وقال به سبحان من لبس المجد وتكرم به سبحان من لا ينبغى التسبيح الاله سبحان ذى الفضل والنعم سبحان ذى الجود والكرم سبحان الذى أحصى كل شئ بعلمه اللهم اجعل لى نورا فى قلبى ونورا فى قبرى ونورا فى سمعى ونورا فى بصرى ونورا فى شعرى ونورا فى بشرى ونورا فى لحمى ونورا فى دمى ونورا فى عظامى ونورا من بين يدى ونورا من خلفى ونورا عن يمينى ونورا عن شمالى ونورا من فوقى ونورا من تحتى اللهم زدنى نورا وأعطنى نورا أعظم نور واجعل لى نورا برحمتك ياأرحم الراحمين * فاذا فرغت من الدعاء فلا تشتغل الى وقت الفرض الا بفكر أو تسبيح أو قراءة قرآن فاذا سمعت الاذان فى أثناء ذلك فاقطع ما أنت فيه واشتغل بجواب المؤذن فاذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقل مثل ذلك وكذلك فى كل كلمة الا فى الحيعلتين فقل فيهما لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فاذا قال

المؤذن (الصلاة خير من النوم) أي اليقظة الى الصلاة خير من راحة النوم (فقل في الجواب صدقت وبررت) وزاد في الاحياء بعد ذلك ونصحت وزاد بعضهم وبالحق نطقت (وأنا على ذلك من الشاهدين) مرتين وبررت بكسر الراء وفتحها أي صرت ذا بر أي خير كثير وقيل يقول المجيب في ذلك صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاذا سمعت الاقامة فقل) في الجواب (مثل ما يقول) أي المقيم (الا في قوله قد قامت الصلاة فقل) في جواب كل من المرتين (أقامها الله وأدامها ما دامت السموات والارض) ويسن أن يزيد بعد ذلك وجعلني من صالحي أهلها (فاذا فرغت من جواب المؤذن) في الاذان أي ومن جواب المقيم في الاقامة أو فرغت من الاذان والاقامة ان كنت مؤذنا ومقيما فصل وسلم على النبي صلى الله عليه وسلم (فقل اللهم اني أسألك عند حضور صلاتك وأصوات دعاتك) بضم الدال وبالتاء في آخره جمع داع (وادبار ليلك واقبال نهارك أن تؤتي محمدا الوسيلة) أي المنزلة العلية في الجنة التي لا تنبغي الا له صلى الله عليه وسلم (والفضيلة) أي المرتبة الزائدة على سائر الخلائق كما أفاده القسطلاني (والدرجة الرفيعة وابعثه المقام) أي أعطه المقام مفعول به لابعثه لتضمنه معنى أعطه أو مفعول فيه أي أقمه في المقام كما أفاده البجيرمي (المحمود الذي وعدته) بقولك تباركت وتعاليت عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا (انك لا تخلف الميعاد يا أرحم الراحمين) وهذا الدعاء مخصوص في وقت الصبح وأما الدعاء الذي يسن للمؤذن والمقيم وسامعهما في كل وقت فهو الدعاء المشهور وهو اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته أي يسن بعد فراغ الاذان والاقامة لكل من المؤذن والسامع والمستمع غير امام الجمعة في الاقامة أن يدعو بهذا الدعاء بعد الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم كما أفاده الوناني فمعنى هذه الدعوة التامة هي الاذان سمي بذلك لجمعها العقائد بتمامها ومعنى القائمة أي الدائمة التي لا تغيرها ملة ولا تنسخها شريعة ومعنى وابعثه مقاما أي أعطه مقاما أو أقمه في مقام أو ابعثه ذا مقام محمود وهو هنا اتفاقا مقام الشفاعة العظمى في فصل القضاء يحمده فيه الاولون والآخرون لانه المتصدي له بسجوده أربع سجدات تحت العرش حتى أجيب لما فزعوا اليه بعد فزعهم لآدم ثم لأولي العزم نوح فابراهيم فموسى فعيسى واعتذار كل منهم والموصول مع الصلة اما بدل من النكرة أو صفة لها على رأي الاخفش لانها وصفت أو عطف بيان ويجوز القطع للرفع أو النصب وانما نكر مقاما محمودا لانه أفخم وأجزل كانه قيل مقاما وأي مقام يغبطه فيه الاولون والآخرون محمودا يكل عن أوصافه ألسنة الحامدين ويشرف به على جميع العالمين يسأل فيعطى ويشفع فيشفع وليس أحد الا تحت لوائه كما أفاده القسطلاني وابن حجر وأما لفظ والدرجة الرفيعة ولفظ يا أرحم الراحمين فكلاهما لا أصل لهما من الحديث على ما قاله ابن حجر (فاذا سمعت الاذان) أي أو الاقامة (وأنت في الصلاة فتمم الصلاة) ولا تجبه فان الجواب حينئذ مكروه (ثم تدارك الجواب بعد السلام على وجهه) أي طريقه وترتيبه وكذا ان كنت خارج الصلاة ولم تتابع الجواب حتى فرغ المؤذن من الاذان أو الاقامة فيستحب أن تتدارك متابعة الجواب ولو لغير عذر ان لم يطل الفصل عرفا وضبطه بعضهم بركعتين بأقل ممكن ولو لم تسمع الا آخر الاذان أو الاقامة أجبت من الاول فتجيب في الجميع وتجيب أيضا في الترجيع وان لم تسمعه على ما قاله الوناني (فاذا أحرم الامام بالفرض فلا تشتغل الا بالاقتداء به وصل الفرض كما سيتلى عليك) الكاف بمعنى على أي على الوجه الذي سيذكر ويبين لك (في) فصل (كيفية الصلاة وآدابها) بعد الفصل الذي ذكر كيفية النوم فالكيفية هي العلة الصورية فالاضافة من اضافة العلة الصورية لمعلولها والعلة الصورية جزء من الصلاة فان كل شيء له علل أربع علة صورية وعلة مادية وعلة فاعلية وعلة غائية فالعلة المادية سبب في العلة الصورية فالعلة الفاعلية في الصلاة المصلي والمادية الاركان والغائية لحصول الثواب فقد وجدت العلل الاربع في الصلاة والعلة الصورية هي الفاتحة من هذا المركب كذا أفاد الشيخ عطية الاجهوري (فاذا فرغت) اي من ركعتي الفرض (فقل) بعد الاستغفار ثلاثا كما رواه مسلم عن ثوبان عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت

الصلاة خير من النوم فقل صدقت وبررت وأنا على ذلك من الشاهدين فاذا سمعت الاقامة فقل مثل ما يقول الا في قوله قد قامت الصلاة فقل أقامها الله وأدامها ما دامت السموات والارض فاذا فرغت من جواب المؤذن فقل اللهم اني أسألك عند حضور صلاتك وأصوات دعاتك وادبار ليلك واقبال نهارك أن تؤتي محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته انك لا تخلف الميعاد يا أرحم الراحمين فاذا سمعت الاذان وأنت في الصلاة فتمم الصلاة ثم تدارك الجواب بعد السلام على وجهه فاذا أحرم الامام بالفرض فلا تشتغل الا بالاقتداء به وصل الفرض كما سيتلى عليك في كيفية الصلاة وآدابها فاذا فرغت فقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت

السلام ومنك السلام واليك يعود السلام فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا الجنة دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير

لا اله الا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون * ثم ادع بعد ذلك بالجوامع الكوامل وهو ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها فقل اللهم اني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم وأسألك الجنة وما يقرب اليها من قول وعمل ونية واعتقاد وأعوذ بك من النار وما يقرب اليها من قول وعمل ونية واعتقاد وأسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم وما قضيت علي من أمر فاجعل عاقبته رشدا ثم ادع بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها فقل ياحي ياقيوم ياذا الجلال والاكرام لا اله الا أنت برحمتك أستغيث ومن عذابك أستجير لا تكلني الى نفسي ولا الى أحد من خلقك طرفة عين وأصلح لي شأني كله بما أصلحت به الصالحين ثم قل ما قاله عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام اللهم اني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الامر بيدك لا بيد غيرك وأصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير أفقر مني اليك ولا غني أغنى منك عني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسوء بي صديقي

السلام) أي السالم من كل مالا يليق بجلال الربوبية وكمال الالوهية (ومنك السلام) أي السلامة من كل مكروه (واليك يعود السلام) أي السلام منا في آخر الصلاة (فحينا) أي أكرمنا (ربنا بالسلام) أي بالامن مما جنيناه وبالعفو عما اقترفناه (وأدخلنا الجنة) وفي نسخة بدل الجنة دارك وفي الاحياء سقوطهما (دار السلام) أي السلامة من التباغض والآفات ولان الملائكة يقولون لاهلها سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار (تباركت) أي تقدست كما قاله العزيزي وفي نسخة بعد ذلك وتعاليت أي تنزهت وفي الاحياء سقوطه (ياذا الجلال) أي الشرف والكمال فلا شرف ولا كمال الا له (والاكرام) فلا مكرمة الا وهي منه تعالى ثم يفتتح الدعاء عقب الصلاة بقوله (سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب) أي كثير النعم دائم العطاء روى سلمة بن الاكوع ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستفتح دعاءه بقوله سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب ثلاثا (لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده) أي بقدرته وتدبيره (الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) هذا كما في الاحياء وقال النووي في الاذكار روينا في صحيح مسلم عن عبد الله بن الزبير أنه كان يقول دبر كل صلاة حين يسلم لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لا حول ولا قوة الا بالله لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا اله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون (ثم ادع بعد ذلك بالجوامع) أي بجوامع الكلم كما قاله المناوي (الكوامل) أي كوامل الادعية (وهو ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة) الصديقة (رضي الله عنها فقل اللهم اني أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم وأسألك الجنة وما يقرب اليها من قول وعمل ونية واعتقاد وأعوذ بك من النار وما يقرب اليها من قول وعمل ونية واعتقاد) وقوله ونية واعتقاد في الموضعين لم يذكر في الاحياء ولا في الجامع وقوله وعمل بالواو في الموضعين كما في الاحياء وباو كما في الجامع (وأسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم) قوله من خير بالتنكير موافق للجامع وأما الذي في الاحياء فبالتعريف فما مفعول ثان ومن خير بيان له ان قرئ بالتنكير أو التعريف وأما ان قرئ باضافة خير الى ما فهو مفعول ثان ومن اما زائدة أو تبعيضية وقوله ونبيك موافق للجامع وفي الاحياء ورسولك بدله كما في بعض النسخ لهذا الكتاب وعبارة الجامع وأعوذ بك من شر ما عاذ به وعبارة الاحياء وأستعيذك مما استعاذك منه كما في بعض نسخ هذا الكتاب وأما كلمة منه في الموضع الاول فساقطة في الاحياء والجامع (اللهم وما قضيت علي من أمر فاجعل عاقبته رشدا) أي اصابة للخير كما قاله الرملي وفي الجامع وهو رواية عن ابن ماجه عن عائشة بدل ذلك (وأسألك أن تجعل كل قضاء قضيته لي خيرا ثم ادع بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم) سيدتنا (فاطمة رضي الله عنها فقل ياحي ياقيوم) أي قائم بنفسه ومقيم لغيره (ياذا الجلال والاكرام برحمتك أستغيث) والمعنى اكشف شدتي (ومن عذابك أستجير لا تكلني الى نفسي ولا الى أحد من خلقك طرفة عين) والمعنى قم بامري ولا تتركني أعاني ولو قدر تحرك العين (وأصلح لي شأني كله) أي اجعل أمري كله صوابا وخيرا وهذا مثل ما في الاحياء الا قوله ولا الى أحد من خلقك فهو ساقط فيه وقد يوجد في بعض النسخ زيادة على ذلك فلعله من النساخ (ثم قل ما قاله) سيدنا (عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام اللهم اني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الامر بيدك لا بيد غيرك وأصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير أفقر مني اليك ولا غني أغنى منك عني) وهذه الجملة الاخيرة مع قوله اليك ساقطة في الاحياء كما في نسخة (اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسوء بي صديقي) بفتح الصاد ومعنى الجملتين يا الله لا تنزل بي بلية تفرح عدوي ولا مصيبة تحزن الصادق في

وذى ونشمت بضم التاء وسكون الشين وكسر الميم بمعنى تفرح وتسوؤ بفتح التاء وضم السين بمعنى تحزن فهو متعد بنفسه كما فى الصحاح (ولاتجعل مصيبتى فى دينى) فان مصيبة الدين أعظم من مصيبة الدنيا (ولاتجعل الدنيا أكبر همى) بفتح الهاء أى مرادى (ولامبلغ علمى) أى ولاتجعل الدنيا محل وصول علمى بل اجعل علمى واصلا اليك وهذه الكلمة ساقطة فى الاحياء (ولاتسلط على بذنبى من لايرحمنى) أى لاتجعل من لايعطف على قاهرا على بسبب ذنبى عندك وفى بعض النسخ بذنوبى بالجمع وفى الاحيا سقوطه كما فى نسخة (ثم ادع بما بدا) أى ظهر (لك من الدعوات المشهورات) والاولى أن تأتى بسيد الاستغفار وهو اللهم أنت ربى لااله الاأنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لايغفر الذنوب الاأنت أعوذ بك من شر ماصنعت وروى عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح أو يمسى اللهم انى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لااله الاأنت وان محمدا عبدك ورسولك أعتق الله ربعه من النار فمن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار ومن قالها ثلاثا أعتق ثلاثة أرباعه فان قالها أربعا أعتقه الله تعالى من النار وعن أم سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الصبح قال اللهم انى أسألك علما نافعا وعملا متقبلا ورزقا طيبا هكذا فى الاذكار للنووى رحمه الله تعالى وقال الغزالى لبعض تلامذته واقرأ هذا الدعاء فى أوقاتك خصوصا أعقاب صلواتك اللهم انى أسألك من النعمة تمامها ومن العصمة دوامها ومن الرحمة شمولها ومن العافية حصولها ومن العيش ارغده ومن العمر أسعده ومن الوقت أطيبه ومن الاحسان أتمه ومن الانعام أعمه ومن الفضل أعذبه ومن اللطف أنفعه ومن الرزق أوسعه اللهم كن لنا ياجبار ولاتكن علينا اللهم اختم بالسعادة آجالنا وحقق بالزيادة أعمالنا واقرن بالعافية غدونا وآصالنا واجعل الى مغفرتك ورحمتك مصيرنا ومآلنا واصبب سجال عفوك على ذنوبنا ومن علينا باصلاح عيوبنا واجعل التقوى زادنا وفى دينك اجتهادنا وعليك توكلنا واعتمادنا ثبتنا على نهج الاستقامة وأعذنا فى الدنيا والآخرة من موجبات الندامة يوم القيامة اللهم خفف عنا ثقل الاوزار وارزقنا معيشة الابرار واكفنا واصرف عنا شر الاشرار وأعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا واخواننا وأخواتنا من النار برحمتك ياعزيز ياغفار ياكريم ياستار ياحليم ياجبار يالله يالله يالله ياأرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين (واحفظها) أى الدعوات (مما أوردناه) أى أحضرناه وذكرناه (فى كتاب الدعوات من كتاب احياء علوم الدين) فادع بجميعها ان قدرت عليه او احفظ منها ماتراه أوفق بحالك وأرق لقلبك وأخف على لسانك كما قاله الشيخ الغزالى ومن الدعوات المذكورة فى الاحياء دعاء سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام ومن دعا بذلك اذا أصبح فقد أدى شكر يومه وهو اللهم هذا خلق جديد فافتحه على بطاعتك واختمه لى بمغفرتك ورضوانك وارزقنى فيه حسنة تقبلها منى وزكها وضعفها لى وماعملت فيه من سيئة فاغفرها لى انك غفور رحيم ودود كريم ومنها دعاء عتبة الغلام وقد رؤى فى المنام فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات اللهم ياهادى المضلين وراحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الاخيار المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين (ولتكن أوقاتك بعد الصلاة الى طلوع الشمس موزعة) أى مقسومة (على أربع وظائف) أى أوراد (وظيفة فى الدعوات) فليبدأها بذكر الله كما مر ذكره ولايبدأ بالسؤال قال سلمة بن الاكوع ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الااستفتحه بقوله سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب وليبدأها بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ثم اسأل حاجتك ثم اختم بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فان الله يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع مابينهما كذا فى الاحياء (ووظيفة فى الاذكار والتسبيحات) وهى كلمات ورد فى تكرارها فضائل وستأتى فى كلامه (وتكررها فى سبحة) بضم السين وهى خرزات منظومة وتسمى أيضا مذكرة أو فى يدك (ووظيفة فى قراءة القرآن) فان القرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء اذا كان

ولاتجعل مصيبتى فى دينى ولاتجعل الدنيا أكبر همى ولامبلغ علمى ولاتسلط على بذنبى من لايرحمنى * ثم ادع بما بدا لك من الدعوات المشهورات واحفظها مما أوردناه فى كتاب الدعوات من كتاب احياء علوم الدين ولتكن أوقاتك بعد الصلاة الى طلوع الشمس موزعة على أربع وظائف وظيفة فى الدعوات ووظيفة فى الاذكار والتسبيحات وتكررها فى سبحة ووظيفة فى قراءة القرآن

بتدبر فيستحب لك قراءة جملة من الآيات التي وردت الاخبار بفضلها وهو أن تقرأ سورة الفاتحة وآية الكرسي وخاتمة البقرة من قوله آمن الرسول وشهد الله وقل اللهم مالك الملك الآيتين وقوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخرها وقوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الى آخرها وقوله سبحانه وتعالى الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية وخمس آيات من أول الحديد وثلاثا من آخر سورة الحشر هكذا في الاحياء (ووظيفة في التفكر) فيهما تيسر لك الفكر فهو أشرف العبادات اذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين أحدهما زيادة المعرفة اذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف والثاني زيادة المحبة اذ لا يحب القلب الا من اعتقد تعظيمه ولا تنكشف عظمة الله تعالى الا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة (فتفكر) بضم التاء وفتحها وسكون الفاء وكسر الكاف مضارع أفكر بالهمزة وفكر من باب ضرب كما في الصحاح والمصباح (في) ماينفعك في المعاملة مع الله بان تحاسب نفسك فيما سبق من (ذنوبك وخطاياك وتقصيرك) أي توانيك (في عبادة مولاك) وتفكر فيما ينفعك في علم المكاشفة (و) ذلك بأن تفكر مرة في (تعرضك) أي اقبالك (لعقابه الاليم وسخطه العظيم) أو في نعم الله تعالى وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة (وترتب) بصيغة المضارع المفيد للخطاب معطوف على تفكر (بتدبيرك) أي فكرك (أورادك في جميع يومك لتتدارك به مافرط) أي سبق (من تقصيرك) ولتصلحه (وتحترز من التعرض لسخط الله الاليم في يومك) وتزيد معرفتك بقدرة الاله ويزيد خوفك منه ولتزيد معرفتك بالآلاء ويكثر شكرك عليها فقوله لتتدارك علة لقوله تفكر في ذنوبك وقوله وتحترز علة لقوله وتعرضك (وتنوى الخير) معطوف أيضا على تفكر أي تحضر في قلبك نية أداء الخير في أعمالك لنفسك وفي معاملتك (لجميع المسلمين) فنية المرء خير من عمله (وتعزم على أن لا تشتغل في جميع نهارك الا بطاعة الله تعالى وتقصد) وفي بعض النسخ وتنصل (في قلبك الطاعات التي تقدر عليها وتختار) أي بخلدك (أفضلها) أي الطاعات (وتتأمل) اي ترقب (تهيئة أسبابها لتشتغل بها ولاتدع عنك التفكر في قرب الاجل وحلول الموت القاطع للامل) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هادم اللذات معناه نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى وقالت عائشة يارسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة (وخروج الامر من الاختيار) وهو خلاف الاضطرار وهذا معطوف على قرب الاجل (وحصول الحسرة) بالحاء المهملة أي الحزن والندامة في الآخرة (بطول الاغترار) أي الغفلة عن الموت في الدنيا فانها تدعو الى الانهماك في شهوات الدنيا (وليكن من تسبيحاتك وأذكارك عشر كلمات احداهن لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لايموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير الثانية لا اله الا الله الملك الحق المبين) فمعنى الملك ذو الملك والمراد به القدرة على الايجاد ومعنى الحق الثابت ومعنى المبين المظهر للصراط المستقيم لمن شاء هدايته كما قاله العزيزي (الثالثة لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار) فمعنى الواحد الذي لا ينقسم ولا مشابهة بينه وبين غيره ومعنى القهار هو الذي لا موجود الا وهو مقهور تحت قدرته ومعنى العزيز الغالب ومعنى الغفار هو الذي يستر القبائح والذنوب باسبال الستر عليها في الدنيا وترك المؤاخذة بالعفو عنها في العقبى ويصون العبد من اوزارها كذا في شرح الجامع (الرابعة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم) وهذه الكلمة الى قوله والله أكبر تسمى الباقيات الصالحات وقيل هي الى قوله الا بالله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان أقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أحب الي مما طلعت عليه الشمس (الخامسة سبوح قدوس) وهما اسمان من أسماء الله تعالى قال ثعلب كل اسم جاء على فعول فهو مفتوح الاول الا السبوح والقدوس فان الضم فيهما أكثر وقد يفتحان وقرأهما سيبويه بالفتح والفرق بين التسبيح والتقديس أن التسبيح يكون بالطاعات والعبادات والتقديس يكون بالمعارف في ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله أي فيكون التقديس التفكر في

ووظيفة في التفكر فتفكر في ذنوبك وخطاياك وتقصيرك في عبادة مولاك وتعرضك لعقابه الاليم وسخطه العظيم وترتب بتدبيرك أورادك في جميع يومك لتتدارك به مافرط من تقصيرك وتحترز من التعرض لسخط الله الاليم في يومك وتنوى الخير لجميع المسلمين وتعزم أن لا تشتغل في جميع نهارك الا بطاعة الله تعالى وتقصد في قلبك الطاعات التي تقدر عليها وتختار أفضلها وتتأمل تهيئة أسبابها لتشتغل بها ولاتدع عنك التفكر في قرب الاجل وحلول الموت القاطع للامل وخروج الامر عن الاختيار وحصول الحسرة والندامة بطول الاغترار وليكن من تسبيحاتك وأذكارك عشر كلمات احداهن لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لايموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير الثانية لا اله الا الله الملك الحق المبين الثالثة لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار الرابعة سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم الخامسة سبوح قدوس

ذلك (رب الملائكة والروح) وفي الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن السني
عن الزبير ما من صباح يصبح العباد فيه الا وصارخ يصرخ أيها الخلائق سبحوا الملك القدوس رب الملائكة
والروح قال الشربيني الروح هو جبريل عليه السلام وقال بعضهم الروح ملك رأسه تحت العرش
ورجلاه في تخوم الارض السابعة وله ألف رأس كل رأس أعظم من الدنيا وفي كل رأس ألف وجه وفي كل
وجه ألف فم وفي كل فم ألف لسان يسبح الله تعالى بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد
ولكل لسان لغة لا تشبه لغة الآخر فاذا افتتح أفواهه بالتسبيح خرت ملائكة السموات السبع سجدا مخافة
أن تحرقهم أنوار أفواهه (السادسة سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) ومعنى العظيم البالغ في
أقصى مراتب العظمة وهو الذي لا يتصوره عقل ولا يحيط بكنهه بصيرة وقال جابر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة (السابعة أستغفر الله العظيم الذي لا اله
الا هو الحي القيوم وأسأله التوبة) أي المغفرة والانقاذ من المعاصي وفي بعض النسخ بعد ذلك زيادة
والمغفرة وفي الاحياء عدمها (الثامنة اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا راد لما قضيت)
هذه الاخيرة ساقطة في الاحياء (ولا ينفع ذا الجد منك الجد) أي لا ينفع ذا الغني عندك غناه وانما ينفعه
العمل بطاعتك ومعنى منك عندك (التاسعة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم العاشرة بسم الله
الذي لا يضر مع اسمه شئ في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم) وهذه الكلمات مخالفة لما في الاحياء
من الترتيب وبعض الكلمات وفيه وهذه الكلمات عشرة الاولى قوله لا اله الا الله الى آخرها بلا مخالفة
الثانية قوله سبحان الله والحمد لله الى آخرها لكن باسقاط العلي العظيم الثالثة قوله سبوح قدوس رب
الملائكة والروح بلا مخالفة الرابعة قوله سبحان الله العظيم وبحمده الخامسة قوله أستغفر الله العظيم
الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأسأله التوبة السادسة قوله اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا
ينفع ذا الجد منك الجد السابعة قوله لا اله الا الله الملك الحق المبين الثامنة قوله بسم الله الذي لا يضر مع اسمه
شئ في الارض ولا في السماء وهو السميع العليم التاسعة قوله اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي
الامي وعلى آله وصحبه وسلم العاشرة قوله أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من
همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ثم قال المصنف وان قرأت المسبعات العشر التي أهداها
الخضر عليه السلام الى ابراهيم التيمي فقد استكمل لك الفضل وجمع لك ذلك فضيلة جملة الادعية المذكورة
وهي ان تقرأ قبل طلوع الشمس وقبل الغروب سورة الحمد وقل أعوذ برب الناس وقل أعوذ برب الفلق وقل
هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسي كل واحدة سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله أكبر سبعا وتصلي على النبي صلى الله عليه وسلم سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك وللمؤمنين
والمؤمنات سبعا وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل
بنا يا مولانا ما نحن له أهل انك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم سبع مرات ولا تدع ذلك غدوة وعشية
(تكرر) بصيغة المضارع الذي للخطاب (كل واحدة من هذه الكلمات اما مائة مرة أو سبعين مرة أو عشر
مرات وهو) أي العشرة (أقله) اى التكرير (ليكون المجموع مائة مرة) فهو أفضل من أن تكرر ذكرا
واحدا مائة مرة لان لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلا بانفراده وللقلب بكل واحد نوع تنبه
وتلذذ وللنفس في الانتقال من كلمة الى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل كذا قال المصنف في الاحياء
(ولازم هذه الاوراد) وفي بعض النسخ هذه الاذكار وقال في الاحياء وأقل ما ينبغي أن تكرر كل واحدة
من هذه الكلمات ثلاثا أو سبعا وأكثره مائة أو سبعون وأوسطه عشر وفضل الاكثر أكثر والاوسط
أن تكررها عشر مرات فهو أجدر بأن تدوم عليه وخير الامور أدومها وان قل وكل وظيفة لا يمكن
المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة أفضل وأشد تأثيرا في القلب من كثيرها مع الفترة (ولا
تتكلم قبل طلوع الشمس ففي الخبر ان ذلك) أي عدم الكلام قبل طلوع الشمس (أفضل من

رب الملائكة والروح
السادسة سبحان الله وبحمده
سبحان الله العظيم السابعة
أستغفر الله العظيم الذي
لا اله الا هو الحي القيوم
وأسأله التوبة والمغفرة
الثامنة اللهم لا مانع لما
أعطيت ولا معطي لما منعت
ولا راد لما قضيت ولا ينفع
ذا الجد منك الجد التاسعة
اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد وصحبه وسلم العاشرة
بسم الله الذي لا يضر مع
اسمه شئ في الارض ولا في
السماء وهو السميع العليم
تكرر كل واحدة من هذه
الكلمات اما مائة مرة أو
سبعين مرة أو عشر مرات
وهو أقله ليكون المجموع
مائة ولازم هذه الاوراد ولا
تتكلم قبل طلوع الشمس
ففي الخبر ان ذلك أفضل من

اعتاق ثمـان رقاب) ثمـان بحذف اليـاء (من ولد اسمعيل على نبينا وعليـه الصلاة والسلام) أى لوفرض أن ولد اسمعيل عبد وهولم يكن كذلك بل هو من أفضل الناس واثمـادل هذا الحديث على زيادة فضيلة صاحب هذا العمل (أعنى) باسم الاشارة (الاشتغال بالذكر) أى بأى ذكر كان لا بخصوص هذه الكلمات (الى طلوع الشمس من غير أن يتخلله) أى الذكر (كلام) فقد قال صلى الله عليه وسلم لان أقعـد فى مجلس أذكر الله تعالى فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس أحب الى من أن أعتق أربع رقاب وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى قال يا ابن آدم اذكرنى بعـد صلاة الفجر ساعة وبعـد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما كذا فى الاحياء وروى عن أنس أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة كذا فى الاذكار

﴿ آداب ما بعد طلوع الشمس الى الزوال ﴾

(فاذا طلعت الشمس وارتفعت قدر رمح) أو قدر نصفه كما فى الاحياء (فصل ركعتين) اما بنية صلاة الاشراق بناء على القول بأنها غير صلاة الضحى أو بنية الضحى بناء على أنها هى وهو المعتمد فقد روى على رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى ست ركعات فى وقتين اذا أشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين واذا انبسطت الشمس وكانت فى ربع السماء من جانب الشرق صلى أربعا (وذلك) أى فعل ركعتين (عند زوال وقت الكراهة) أى كراهة التحريم (للصلاة فانها) أى الصلاة (مكروهة) مع عدم صحتها (من بعد فريضة الصبح الى ارتفاع الشمس) وهو ظهور تمام نورها (فاذا أضحى) أى علا (النهار ومضى منـه قريب من ربعه فصل صلاة الضحى أربعا أو ستا أو ثمانيا) وهى أفضلها وأكثرها على المعتمد (مثنى مثنى) أى سلم من كل ركعتين وهو أفضل وذكر السيوطى أن الافضل أن يقرأ الانسان فى الركعة الاولى منها بعد الفاتحة سورة والشمس بتمامها وفى الثانية الفاتحة وسورة والضحى وتبعه على ذلك ابن حجر لكن الرملى اعتمد أنه يقرأ فى الركعة الاولى الكافرون وفى الثانية الاخلاص ويفعل ذلك فى كل ركعتين منها (فقـد نقلت هـذه الاعداد كلها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) كما قالت أم هانئ صلى النبى صلى الله عليه وسلم سبحة الضحى ثمان ركعات يسلم من كل ركعتين رواه أبو داود (والصلاة خير كلها فمن شاء فليستكثر ومن شاء فليستقلل) كما فى الحديث الذى رواه الطبرانى عن أبى هريرة الصلاة خير موضوع فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر أى الصلاة أفضل ما وضعه الله أى ما شرعه لعباده من العبادة فمن استطاع أن يكثر فعلها فليكثره فانها أفضل العبادات البدنية بعد الايمان (فليس بين طلوع الشمس والزوال راتبة من الصلاة الا هذه) أى صلاة الضحى وفى بعض النسخ فليس بين الطلوع والزوال راتبة الا هذه الصلوات (فما فضل منها فى أوقاتك فلك فيه أربع حالات الحالة الاولى وهى الافضل أن تصرفه) أى فاضل الاوقات فى نفع الناس بعلمك فى فتوى وتدريس أو تصنيف أو مطالعة للكتب فان أمكنك استغراق الاوقات فى ذلك فهو أفضل ما تشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها لان فى ذلك منفعة الخلق وهدايتهم الى طريق الآخرة ورب مسئلة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضائعا هـذا ان كنت عالما وأما اذا كنت متعلما فالافضـل أن تصرف أوقاتك (فى طلب العلم النافع فى الدين) حيث يشتغل العالم بالافادة وفى نسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف وكذا لو لم تكن متعلما بأن تتعلق بأن تحصل لتصير عالما بل لو كنت من العوام فحضورك مجالس الوعظ والعلم أفضل من اشتغالك بالاوراد والنوافل كما فى حديث أبى ذر رضى الله عنه أن حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض (دون الفضول) أى الذى لا ينفع (الذى أكب) أى لازم (الناس عليه وسموه علما) وذلك كعلم السحر والنجوم (والعلم النافع) المقدم على العبادة (هو ما يزيد فى خوفك من الله تعالى ويزيد فى بصيرتك) أى علمك (بعيوب نفسك ويزيد فى معرفتك بعبادة ربك ويقلل من رغبتك فى الدنيا ويزيد فى رغبتك فى الآخرة ويفتح بصيرتك بآفات أعمالك حتى تحترز منها) ويعينك

اعتاق ثمان رقاب من ولد اسمعيل على نبينا وعليـه الصلاة والسـلام أعنى الاشتغال بالذكر الى طلوع الشمس من غير أن يتخلله كلام

(آداب ما بعد طلوع الشمس الى الزوال)

فاذا طلعت الشمس وارتفعت قدر رمح فصل ركعتين وذلك عند زوال وقت الكراهة للصلاة فانها مكروهة من بعد فريضة الصبح الى ارتفاع الشمس فاذا أضحى النهار ومضى منه قريب من ربعه فصـل صلاة الضحى أربعا أو ستا أو ثمانيا مثنى مثنى فقد نقلت هذه الاعداد كلها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة خير كلها فمن شاء فليستكثر ومن شاء فليستقلل فليس بين طلوع الشمس والزوال راتبة من الصلاة الا هذه فما فضل منها من أوقاتك فلك فيه أربع حالات الحالة الاولى وهى الافضل أن تصرفه فى طلب العلم النافع فى الدين دون الفضول الذى أكب الناس عليه وسموه علما والعلم النافع هو ما يزيد فى خوفك من الله تعالى ويزيد فى بصيرتك بعيوب نفسك ويزيد فى معرفتك بعبادة ربك ويقلل من رغبتك فى الدنيا ويزيد فى رغبتك فى الآخرة ويفتح بصيرتك بآفات أعمالك حتى تحترز منها

على سلوك طريق الآخرة اذا تعلمت ذلك العلم على قصد الاستعانة به على السلوك (ويطلعك) أى يعلمك (على مكايد الشيطان) أى مكره (وغروره) أى خديعته (وكيفية تلبيسه) أى تدليسه وخيانته (على علماء السوء) وهم الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه (حتى عرضهم) أى وجههم (لمقت الله تعالى) أى بغضه (وسخطه) أى غضبه (حيث أكلوا) أى أخذوا (الدنيا بالدين) فقوله حيث أكلوا الى آخره تعليل لتسميتهم علماء السوء أى وانما سموا علماء السوء لانهم أكلوا (واتخذوا) أى جعلوا (العلم ذريعة ووسيلة الى أخذ أموال السلاطين وأكل أموال الاوقاف) أى التى وقفت على العلماء (واليتامى والمساكين وصرف) أى أمال الشيطان بالافراد معطوف على عرضهم وفى بعض النسخ وصرفوا بالجمع عطفا على أكلوا (همتهم) بكسر الهاء أى عزمهم القوى (طول نهارهم الى طلب الجاه) أى الرتبة فهو مقلوب من الوجه (والمنزلة) أى العظم والارتفاع (فى قلوب الخلق واضطرهم) أى الجأهم وأكرههم (ذلك) أى صرف الهمة الى ماذكر والمناسب أن يقول فاضطرهم بالفاء ليكون تفريعا على قوله وصرف همتهم (الى المراآة) أى اظهار العبادة بقصد رؤية الناس لها ليحمدوهم (والمماراة) أى المجادلة (والمناقشة) بالقاف والشين المعجمة أى الاستقصاء (فى الكلام) وفى بعض النسخ والمنافسة بالفاء والسين المهملة مع اسقاط قوله فى الكلام فمعناها الرغبة فى العلم والعمل على وجه المماراة أى المعارضة (والمباهاة) أى التعاظم والتكبر (وهذا الفن) أى النوع الذى هو (من العلم النافع قد جمعناه فى كتاب احياء علوم الدين) واذكر تلخيص ما فيه وهو أن العلم النافع قسمان قسم محمود قليله وكثيره وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه فالاول هو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته فى خلقه وحكمته فى ترتيب الآخرة على الدنيا والثانى ينقسم الى أربعة أقسام أصول وفروع ومقدمات ومتممات فالاصول هى أربعة كتاب الله تعالى وسنة رسوله واجماع الامة وآثار الصحابة فهذان أصلان من حيث انهما يدلان على السنة والفروع على قسمين أحدهما ما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه وثانيهما ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة وما هو مرضى عند الله تعالى وما هو مكروه والمقدمات هى التى تجرى مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وليست اللغة والنحو من العلوم الشريفة فى أنفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع اذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابة الخط والمتممات هى فى علم القرآن فانه ينقسم الى ثلاثة أنواع قسم يتعلق باللفظ كتعلم القرآن ومخارج الحروف وقسم يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده على النقل اذ اللغة بمجردها لا تستقل به وقسم يتعلق بأحكام القرآن كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذى يسمى أصول الفقه وأما المتممات فى الآثار والاخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم وأسماء الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة فى الرواة والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوى والعلم بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند فهذه هى العلوم الشرعية وكلها من فروض الكفايات (فان كنت من أهله) أى العلم النافع المذكور كله (فحصله) أى اطلبه بتعلمه من أهله (واعمل به) أى بذلك العلم (ثم علمه) للناس (وادع اليه) أى العلم المذكور (فمن علم ذلك) أى العلم النافع (وعمل به ثم علمه ودعا اليه فذلك) أى الشخص المتصف بذلك المذكور (يدعى) أى يسمى (عظيما فى ملكوت السموات بشهادة عيسى عليه السلام) أى لان سيدنا عيسى قال من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السموات وقال النبى صلى الله عليه وسلم من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقا (فاذا فرغت من ذلك) أى العلم النافع (كله وفرغت من اصلاح نفسك ظاهرا وباطنا وفضل شىء من أوقاتك فلا بأس أن تشتغل بعلم المذهب فى الفقه لتعرف به الفروع النادرة) أى الخارجة عن فرض العين (فى العبادات وطريق التوسط) أى العدل (بين الخلق فى الخصومات عند انكبابهم) أى اقبالهم (على الشهوات) أى جميع اشتياق النفس (فذلك) أى

ويطلعك على مكايد الشيطان وغروره وكيفية تلبيسه على علماء السوء حتى عرضهم لمقت الله تعالى وسخطه حيث أكلوا الدنيا بالدين واتخذوا العلم ذريعة ووسيلة الى أخذ أموال السلاطين وأكل أموال الاوقاف واليتامى والمساكين وصرفوا همتهم طول نهارهم الى طلب الجاه والمنزلة فى قلوب الخلق واضطرهم ذلك الى المراآة والمماراة والمناقشة فى الكلام والمباهاة وهذا الفن من العلم النافع قد جمعناه فى كتاب احياء علوم الدين فان كنت من أهله فحصله واعمل به ثم علمه وادع اليه فمن علم ذلك وعمل به ثم علمه ودعا اليه فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السموات بشهادة عيسى عليه السلام فاذا فرغت من ذلك كله وفرغت من اصلاح نفسك ظاهرا وباطنا وفضل شىء من أوقاتك فلا بأس أن تشتغل بعلم المذهب فى الفقه لتعرف به الفروع النادرة فى العبادات وطريق التوسط بين الخلق فى الخصومات عند انكبابهم على الشهوات فذلك

الاشتغال

الى تركـ ماذكرناه من الاوراد والاذكار استثقالا لذلك فاعلم أن الشيطان اللعين قد دس فى قلبك الداء الدفين وهو حب المال والجاه فاياك أن تغتر به فتكون ضحكة له فيهلكك ثم يسخر بك فان جربت نفسك مدة فى الاوراد والعبادات فكانت لا تستثقلها كسلا عنها لكن ظهرت رغبتك فى تحصيل العلم النافع ولم ترد به الا وجه الله تعالى والدار الآخرة فذلك أفضل من نوافل العبادات مهما صحت النية ولكن الشأن فى صحة النية فان لم تصح النية فهو معدن غرور الجهال ومزلة أقدام الرجال * الحالة الثانية أن لا تقدر على تحصيل العلم النافع فى الدين ولكن تشتغل بوظائف العبادات من الذكر والتسبيح والقراءة والصلاة فذلك من درجات العابدين وسير الصالحين وتكون أيضا بذلك من الفائزين * الحالة الثالثة أن تشتغل بما يصل منه خير الى المسلمين ويدخل به سرور على قلوب المؤمنين أو يتيسر به الاعمال الصالحة للصالحين كخدمة الفقهاء والصوفية وأهل الدين والتردد فى أشغالهم والسعى فى اطعام الفقراء والمساكين والتردد مثلا على المرضى بالعيادة وعلى الجنائز بالتشييع فكل ذلك

الاشتغال بعلم المذهب (أيضا بعد الفراغ من هذه المهمات) أى الامور اللازمة (من جملة فروض الكفايات) ومن فروض الكفاية تعلم الطب وقال الزيادى وطلب العلم الشرعى على ثلاثة أقسام فرض عين وهو تعلم مالا بد منه وفرض كفاية وهو تعلم ما يصل الى درجة الافتاء وسنة وهو ما زاد على ذلك اه وقال الغزالى فكن أحد رجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا لغيرك بعد الفراغ من نفسك واياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذى هو فرض عينك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وانما الاهم علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها (فان دعتك نفسك) أى الامارة اللوامة (الى ترك ما ذكرناه من الاوراد والاذكار استثقالا لذلك) أى معتقدا ثقل ذلك المذكور (فاعلم أن الشيطان اللعين) أى البعيد عن الخير (قد دس) أى أخفى (فى قلبك الداء الدفين وهو حب المال والجاه) أى القدر (فاياك) أى احذر تلاقيك (أن تغتر به) أى تظن الأمن من الشيطان فلم تتحفظ منه (فتكون ضحكة) بضم الضاد وفتح الحاء أى كثير الضحك ٢ (له) أى الشيطان (فيهلكك ثم يسخر) أى يهزأ (منك) وفى بعض النسخ بك فان السخر يتعدى بمن وبالباء (فان جربت نفسك مدة) أى زمانا طويلا (فى الاوراد والعبادات) أى النافلة (فكانت لا تستثقلها كسلا) بفتح السين أى تثاقلا فهو مفعول مطلق (عنها لكن ظهرت رغبتك فى تحصيل العلم النافع ولم ترد به الا وجه الله تعالى والدار الآخرة فذلك) أى تحصيل العلم (أفضل من نوافل العبادات مهما صحت النية) بان لا تقصد فى تعلم العلم الا القيام باحياء الشريعة ونشرها فهذا العمل مع هذه النية أفضل من صيام النهار وقيام الليل ومن الخلوة والرياضة ومن كل شئ غيره ولو اقتصر صاحبه على الفرائض مع هذه النية الصالحة كان أفضل من غيره بأضعاف مضاعفة لان النفع المتعدى أعظم من النفع القاصر (ولكن الشأن) أى الامر المعتد به (فى صحة النية فان لم تصح) أى النية (فهو) أى تحصيل العلم (معدن) أى موضع (غرور الجهال) والغرور بفتح الغين معناه الدنيا أو الشيطان وبضمها معناه الاباطيل كما فى القاموس (ومزلة أقدام الرجال) أى العلماء (الحالة الثانية أن لا تقدر على تحصيل العلم النافع فى الدين) فى التدريس للطلبة والاستفادة من العالم (لكن تشتغل بوظائف العبادات من الذكر والتسبيح والقراءة والصلاة فذلك) أى الاشتغال بالعبادات (من درجات العابدين) المتجردين للعبادة (وسير الصالحين) أى طريقتهم فالسير بكسر السين وفتح الياء جمع سيرة بسكون الياء بمعنى الطريقة والحالة والهيئة (وتكون أيضا بذلك) أى الاشتغال (من الفائزين) فقد كان فى الصحابة من ورده فى اليوم اثنا عشر ألف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة الى ستمائة والى ألف ركعة وكان بعضهم أكثر ورده القرآن وكان يختم الواحد منهم فى اليوم مرة وكان بعضهم يقضى اليوم أو الليلة فى التفكر فى آية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة يطوف فى كل يوم سبعين أسبوعا وفى كل ليلة سبعين أسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن فى اليوم والليلة مرتين واعلم أن قراءة القرآن فى الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تعسر المواظبة عليه فالأفضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الاوراد تطهير القلب بذكر الله تعالى وايناسه به فلينظر المريد الى قلبه فما يراه أشد تأثيرا فيه فليواظب عليه فاذا أحس بملالة منه فلينتقل الى غيره لان الملال هو الغالب على الطبع هكذا فى الاحياء (الحالة الثالثة أن تشتغل بما يصل منه خير الى المسلمين ويدخل به سرور على قلوب المؤمنين) من قضاء حاجة لهم ومعاونة معهم على بر وتقوى وقد ورد فى الخبر ان أفضل الاعمال ادخال السرور على المؤمن (أو) تشتغل بما (يتيسر به الاعمال الصالحة للصالحين كخدمة الفقهاء والصوفية وأهل الدين والتردد فى أشغالهم) جمع شغل بضم الشين والغين وباسكان الغين وبه مع فتح الشين وبفتحتين ففيه أربع لغات (والسعى) أى التصرف (فى اطعام الفقراء والمساكين والتردد مثلا على المرضى) جمع مريض (بالعيادة) أى الزيارة (وعلى الجنائز بالتشييع) أى الاتباع الى المقابر (فكل ذلك

٢ قوله وفتح الحاء الخ اعله وسكون الحاء أى مضحوكا منه اه مصححه

أفضل من النوافل فان هـذه عبادات) الفاء للتعليل كما في نسخه (وفيها رفق) أى نفع (للمسلمين) كما قال الجيلاني ماوصلت الى الله تعالى بقيام ليـل ولا صيام نهـار ولكن وصلت الى الله تعالى بالكرم والتواضع وسلامة الصدر (الحالة الرابعة أن لا تقوى) أى لا تقدر (على ذلك) أى على الحالة الثالثة أو على المذكور من الحالات الثلاث المتقدمـة (فاشتغل بحاجاتك اكتسابا على نفسك أو عيالك) أى أهل بيتك ومن تمونه لانه ليس لك أن تضيع العيال وتسـتغرق الاوقات فى العبادات وكان وردك حضور السوق والاشتغال بالكسب (وقد سـلم المسلمون منك) الواو للحال (وأمنوا من لسانك ويدك) وهذا عطف تفسير على ماقبله (وسلم لك دينك اذلم ترتكب) أى لم تأت (معصية) فى حال اكتسابك وفى غـيره (فتنال بذلك) أى الاكتساب (درجة أصحاب اليمين) وهـم المقتصدون فى العبادات (ان لم تكن من أهـل الترقى الى مقامات السابقين) وهـم المسارعون فى العبادات مع ضم التعليم والتعلم (فهـذا) أى الكسب بتلك الصفة (أقل الدرجات فى مقامات الدين) أما اذا داومت على الكسب ولم تنس ذكر الله تعالى فى صـناعتك بأن تواظب على التسبيحـات والاذكار وقراءة القرآن وتتصدق بما فضل عن حاجتك فذلك أفضـل من سائر الاذكار التى ذكرت هنا لان العبادة المتعدية فائدتها أنفع من اللازمة والكسب على هذه النية عبادة لك فى نفسك تقربك الى الله تعـالى ثم يحصل به فائدة الغير ويجذب اليك بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الاجر (ومابعـد هذا) أى المذكور من الحـالة الرابعة (فهو من مراتع الشياطين) أى من محال تنعمهم وتساعهم (وذلك) أى مابعـد المرتبة الرابعة (بأن تشتغل والعياذ بالله بما يهدم دينك) اى من اتيان الذنوب فى حق الله تعالى (أو تؤذى عبدا من عباد الله تعالى) بقول أو فعل (فهذه رتبة الهالكين فاياك) أى احذر (أن تكون فى هذه الطبقة) أى الحالة والمرتبة وقد قيل الوقت سـيف ان لم تقطعه قطعك والنفس ان لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل (واعلم أن العبد فى حق دينـه على ثلاث درجات) أى طبقات من المراتب (اما سالم) من الاثم (وهو المقتصر على أداء الفرائض) أى المكتفى به (وترك المعاصى أو رابح) للاجر (وهو المتطوع) أى المتبرع (بالقربات) وهى اسم لما يتقرب بها الى الله تعالى (والنوافل أو خاسر) أى هالك آثم (وهو المقصر) أى المتوانى (عن اللوازم) أى فى الواجبات فعن بمعنى فى قال الله تعالى فمنهـم ظالم لنفسـه أى فى التقصير بالعمـل ومنهم مقتصد أى يعمل فى أغلب الاوقات ومنهم سابق بالخيرات وهو من يضم الى العمل التعليم والارشاد الى العمل وقال أبو بكر الوراق أحوال العبد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فاذا عصى دخل فى حيز الظالمين فاذا تاب دخل فى جملة المقتصدين فاذا صحت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل فى عداد السابقين (فان لم تقدر أن تكون رابحا) اى بالنوافل (فاجتهد أن تكون سالما) بأدائك الواجبات واجتنابك للمخالفات (واياك) اى احـذر (ثم اياك) توكيـد للاول (أن تكون خاسرا) بعدم الاعتناء فى الفرائض وان كان العبد يدخل الجنة بفضل الله ولكن بعد أن يسـتعد بطاعته لان رحمة الله قريب من المحسـنين كما حكى أن رجلا فى بنى اسرائيل عبد الله تعالى سـبعين سنة فأرسـل الله اليـه ملكا يخبره بأنه مع تلك العبادة لا يليق به الجنة فلما بلغه قال العابد نحن خلقنا للعبادة فينبغى لنا أن نعبـده فلما رجع الملك قال الهى أنت تعلم بما قال قال الله تعالى اذا هو لم يعرض عن عبادتنا فنحن مع الكـرم لا نعرض عنه اشهدوا يا ملائكتى أنى قد غفرت له (والعبد فى حق سائر العباد له) اى العبد (ثلاث درجات) أى مراتب (الاولى ان ينزل) اى العبد أى يقام (فى حقهم) اى سائر العباد (منزلة) أى موضع (الكرام) اى على الله تعالى (البررة) أى الصادقين المطيعين وهو جمع بار (من الملائكة وهو) اى العبـد المنزل منزلة الملائكـة (ان يسعى) اى يعمل (فى اغراضهم) اى مقاصـدهم (رفقا) اى نفعا واعانة (بهم وادخالا للسرور على قلوبهـم) كما روى فى الحـديث ما عبد الله بشئ أفضل من جبر الخاطر (الثانية ان ينزل) أى العبـد (فى حقهم منزلة البهائم والجمادات فلا ينالهم خـيره) اى العبد فخيره فاعل وفى نسخة فلا ينيلهـم وعلى هـذه النسخة فخيره مفعول ثان ولكن يكف اى العبد (عنهم شره) اى لا يفعل ما يؤذيهم بقول وفعل (الثالثة ان ينزل) اى العبد (فى حقهم منزلة العقارب

أفضل من النوافل فان هذه
عبادات وفيها رفق للمسلمين
* الحالة الرابعة أن لا تقوى
على ذلك فاشتغل بحاجاتك
اكتسابا على نفسك أو على
عيالك وقد سـلم المسلمون
منك وأمنوا من لسانك
ويدك وسـلم لك دينك اذلم
ترتكب معصية فتنال بذلك
درجة أصحاب اليمين ان لم
تكن من أهـل الترقى الى
مقامات السابقين فهذا أقل
الدرجات فى مقامات الدين
ومابعد هذا فهو من مراتع
الشياطين وذلك بأن تشتغل
والعياذ بالله بما يهدم دينك
أو تؤذى عبدا من عباد الله
تعالى فهذه رتبة الهالكين
فاياك أن تكون فى هـذه
الطبقة واعـلم أن العبد فى
حق دينه على ثلاث درجات
اما سالم وهـو المقتصر على
أداء الفرائض وترك المعاصى
أو رابح وهـو المتطوع
بالقربات والنوافل أو خاسر
وهو المقصر عن اللوازم فان
لم تقدر أن تكـون رابحا
فاجتهـد أن تكون سالما
واياك ثم اياك أن تكون خاسرا
والعبد فى حق سائر العباد
له ثلاث درجات (الاولى) ان
ينزل فى حقهم منزلة الكرام
البررة من الملائكة وهو أن
يسعى فى أغراضهم رفقا بهم
وادخالا للسرور على قلوبهم
(الثانيـة) أن ينزل فى حقهم
منزلة البهائم والجمادات فلا
ينالهم خـيره ولكن يكف
عنهم شره (والثالثة) أن ينزل حقهم فى منزلة العقارب

والحيات

والحيات) أى الافاعى (والسباع الضاريات) أى المجترئات ويقع السبع على كل ماله ناب يعدو به ويفترس كالذئب والفهد والنمر (لايرجى خيره ويتقى شره فان لم تقدر) بكسر الدال وضمها كما فى المصباح وفتحها فى لغة قليلة كما فى الصحاح (على أن تلتحق) أى تتشبه (بأفق الملائكة) أى بكرامهم وفواضلهم (فاحذر أن تنزل) أى تحط (عن درجة) العبد المتوسط وهى مرتبة (البهائم والجمادات الى مراتب) العباد السافلين وهى مراتب (العقارب والحيات والسباع الضاريات) أى العادية (فان رضيت لنفسك النزول من أعلى عليين) وهى درجة الملائكة الى درجة المتوسطين (فلا ترض) لها أى لنفسك (بالهوى) بضم الهاء وفتحها مع كسر الواو وتشديد الياء أى السقوط (الى أسفل سافلين) وهى درجة الحيوانات الفواسق (فلعلك تنجو كفافا) بفتح الكاف أى مقدار حاجتك من غير نقص ولا زيادة كما بين المصنف معنى الكفاف بقوله (لا لك ولا عليك) أى لا ينفعك أحد كما لا تنفعه ولا يضرك أحد كما لا تضره (فعليك فى بياض) أى أوقات (نهارك أن لا تشتغل الا بما ينفعك فى معادك) أى مرجعك وهو الآخرة (أو معاشك) أى مكتسبك الذى تعيش بسببه (الذى لا تستغنى عن الاستعانة به) اى المعاش (على معادك) فان كنت تاجرا فينبغى أن تتجر بصدق وأمانة وان كنت صاحب صناعة فبنصح وشفقة ولا تنس ذكر الله تعالى فى جميع أشغالك واقتصر من الكسب على قدر حاجتك ليومك مهما قدرت على أن تكتسب فى كل يوم اقوتك فاذا حصل كفاية يومك فلترجع الى بيت ربك ولتتزود لآخرتك فان الحاجة الى زاد الآخرة أشد والتمتع به أدوم فالاشتغال بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل لا يوجد المؤمن الا فى ثلاث مواطن مسجد يعمره أو بيت يستره أو حاجة لا بدّ له منها (فان عجزت عن القيام بحق دينك مع مخالطة الناس وكنت لا تسلم) من المعاصى الاربعة التى يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة وتسلم منها بالخلوة وهى الغيبة والرياء والسكوت عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الرديئة والاعمال الخبيثة التى يوجبها الحرص على الدنيا (فالعزلة أولى) أى أحق لك (فعليك) اى الزم (بها) اى العزلة (ففيها) أى لان فى العزلة (النجاة) أى الخلاص مما مر ومن الفتن والخصومات ومن شر الناس ومن مشاهدة الثقلاء (والسلامة) من طمع الناس فيك ومن طمعك فى الناس فان انقطاع طمع الناس عنك فيه فوائد فان رضا الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء باصلاح نفسه أولى وان انقطاع طمعك عنهم فيه فائدة جزيلة فان من نظر الى زهرة الدنيا وزينتها تحرك حرصه وانبعث بقوة الحرص طمعه ومهما اعتزل لم يشاهد واذا لم يشاهد لم يشته ولم يطمع (فان كانت الوساوس) أى أحاديث النفس حال كونك (فى العزلة تجاذبك) أى تنازعك (الى ما لا يرضى الله تعالى ولم تقدر على قمعها) أى قهرها واذلالها (بوظائف العبادات فعليك) اى الزم وتمسك (بالنوم فهو) أى النوم (أحسن أحوالك وأحوالنا اذا عجزنا عن الغنيمة) وهو ما نيل من أهل الشرك عنوة (رضينا بالسلامة) من الهلاك (فى الهزيمة) أى الغلبة والمعنى اذا لم تقدر على اتيان الاعمال الصالحة فلا تأت الاعمال الفاسدة (فأخس) بكسر الخاء المعجمة وتشديد السين (بحال من سلامة دينه فى تعطيل حياته) أى من العبادات وقوله أخس فعل تعجب فعل ماض ومجيئه على صورة الامر وقوله بحال فاعل والباء زائدة لتحسين اللفظ لان مجىء المرفوع بعد صورة الامر قبيح ويدل على ذلك ما فى بعض النسخ فما أخس حال من سلامة دينه فى تعطيل حياته أى خسة حال من ذكر أمر يتعجب منه وعلى هذه النسخة فقوله حال مفعول وجعل شيخنا يوسف السنبلاوينى على أن قوله فى النسخة الاولى فأخس فعل أمر فكان قوله بحال معمول له فالباء للملابسة والمعنى ارض بالامر الخسيس أى الحقير متلبسا بحال من ذكر (اذ النوم أخو الموت وهو) أى النوم (تعطيل الحياة والتحاق بالجمادات) وذكر أبو طالب المكى خلافا فى اليقظة المجردة عن سائر العبادات من الذكر وغيره والنوم الذى ليس للتقوّى على طاعة الله تعالى وليس لاجل ترك معصية فقيل اليقظة افضل من ذلك النوم لانه نقص وقيل النوم أولى لانه قد يرى فيه الله تعالى او النبى أو الصالحين واما النوم الذى على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل فهو قربة

والحيات والسباع الضاريات لايرجى خيره ويتقى شره فان لم تقدر على أن تلتحق بأفق الملائكة فاحذر أن تنزل عن درجة البهائم والجمادات الى مراتب العقارب والحيات والسباع الضاريات فان رضيت لنفسك النزول من أعلى عليين فلا ترض لها بالهوى الى أسفل سافلين فلعلك تنجو كفافا لا لك ولا عليك فعليك فى بياض نهارك أن لا تشتغل الا بما ينفعك فى معادك أو معاشك الذى لا تستغنى عن الاستعانة به على معادك فان عجزت عن القيام بحق دينك مع مخالطة الناس وكنت لا تسلم فالعزلة أولى فعليك بها ففيها النجاة والسلامة فان كانت الوساوس فى العزلة تجاذبك الى ما لا يرضى الله تعالى ولم تقدر على قمعها بوظائف العبادات فعليك بالنوم فهو أحسن أحوالك وأحوالنا اذا عجزنا عن الغنيمة رضينا بالسلامة فى الهزيمة فأخس بحال من سلامة دينه فى تعطيل حياته اذ النوم أخو الموت وهو تعطيل الحياة والتحاق بالجمادات

(آداب الاستعداد لسائر الصلوات)

ينبغي أن تستعد لصلاة الظهر قبل الزوال فتقدم القيلولة ان كان لك قيام في الليل أوسهر في الخير فان فيها معونة على قيام الليل كما أن في السحور معونة على صيام النهار والقيلولة من غير قيام بالليل كالسحور من غير صيام بالنهار فاذا اقلت فاجتهد أن تستيقظ قبل الزوال وتتوضأ وتحضر المسجد وتصلي تحية المسجد وتنتظر المؤذن فتجيبه ثم تقوم فتصلي أربع ركعات عقب الزوال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطولهن ويقول هذا وقت تفتح فيه أبواب السماء فاحب أن يرفع لي فيه عمل صالح وهذه الاربع قبل الظهر سنة مؤكدة ففي الخبر ان من صلاهن فاحسن ركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له الى الليل ثم صل الفرض مع الامام ثم صل بعد الفرض ركعتين فهما من الرواتب الثابتة ولا تشتغل الى العصر الا بتعلم علم أو اعانة مسلم أو قراءة قرآن أو سعي في معاش لتستعين به على دينك ثم صل أربع ركعات قبل العصر فهي سنة مؤكدة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ صلى أربعا قبل العصر فاجتهد أن ينالك دعاؤه صلى الله عليه وسلم

(آدب الاستعداد)

أي التهيؤ (لسائر الصلوات ينبغي) أي يطلب (ان تستعد لصلاة الظهر قبل الزوال فتقدم القيلولة) أي النوم في نصف النهار وهي سنة في غير يوم الجمعة (ان كان لك قيام في الليل) أي صلاة التهجد وهي صلاة التطوع في الليل بعد النوم ولاحد لعدد ركعاته لقوله صلى الله عليه وسلم لابي ذر الصلاة خير موضوع استكثر أو أقل رواه ابن حبان والحاكم أي الصلاة أفضل شيء موضوع أي مشروع من المندوبات (أوسهر) بفتح الهاء أي أرق (في الخير) من الذكر ومطالعة الكتب بحيث لولم تنم لم تشتغل بخير (فان فيها) أي القيلولة (معونة على قيام الليل كما أن في السحور معونة على صيام النهار) كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا بالقيلولة على قيام الليل وبالسحور على صيام النهار وبالتمر والزبيب على برد الشتاء رواه أبو داود (والقيلولة من غير قيام بالليل كالسحور) وفي بعض النسخ كالتسحر (من غير صيام بالنهار فاذا اقلت) بكسر القاف أي نمت في وقت الظهيرة (فاجتهد أن تستيقظ) أي تنتبه (قبل الزوال) بقدر الاستعداد للصلاة بما ذكره المصنف بقوله (وتتوضأ وتحضر المسجد) أي قبل دخول وقت الصلاة فان ذلك من فضائل الاعمال وان لم تنم ولم تشتغل بالكسب واشتغلت بالصلاة والذكر فهو أفضل أوقات النهار لانه وقت غفلة الناس عن الله تعالى واشتغالهم بهموم الدنيا كذا في الاحياء (وتصلي تحية المسجد وتنتظر المؤذن فتجيبه) كما تقدم بيان ذلك كله (ثم تقوم) الى احياء ما بين الاذان والاقامة (فتصلي أربع ركعات عقب الزوال) بتسليمة واحدة ومذهب الشافعي أنها مثنى كسائر النوافل وهو الذي صح فيه الاخبار كذا في الاحياء (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطولهن) أي هذه الركعات (ويقول هذا) أي وقت الزوال (وقت تفتح فيه أبواب السماء فاحب أن يرفع لي فيه) اى في هذا الوقت (عمل صالح) كما رواه أبو أيوب الانصاري (وهذه الاربع قبل الظهر سنة مؤكدة) أي عند قول والراجح أن الركعتين قبل الظهر آكد من جملة الاربعة كما في الاحياء وهذا هو المعتمد (ففي الخبر) الوارد عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم (ان من صلاهن) أي أربع ركعات بعد زوال الشمس (فاحسن ركوعهن وسجودهن) أي وقراءتهن (صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له الى الليل) وفي الحديث عن الخطيب البغدادي عن أنس من صلى قبل الظهر أربعا غفر له ذنوبه يومه ذلك وفيه عن الطبراني عن رجل أنصاري من صلى قبل الظهر أربعا كان كعدل رقبة من بني اسمعيل أي كان ثواب ذلك مثل ثواب عتق نسمة من بني اسمعيل بن ابرهيم الخليل عليهما السلام (ثم صل الفرض مع الامام) بجماعة (ثم صل بعد الفرض ركعتين فهما من الرواتب) المؤكدات (الثابتة) أي الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم وزد بعدهما ركعتين غير مؤكدتين لحديث رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم عن أم حبيبة من حافظ على أربع ركعات قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار أي منعه من دخولها وقال الغزالي ويستحب أن يقرأ في هذه النافلة آية الكرسي وآخر سورة البقرة (ولا تشتغل الى العصر الا بتعلم علم) اما بالحضور عند المدرس أو بمطالعة كتب (أو اعانة مسلم) لقوله صلى الله عليه وسلم والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه والمعنى والله معين للعبد اعانة كاملة ما دام العبد معينا لاخيه (أو قراءة قرآن أو سعي في معاش لتستعين به) اى المعاش (على دينك) أو فنون الخير وكن في انتظار الصلاة معتكفا فمن فضائل الاعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف (ثم صل أربع ركعات قبل العصر) وبعد جواب المؤذن (فهي) أي هذه الاربع (سنة مؤكدة) أي من حيث رجاء الدخول في دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الآتية فان دعوته تستجاب لا محالة لا من حيث مواظبته صلى الله عليه وسلم عليهن فانه لم يواظب على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر كذا في الاحياء ولذلك كانت هذه الاربعة من الرواتب غير المؤكدة عند الشافعي كما أفاده العزيزي (فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ) وفي رواية عبدا (صلى أربعا قبل العصر) رواه الترمذي وابن حبان عن ابن عمر (فاجتهد أن ينالك دعاؤه صلى الله عليه وسلم) بالرحمة باداءتك

ولاتشتغل بعد العصر الابمثل ماسبق قبله ولا ينبغي أن تكون أوقاتك مهملة فتشتغل في كل وقت بما
اتفق كيف اتفق بل ينبغي
أن تحاسب نفسك وترتب
أورادك في ليلك ونهارك
وتعين لكل وقت شغلا
لاتتعداه ولاتؤثر فيه سواه
فبذلك تظهر بركة الاوقات
فأما اذا تركت نفسك سدى
مهملا اهمال البهائم
لاتدري بماذا تشتغل في
كل وقت فينقضي أكثر
أوقاتك ضائعا وأوقاتك
عمرك وعمرك رأس مالك
وعليه تجارتك وبه وصولك
الى نعيم دار الابد في جوار
الله تعالى فكل نفس من
أنفاسك جوهرة لاقيمة لها
اذ لابدل له فاذا فات فلاعود
له فلا تكن كالحمقى المغرورين
الذين يفرحون كل يوم
بزيادة أموالهم مع نقصان
أعمارهم فأي خير في مال
يزيد وعمر ينقص ولاتفرح
الابزيادة علم أو عمل صالح
فانهما رفيقاك يصحبانك في
القبر حيث يتخلف عنك
أهلك ومالك وولدك
وأصدقاؤك ثم اذا اصفرت
الشمس فاجتهد أن تعود
الى المسجد قبل الغروب
وتشتغل بالتسبيح والاستغفار
فان فضل هذا الوقت
كفضل ماقبل الطلوع قال
الله تعالى وسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقبل
غروبها واقرأ قبل
غروب الشمس والشمس
وضحاها والليل اذا يغشى
والمعوذتين ولتغرب عليك الشمس وأنت في الاستغفار فاذا سمعت الاذان فأجبه وقل

هذه النافلة (ولاتشتغل بعد العصر الابمثل ماسبق قبله) أي العصر (ولا ينبغي) أي لايليق (أن تكون أوقاتك مهملة) أي متروكة بلافائدة وفي هذا الوقت يكره النوم قال بعض العلماء ثلاث يمقت الله عليها الضحك بغير عجب والاكل من غير جوع ونوم بالنهار من غير سهر بالليل (فتشتغل في كل وقت بما اتفق) أي صلح فيه (كيف اتفق) أي على أي مقدار صلح (بل ينبغي) أي يطلب لك (أن تحاسب نفسك) على الهفوات والزلات وأقل ذلك في اليوم من بعد الظهر أو العصر الى الليل وكان بعضهم يقيد حركاته في نهاره في كتاب فاذا أمسى جعله بين عينيه وحاسب نفسه على مافيه وبعضهم كان يحاسبها على خواطره في اليوم والليلة ففي تلك المحاسبة بركة عظيمة كذا أفاده عبدالله الشرقاوي في ربيع الفؤاد (وترتب أورادك) وفي نسخة وظائفك أي أعمالك المقدرة (في ليلك ونهارك) فأوراد النهار قد مضى ذكرها وأوراد الليل تأتي في كلامه كأوراد مابعد اصفرار الشمس (وتعين لكل وقت شغلا) أي وظيفة (لاتتعداه) أي لاتتجاوزه الى غيره (ولاتؤثر) أي لاتختر ولاتقدم وفي نسخة ولاتودع أي تجعل (فيه) أي ذلك الوقت (سواه) أي ذلك الشغل (فبذلك) أي الترتيب أو التعيين وفي نسخة ففيه (تظهر بركة الاوقات فأما اذا تركت) أي جعلت فهو متعد لمفعولين (نفسك مهملا) أي متروكا (سدى) بضم السين أي لاغيا بلا أوراد (اهمال البهائم) التي (لاتدري) اي البهائم (بماذا تشتغل) أي البهائم (في كل وقت فينقضي) أي يذهب (أكثر أوقاتك ضائعة) أي هالكة (وأوقاتك عمرك وعمرك رأس) أي أصل (مالك وعليه) أي المال (تجارتك) أي تصرفك في البيع والشراء (وبه) أي المال (وصولك الى نعيم دار الابد في جوار) بكسر الجيم (الله تعالى) أي في الجنة (فكل نفس) بفتح الفاء وهو جزء من الهواء يخرج من باطن البدن في جزء من الزمن (من أنفاسك جوهرة) أي مثل جوهرة أي حجر ينتفع به (لاقيمة لها) أي الجوهرة (اذلابدل له) أي لذلك النفس (فاذا فات) أي ذهب النفس عنك (فلاعود له) فينبغي لك الادب معه تعالى ومراقبته تعالى في كل نفس من أنفاسك فتكون في كل نفس سالكا طريقا اليه تعالى وهو معنى قولهم الطرق الى الله بعدد أنفاس الخلائق قال بعضهم ان اليوم ينادي كل وقت بقوله يا ابن آدم أنا يوم جديد وأنا بما عملت فيه شهيد فاغتنمني فانك لاتدركني اذا غربت الشمس (فلا تكن كالحمقى) بالقصر وهو جمع أي كالقوم الذين فسد عقلهم (المغرورين) بالدنيا والشيطان (الذين يفرحون في كل يوم بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم فأي خير في مال يزيد) كل يوم (وعمر ينقص) في كل لحظة (ولاتفرح الا بزيادة علم أو عمل صالح فانهما رفيقاك يصحبانك في القبر) ويؤنسانك فيه (حيث يتخلف) أي يتأخر (عنك أهلك) أي زوجتك كما في المصباح (ومالك وولدك وأصدقاؤك) كقول الشاعر من بحر الطويل

تزود قرينا من فعالك انما * قرين الفتى في القبر ما كان يعمل

(ثم اذا اصفرت الشمس) بأن تقرب من الارض (فاجتهد أن تعود الى المسجد قبل الغروب وتشتغل) في ذلك الوقت (بالتسبيح والاستغفار) مثل سبحان الله العظيم وبحمده ومثل أستغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأسأله التوبة والاستغفار على الاسماء التي في القرآن أحسن كقوله أستغفر الله انه كان غفارا أستغفر الله انه كان توابا رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين كذا في الاحياء (فان فضل هذا الوقت كفضل ماقبل الطلوع قال الله تعالى) في سورة طه (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) أي اشتغل بتنزيه الله تعالى في طرفي النهار كما قاله أبو مسلم (واقرأ قبل غروب الشمس) أربع سور (والشمس وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين) بكسر الواو كما قاله القسطلاني فمن قرأ سورة الشمس رزقه الله الفهم الذكي والفطنة في جميع الاشياء ومن تلا سورة الليل حفظ من هتك الستر ومن تلا سورة الفلق وقي السوء ومن تلا سورة الناس عصم من البلايا وأعيذ من الشيطان ومن داوم على قراءتها كان رزقه كالمطر (ولتغرب عليك الشمس وأنت في الاستغفار) الواو للحال كذا في أكثر النسخ كما في الاحياء وفي نسخة ولاتغرب عليك الشمس الا وأنت في الاستغفار فاذا سمعت الاذان فأجبه وقل

بعده اللهم انى أسألك) أى اطلب منك (عند اقبال ليلك وادبار نهارك وحضور صلاتك وأصوات دعاتك) بالتاء جمع داع اسم فاعل (أن تؤتى) أى تعطى (محمدا الوسيلة) وهى منزلة فى الجنة (الدعاء) أى اقرأ الدعاء بتمامه (كما سبق) أى فى دعاء الصبح وفى سنن أبى داود والترمذى عن أم سلمة رضى الله عنها قالت علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أقول عند أذان المغرب اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك وأصوات دعاتك اغفر لى هكذا فى الاذكار وهذا موافق لما فى الاحياء قال الغزالى فينبغى أن يلاحظ العبد أحواله فان ساوى يومه أمسه فيكون مغبونا وان كان شرا منه فيكون ملعونا فان رأى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره فليشكر الله تعالى على توفيقه وليشكره تعالى على صحة جسمه وبقاء عمره (ثم صل الفرض بعد جواب المؤذن والاقامة) أى وبعد ركعتين خفيفتين فهما قبل المغرب سنة غير مؤكدة كما صححه النووى (وصل بعده) أى الفرض (قبل أن تتكلم) وقبل أن تشتغل بشئ (ركعتين) تقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد (فهما راتبا المغرب) مؤكدة (وان صليت بعدهما أربعا تطيلهن فهن أيضا سنة) وهى سنة الاوابين (وان أمكنك أن تنوى الاعتكاف الى العشاء وتحيى ما بين العشاءين بالصلاة فافعل) فان غاية صلاة الاوابين عشرون ركعة وقيل ست ركعات كما أفاده البجيرمى وكما قال الغزالى فى الاحياء ونقل من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين العشاءين ست ركعات وقال البجيرمى نقلا عن الرملى وصلاة الاوابين عشرون بين المغرب والعشاء وروى ستا وأربعا وركعتين فهما أقلها (فقد ورد فى فضل ذلك) أى احياء ما بين العشاءين بالصلاة أو بالقرآن كما فى الاحياء (ما لا يحصى) قال الغزالى فى الاحياء من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم الا بصلاة أو بقرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه أهل الارض لوسعهم وقال أيضا وان كان المسجد قريبا من منزلك فلا بأس أن تصلى تلك الصلاة فى بيتك ان لم يكن عزمك العكوف فى المسجد (وهى) أى هذه الاربع أو ما بين العشاءين وفى بعض النسخ وهو بالتذكير (ناشئة الليل) المذكورة فى قوله تعالى ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا أى ان بدء الليل بالصلاة أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان لانقطاع الاصوات والحركات وأعظم سدادا من جهة وقعه فى القلوب لحضور القلب لان الاصوات هادئة والدنيا ساكنة وكان على بن الحسين يصلى بين المغرب والعشاء ويقول هو ناشئة الليل كما فى السراج المنير (لانه) أى ما بين العشاءين (أول نشأة) بالهمزة دون الواو أى أول ساعات من الليل وأما النشوة بالواو فمعناه السكر كما علم من الصحاح والمصباح (وهى) أى ناشئة الليل (صلاة الاوابين) أى التوابين كما قد فسر ناشئة الليل فى الآية ببدء الليل عطاء وعكرمة وكما فسرها على بن الحسين بصلاة الاوابين وتسمى أيضا صلاة الغفلة لغفلة الناس عنها بسبب عشاء أو نوم أو نحو ذلك (وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقال) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم (هى الصلاة ما بين العشاءين فانها) أى هذه الصلاة (تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره) وقال فى الاحياء روى عن الحسن أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم الصلاة بين العشاءين ثم قال صلى الله عليه وسلم عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره بالخاء المعجمة بعد الهمزة الممدودة والضمير عائد الى النهار ومعنى تهذب أى تنقى وقال شيخنا يوسف هو بالجيم الساكنة وهو بمعنى الثواب فكان الضمير راجعا الى المصلى ومعنى تهذب أى تزيد والاول أظهر (والملاغات) بضم الميم ثم باللام المفتوحة الممدودة ثم بالغين الممدودة كما فى الجامع والاحياء (جمع ملغاة وهى) مأخوذة (من اللغو) ومعناها كلمات ذوات لغو أى لا فائدة فيها وسئل أنس عمن ينام بين العشاءين قال لا تفعل فانها الساعة المرادة بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وعن ابن أبى حازم قال فى هذه الآية ما بين المغرب والعشاء صلاة الاوابين وروى ابن جرير عن ابن عباس أنه يقول فى معنى تتجافى جنوبهم عن المضاجع أى تتجافى لذكر الله اما فى الصلاة واما فى قيام أو قعود أو على جنوبهم لا يزالون يذكرون الله وقال الشرقاوى

بعده اللهم انى أسألك عند اقبال ليلك وادبار نهارك وحضور صلاتك وأصوات دعاتك أن تؤتى محمدا الوسيلة الدعاء كما سبق * ثم صل الفرض بعد جواب المؤذن والاقامة وصل بعده قبل أن تتكلم ركعتين فهما راتبا المغرب وان صليت بعدهما أربعا تطيلهن فهن أيضا سنة وان أمكنك أن تنوى الاعتكاف الى العشاء وتحيى ما بين العشاءين بالصلاة فافعل فقد ورد فى فضل ذلك ما لا يحصى وهى ناشئة الليل لانها أول نشأة وهى صلاة الاوابين وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقال هى الصلاة ما بين العشاءين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره والملاغات جمع ملغاة وهى من اللغو

فى ربيع الفؤاد ثم بعد صلاة الاوابين صل ركعتين بنية تونيس القبر وان شئت فقدمها على صلاة الاوابين تقرأ فى الاولى بعد الفاتحة الكافرون وفى الثانية اذا جاء نصر الله أو تقرأ فى الاولى اذا زلزلت وفى الثانية ألهاكم (فاذا دخل وقت العشاء فصل أربع ركعات قبل الفرض احياء لما بين الاذانين) أى الاذان والاقامة للخبر بين كل أذانين صلاة وهذه الاربع لم يوجد فى خصوصها حديث كذا قاله البركوى والمذكور فى التحرير أن الراتبة قبل العشاء ركعتان لكنها غير مؤكدة ولذلك لم يذكرها النووى فى المنهاج (ففضل ذلك) أى الاحياء لما بين الاذان والاقامة (كثير وفى الخبر أن الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد) وهذا الخبر ليس دليلا على الراتبة التى قبل العشاء (ثم صل الفرض وصل الراتبة) أى بعده (ركعتين) وهما مؤكدتان ولو للحاج بمزدلفة وانما سن له ترك النفل المطلق ليستريح و يتهيأ لما بين يديه من الاعمال الشاقة يوم النحر (واقرأ فيهما) أى الركعتين (سورة السجدة) والظاهر أنها سجدة الجرز كما يدل لذلك ما فى بعض النسخ من قوله ألم السجدة وقول الاحياء وعوارف المعارف وسجدة لقمان معناه سورة السجدة التى تلى سورة لقمان كما أفاده بعض المشايخ (وتبارك الملك أو سورة يس والدخان) فان لم تصل فلا تدع قراءة هذه السور أو بعضها قبل النوم كذا فى الاحياء وعن جابر قال كان النبى صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ تبارك والم تنزيل ويقول هما يفضلان على كل سورة فى القرآن بسبعين حسنة ومن قرأهما كتب له سبعون حسنة ورفع له سبعون درجة وعن أبى بن كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة ألم تنزيل أعطى من الاجر كمن أحيا ليلة القدر وروى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان سورة من كتاب الله ما هى الا ثلاثون آية شفعت لرجل يوم القيامة فأخرجته من النار وأدخلته الجنة وهى سورة تبارك وعن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يس فى ليلة أصبح مغفورا له وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ حم الدخان ليلة جمعة أصبح مغفورا له كذا فى السراج المنير (فذلك) أى المذكور من تلك السور (مأثور) أى منقول (عن رسول الله صلى الله عليه وسلم) أى انه أكثر قراءتها فى كل ليلة وكذلك أكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة سورة الزمر والواقعة و بنى اسرائيل كذا فى الاحياء (وصل بعدهما) أى الركعتين المؤكدتين (أربع ركعات) واقرأ فيها آخر البقرة وآية الكرسى وأول الحديد وآخر الحشر أو غيرها كذا فى الاحياء وظاهر عبارة الاحياء أن هذه الاربعة تكون بتسليمة واحدة كما هى الافضل عند أبى حنيفة وقيل ان هذه الاربعة تؤدى كلها اذا صلى العشاء فى غير الوقت المستحب جبرا لذلك النقص وأما اذا صلاها فى الوقت المستحب فهو مخير بين الاربع والركعتين كما قاله البركوى (ففى الخبر ما يدل على عظم فضلهن) كخبر مسلم أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل وروى أيضا أن كل ليلة فيها ساعة اجابة كذا فى التحفة وروى عن عائشة أنها سئلت عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما صلى العشاء قط فدخل بيتى الا صلى أربع ركعات أو ست ركعات رواه أبو داود ودل هذا الخبر على أن الاربع بعد العشاء فضيلة والمؤكدة منها ركعتان كذا قاله البركوى والظاهر أن هذه الاربعة هى النفل المطلق فى الليل وقال الشرقاوى واذا صلى سنة العشاء سن أن يصلى ركعتين قبل الوتر بنية بقاء الايمان يقرأ فى الاولى بعد الفاتحة اذا زلزلت وفى الثانية ألهاكم (ثم صل الوتر بعدها) أى هذه الاربع (ثلاثا بتسليمتين أو بتسليمة واحدة) والفصل بين ركعة وكل ركعتين بالسلام أفضل من الوصل (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فيها) أى الثلاث (سبح اسم ربك الأعلى) فى الاولى (وقل يا أيها الكافرون) فى الثانية (والاخلاص والمعوذتين) فى الثالثة واذا أوتر بثلاث مفصولة عما قبلها كثمان أو ست أو أربع قرأ ذلك فى الثلاثة الاخيرة واذا أوتر بأكثر من ثلاث موصولة كخمس مثلا قرأ المطففين والانشقاق فى الاولى والبروج والطارق فى الثانية لئلا يلزم خلو ما قبل الثلاث عن سورة أو تطويلها على ما قبلها ويسن أن يقول بعد الوتر سبحان الملك القدوس ثلاث مرات كما رواه النسائى وابن السنى

فاذا دخل وقت العشاء فصل أربع ركعات قبل الفرض احياء لما بين الاذانين ففضل ذلك كثير وفى الخبر ان الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد ثم صل الفرض وصل الراتبة ركعتين واقرأ فيهما سورة ألم السجدة وتبارك الملك أو سورة يس والدخان فذلك مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصل بعدهما أربع ركعات ففى الخبر ما يدل على عظم فضلها ثم صل الوتر بعدها ثلاثا بتسليمتين أو بتسليمة واحدة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فيها سورة سبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون والاخلاص والمعوذتين

ويرفع صوته بالثالثة كما في رواية أحمد والنسائي ثم يقول اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك كما رواه أبو داود والترمذي والنسائي عن علي قوله وأعوذ بك منك قيل معناه أعوذ بك من شر ما قضيت وقيل هو اشارة الى التوحيد وذلك أنه صلى الله عليه وسلم استعاذ أولا بالضد من الضد فاستعاذ بالرضا من السخط وبالمعافاة من العقوبة ولما كان الله تعالى لا ضد له فلم يصح أن يقول أعوذ بك من غيرك لانتفاء المثل والشريك فرجع صلى الله عليه وسلم اليه تعالى فقال أعوذ بك منك قوله لا أحصي ثناء عليك أي لا أطيقه في مقابلة نعمة واحدة وقيل معناه لا أحصي نعمتك والثناء بها عليك وان اجتهدت في الثناء عليك وقوله أنت كما أثنيت على نفسك أي بقولك فلله الحمد الآية وغير ذلك (فان كنت عازما على قيام الليل) أي صلاته بعد النوم ووثقت بيقظتك (فأخر الوتر ليكون آخر صلاتك بالليل وترا) لحديث الشيخين اجعلوا آخر صلاتكم من الليل وترا ولحديث مسلم من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل (ثم اشتغل بعد ذلك) أي الوتر (بمذاكرة علم أو مطالعة كتاب) فان ذلك في ذلك الوقت سبب للفتوح كما قاله بعضهم وقال الشاعر

من حاز العلم وذاكره * صلحت دنياه وآخرته
فأدم للعلم مذاكرته * فحياة العلم مذاكرته

(ولا تشتغل باللهو) أي بالشيء الذي تفرح به فيلهيك أي يشغلك عما ينفعك ثم ينقضي كلهو الفتيان (واللعب) أي الباطل الذي لا ثمرة له كلعب الصبيان (فيكون ذلك) أي المذاكرة والمطالعة (خاتمة أعمالك قبل نومك فانما الاعمال بخواتيمها) أي عندنا وبالنسبة الى اطلاعنا في بعض الاشخاص وفي بعض الاحوال وأما بالنسبة الى علمه تعالى وارادته فالاعمال بالسوابق لكن لما كانت السابقة مستورة عنا والخاتمة ظاهرة لنا قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالخواتيم

(آداب النوم)

هذه الترجمة ساقطة في بعض النسخ (فاذا أردت النوم) فعليك بآدابه الثمانية الاول الاستقبال كما قال (فابسط فراشك مستقبلا للقبلة) والاستقبال على ضربين أحدهما استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله أن يكون وجهه وأخمصاه الى القبلة وهذا الاستلقاء مباح للرجال ومكروه للنساء وثانيهما وهو سنة ما ذكره بقوله (ونم على يمينك كما يضجع الميت في اللحد) ويكون وجهك مع مقابلة بدنك الى القبلة وأما النوم على الوجوه فهو نوم الشياطين وهو مكروه وأما النوم على اليسار فهو مستحب عند الاطباء لانه يسرع هضم الطعام وينبغي من جهة الطب أن يضطجع على الجانب الايمن قليلا بعد الاكل ثم ينقلب على الجانب الايسر والثاني مذكور بقوله (واعلم) أي تذكر عند ارادة النوم (أن النوم مثل الموت واليقظة مثل البعث) أي النشر (ولعل الله تعالى يقبض روحك في ليلتك فكن مستعدا) أي متهيأ (للقائه بأن تنام على طهارة) وهذا ثالث الآداب (و) الرابع أن (تكون وصيتك مكتوبة تحت وسادتك) بكسر الواو أي مخدتك وفي نسخة تحت رأسك أي فانك لا تأمن القبض من النوم فان من مات بغير وصية لا يتكلم في مدة البرزخ وان الاموات يتزاورون في قبورهم سواه فيقول بعضهم لبعض ما بال هذا المسكين فيقال انه مات بغير وصية كذا نقل عن ابن الصلاح وقال البجيرمي ويمكن حمل ذلك على ما اذا مات من غير وصية واجبة بأن نذرها أو خرج مخرج الزجر عن ترك الوصية (و) الخامس أن (تنام تائبا من الذنوب مستغفرا) كما روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يأوي الى فراشه أستغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله تعالى له ذنوبه (عازما على أن لا تعود الى معصية) اذا استيقظت (واعزم على الخير لجميع المسلمين ان بعثك الله تعالى) أي أيقظك من نومك قال النبي صلى الله عليه وسلم من أوى الى فراشه لا ينوي ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم (وتذكر أنك ستضجع في اللحد كذلك) أي كنومك (وحيدا)

فان كنت عازما على قيام الليل فأخر الوتر ليكون آخر صلاتك بالليل وترا ثم اشتغل بعد ذلك بمذاكرة علم أو مطالعة كتاب ولا تشتغل باللهو واللعب فيكون ذلك خاتمة أعمالك قبل نومك فانما الاعمال بخواتيمها

(آداب النوم)

فاذا أردت النوم فابسط فراشك مستقبل القبلة ونم على يمينك كما يضجع الميت في لحده واعلم أن النوم مثل الموت واليقظة مثل البعث ولعل الله تعالى يقبض روحك في ليلتك فكن مستعدا للقائه بأن تنام على طهارة وتكون وصيتك مكتوبة تحت رأسك وتنام تائبا من الذنوب مستغفرا عازما على أن لا تعود الى معصية واعزم على الخير لجميع المسلمين ان بعثك الله تعالى وتذكر أنك ستضجع في اللحد كذلك وحيدا

فريدا ليس معك الا عملك ولا تجزى الا بسعيك ولا تستجلب النوم تكلفا بتمهيد الفرش (٤١) الوطيئة فان النوم تعطيل للحياة الا اذا كانت يقظتك وبالا عليك فنومك سلامة لدينك واعلم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فلا يكن نومك بالليل والنهار أكثر من ثمان ساعات فيكفيك ان عشت مثلا ستين سنة أن تضيع منها عشرين سنة وهو ثلث عمرك وأعد عند النوم سواكك وطهورك واعزم على قيام الليل أو على القيام قبل الصبح فركعتان فى جوف الليل كنز من كنوز البر فاستكثر من كنوزك ليوم فقرك فلن تغنى عنك كنوز الدنيا اذا مت * وقل عند نومك باسمك ربى وضعت جنبى وباسمك أرفعه فاغفر لى ذنبى اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك اللهم باسمك أحيا وأموت أعوذ بك اللهم من شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم اللهم أنت الاول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عنى الدين وأغننى من الفقر اللهم أنت خلقت نفسى وأنت تتوفاها لك مماتها ومحياها ان أمتها فاغفر لها وان أحييتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم انى أسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة اللهم أيقظنى فى أحب الساعات اليك واستعملنى بأحب الاعمال اليك لتقربنى اليك زلفى وتبعدنى عن سخطك بعدا أسألك فتعطينى وأستغفرك فتغفر لى وأدعوك فتستجيب لى ثم اقرأ آية الكرسى

بنفسك (فريدا) عن الناس (ليس معك الا عملك ولا تجزى الا بسعيك) أى بعملك من خير وشر قال تعالى وأن سعيه سوف يرى أى فى ميزانه من غير شك يوم القيامة بوعد لا خلف فيه وان طال المدى (و) السادس مذكور بقوله (أن لا تستجلب النوم تكلفا) بأن لا تنام اذا لم يغلبك النوم الا اذا قصدت به الاستعانة على القيام فى آخر الليل فقد كان نومهم غلبة وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولا تتنعم (بتمهيد الفرش الوطيئة) أى ببسط الفرش الناعمة وتهيئتها بل اترك ذلك أو اقتصد فيه (فان النوم تعطيل للحياة الا اذا كانت يقظتك وبالا) أى سوأ فى العاقبة (عليك فنومك سلامة لدينك) فاستجلب النوم حينئذ كما مر ويسن للانسان اذا فارق فراشه وعاد اليه أن ينفضه قبل أن ينام فيه لقوله صلى الله عليه وسلم اذا أوى أحدكم الى فراشه فلينفض فراشه بداخلة ازاره فانه لا يدرى ما خلفه عليه رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة (واعلم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فلا يكن نومك فى الليل والنهار أكثر من ثمان ساعات) فان نمت فى الليل هذا القدر فلا معنى للنوم فى النهار (فيكفيك ان عشت مثلا ستين سنة أن تضيع منها عشرين سنة وهو ثلث عمرك و) السابع مذكور فى قوله و (أعد) أى هيئ (عند) ارادة (النوم) عند رأسك (سواكك وطهورك) أى ما تتطهر به من الماء كذلك كان يفعل بعض السلف وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها وان لم يتيسر لك الطهارة استحب لك مسح الاعضاء بالماء فان لم تجد فلتقعد ولتستقبل القبلة ولتشتغل بالذكر والدعاء والتفكر فى آلاء الله تعالى وقدرته (واعزم على قيام الليل) أى عند التيقظ (أو على القيام قبل الصبح فركعتان فى جوف الليل كنز من كنوز البر فاستكثر من كنوزك ليوم فقرك) أى حاجتك وهو فى القبر وفى القيامة (فلن تغنى عنك كنوز الدنيا اذا مت) وقال صلى الله عليه وسلم من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى والثامن الدعاء عند النوم وعند التنبه كما قال (وقل عند نومك) أى اضطجاعك (باسمك) الباء للاستعانة وهذا متعلق بوضعت (ربى وضعت جنبى وباسمك أرفعه فاغفر لى ذنبى اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك) وفى نسخة يوم تجمع كما فى الاحياء (اللهم باسمك أحيا وأموت أعوذ بك اللهم من شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم اللهم أنت الاول) أى السابق على الاشياء كلها (فليس قبلك شئ وأنت الآخر) أى الباقى بعد فناء الخلق (فليس بعدك شئ وأنت الظاهر) أى العالى كما قاله العزيزى وهو المناسب هنا (فليس فوقك شئ وأنت الباطن) أى المحتجب عن الحواس بحجب كبريائه (فليس دونك) أى فى قربك (شئ اقض عنى الدين وأغننى من الفقر) فقوله أنت الاول الى هنا موافق للاحياء وللاذكار وذلك رواية أبى داود وأما رواية مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه فكذلك الا لفظ اقض عنا الدين واغننا من الفقر فهو بنون العظمة (اللهم أنت خلقت نفسى وأنت تتوفاها) بالتاءين كما فى الاحياء والاذكار وبحذف احدى التاءين كما فى الجامع (لك مماتها ومحياها) أى أنت المالك لاماتتها ولاحيائها أى وقت شئت لا مالك لهما غيرك (ان أمتها فاغفر لها) أى ذنوبها فانه لا يغفر الذنوب الا أنت (وان أحييتها فاحفظها) أى صنها عن الوقوع فيما لا يرضيك (بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم انى أسألك العفو والعافية) أى أطلب منك السلامة (فى الدين) أى من الافتتان وكيد الشيطان (والدنيا) أى من الآلام والاسقام (والآخرة) أى من الفزع الاكبر ومن جهنم وهذا أى قوله اللهم أنت الخ رواه مسلم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللهم أيقظنى فى أحب الساعات اليك واستعملنى بأحب الاعمال اليك لتقربنى) بلام التعليل وفى نسخة حتى تقربنى وفى الاحياء سقوط ذلك (اليك زلفى) أى قربة أو منزلة وهى مفعول مطلق أو تمييز (وتبعدنى عن سخطك بعدا) مفعول مطلق (أسألك فتعطينى وأستغفرك فتغفر لى وأدعوك فتستجيب لى ثم (اقرأ آية الكرسى) وروى البيهقى أن من قرأها اذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار

جاره والابيات حوله كذا فى السراج المنير (وآمن الرسول الى آخر السورة) وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه قال الشربينى أى عن قيام الليل أو عن كل ما يسوءه أى يحزنه وروى أبو بكر عن على أنه قال ما كنت أرى أحدا يعقل ينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الاواخر من سورة البقرة أى وهى من قوله تعالى لله ما فى السموات (والاخلاص) أى قل هو الله أحد ثلاث مرات كما ذكره النووى فى الاذكار وليس المراد بالاخلاص هنا سورة الكافرون فانها تسمى بالاخلاص أيضا (والمعوذتين) وانفث فى يديك عند قراءتهما وامسح بهما رأسك ووجهك وسائر جسدك وافعل ذلك ثلاث مرات والنفث نفخ لطيف بلا ريق (وتبارك الملك) للاتباع كما مر وقل فى تيقظاتك وتقلباتك مهما تنبهت لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار كما رواه ابن السنى عن عائشة رضى الله عنها (وليأخذك النوم وأنت على ذكر الله تعالى) وليكن أول ما يرد على قلبك عند التيقظ ذكر الله تعالى فذلك علامة الحب لله تعالى وعلامة تكشف عن باطن القلب (وعلى الطهارة) أى من الحدثين (فمن فعل ذلك) أى الطهارة عند النوم كما فى الاحياء (عرج بروحه الى العرش وكتب مصليا الى أن يستيقظ) وكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على طهارة فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق وهذا أريد به طهارة الباطن والظاهر جميعا وطهارة الباطن هى المؤثرة فى انكشاف حجب الغيب (فاذا استيقظت) لتقوم (فارجع الى ما عرفتك أولا) أى فى باب آداب الاستيقاظ بأن تقول الحمد لله الذى أحيانا الى آخر ما ذكره المصنف من أدعية التيقظ (وداوم على هذا الترتيب) أى المثبت فى هذا الكتاب من الوظائف وليس المراد بالترتيب هنا خصوص تقديم الشئ على غيره (بقية عمرك فان شقت عليك المداومة) على اشتغال الوظائف المذكورة (فاصبر صبر المريض على مرارة الدواء انتظار الشفاء وتفكر فى قصر عمرك وان عشت مثلا مائة سنة) ان غاية (فهى) أى المائة (قليلة بالاضافة) أى بالنسبة (الى مقامك) بضم الميم أى اقامتك (فى الدار الآخرة وهى أبد الآباد) أى لا نهاية لها وقوله وهى فى محل التعليل كقوله لما بقا فهى قليلة (وتأمل أنك كيف تحمل المشقة والذل فى طلب الدنيا) أى من الاموال (شهرا أو سنة رجاء أن تستريح بها) أى الدنيا (عشرين سنة مثلا فكيف لا تحمل ذلك) أى المشقة فى اشتغال الوظائف والذل فى عدم تحصيل الدنيا (أياما قلائل) أى مدة حياتك فى الدنيا (رجاء الاستراحة أبد الآباد) فالدنيا وما فيها بالنسبة لثواب الآخرة أقل قليل (ولا تطول أملك) فى أنك تعيش شهرا مثلا (فيثقل عليك عملك) وتسوف بالعمل نفسك (وقدر قرب الموت) لان ذكر الموت يوجب التجافى عن دار الغرور ويتقاضى الاستعداد للآخرة والغفلة عن الموت تدعو الى الانهماك فى شهوات الدنيا (وقل فى نفسك انى أتحمل المشقة اليوم) أى فى اشتغال الاوراد (فلعلى أموت الليلة) فتكون الاوراد ذخيرة لى (واصبر الليلة) على تحمل مرارة السهر فى العبادة (فلعلى أموت غدا) فتكون العبادة زادا لى فى الآخرة (فان الموت لا يهجم) بضم الجيم أى لا يدخل (فى وقت مخصوص) بل يدخل فى كل وقت (وحال مخصوص) بل فى كل حال من الصحة والمرض والغفلة والذكر (وسن مخصوص) بل يدخل فى الصبيان والشبان والشيوخ (فلا بد من هجومه) أى الموت على كل حال (فالاستعداد) أى التهيؤ (له) أى الموت (أولى) أى أحق (من الاستعداد للدنيا) والمراد بالدنيا هنا الزائد على قدر الحاجة (وأنت تعلم) علم اليقين (أنك لا تبقى فيها) أى فى دار الدنيا (الا مدة يسيرة) أى قليلة (ولعله لم يبق من اجلك) أى مدة حياتك (الا يوم واحد أو نفس واحد فقدر هذا) أى هجوم الموت فى لحظتك أو فى وقتك (فى قلبك كل يوم) قال صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن اذ لا يزال فيها فى تعب من تحمل مشقة نفسه وكسر شهواته ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة أى هدية فى حقه وكان الربيع بن خيثم يقول لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة واحدة لفسد (وكلف) أى احمل على مشقة (نفسك الصبر على طاعة الله يوما فيوما) أى وقتا بعد وقت فقوله نفسك مفعول أول والصبر مفعول ثان لان كلف يتعدى لاثنين كما هو مفهوم من المصباح (فانك لو) لم تقدر دخول

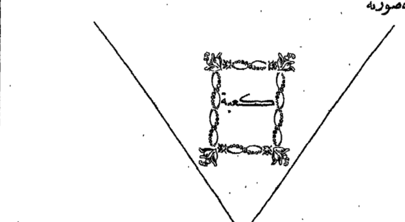
وآمن الرسول الى آخر السورة والاخلاص والمعوذتين وتبارك الملك وليأخذك النوم وأنت على ذكر الله وعلى الطهارة فمن فعل ذلك عرج بروحه الى العرش وكتب مصليا الى ان يستيقظ * فاذا استيقظت فارجع الى ما عرفتك أولا وداوم على هذا الترتيب بقية عمرك فان شقت عليك المداومة فاصبر صبر المريض على مرارة الدواء انتظار الشفاء وتفكر فى قصر عمرك وان عشت مثلا مائة سنة فهى قليلة بالاضافة الى مقامك فى الدار الآخرة وهى أبد الآباد وتأمل أنك كيف تحمل المشقة والذل فى طلب الدنيا شهرا أو سنة رجاء أن تستريح بها عشرين سنة مثلا فكيف لا تحمل ذلك أياما قلائل رجاء الاستراحة أبد الآباد ولا تطول أملك فيثقل عليك عملك وقدر قرب الموت وقل فى نفسك انى أتحمل المشقة اليوم فلعلى أموت الليلة وأصبر الليلة فلعلى أموت غدا فان الموت لا يهجم فى وقت مخصوص وحال مخصوص وسن مخصوص فلا بد من هجومه فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا وأنت تعلم انك لا تبقى فيها الا مدة يسيرة ولعله لم يبق من اجلك الا يوم واحد أو نفس واحد فقدر هذا فى قلبك كل يوم وكلف نفسك الصبر على طاعة الله يوما فيوما فانك لو

الموت

الموت عليك بغتة بل (قدرت البقاء) فى الدنيا (خمسين سنة) أى مثلا (وألزمتها الصبر على طاعة الله نفرت) أى تلك النفس أى جزعت (واستعصت) بتقديم العين على الصاد أى خالفت وفى النسخ واستصعبت بالصاد فالعين فالموحدة وهذا أحسن أى وجدت النفس صعبا (عليك) لانك قدرت بعد الموت (فان فعلت ذلك) أى تكليف نفسك الصبر على الطاعة (فرحت عند الموت فرحا لا آخر له) برؤيتك محلك فى الجنة لانك قد استعددت للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس (وان سوّفت) بالطاعة (وتساهلت) لها (جاءك الموت) بغتة (فى وقت لا تحتسبه) أى لا تعرف أن الموت جاءك فى ذلك الوقت (وتحسرت) بالحاء المهملة أى حزنت (تحسر الا آخر له) لانهما كك فى الدنيا ولاتباعك شهواتك (وعند الصباح يحمد القوم السرى) بضم السين وفتح الراء ومعناه فى الاصل السير أوّل الليل وأوسطه وآخره كما فى المصباح والمراد بذلك الطاعة فى ذلك الوقت وقوله يحمد بضم الباء وكسر الميم كما ضبطه بذلك شيخنا يوسف السنبلاويني وهو موافق للصحاح والمصباح والمعنى أن العباد الذين اشتغلوا بالعبادة فى الليل صارت عبادتهم الى الحمد ووجدوها محمودة كما أن السائرين فى الليل صار سيرهم الى الحمد ووجدوه محمودا عندهم حالة الصباح لان السير فى الليل يطوى الارض (وعند الموت يأتيك الخبر اليقين) أى الواضح أى فى أنك تفرح بحصول رضا رب العالمين أو تحزن بوجدان سخطه (ولتعلمن نبأه) أى خبر المذكور من الفرح والحزن (بعد حين) أى انقضاء عمرك (واذ أرشدناك) أى دللناك (الى ترتيب الاوراد فلنذكر لك كيفية الصلاة والصوم وآدابهما) فى فصلين (وآداب الامامة والقدوة) فى فصل واحد (والجمعة) فى فصل واحد

﴿آداب الصلاة﴾

أى المطلوبات فيها (فاذا فرغت من طهارة الحدث) أى الاصغر والاكبر (و) من (طهارة الخبث) بفتحتين أى النجس الذى لا يعفى عنه (فى البدن) حتى داخل الفم والانف والعين والاذن (والثياب) وغيرهما من كل محمول وملاق له (والمكان) الذى يصلى فيه (ومن ستر العورة من السرة الى الركبة) كما هى للرجل حرا كان أو عبدا (فاستقبل) أى بصدرك (القبلة) أى عينها مطلقا فى القرب يقينا وفى البعد ظنا وعند الامام أبى حنيفة التوجه يكون بجزء من قاعدة مثلث وعند الامام مالك القبلة هى الجهة مطلقا فى القرب والبعد وعند الامام أحمد هى العين فى القرب والجهة فى البعد فمذهب أبى حنيفة أوسع فى أمر القبلة وبعده مذهب مالك وبعده مذهب الامام أحمد وهو المتوسط وبعده مذهب الامام الشافعى وهو أضيق لانه لا بد من العين عنده مطلقا أى فى القرب والبعد كذا فى فتاوى الخليلى ثم رأيت نصا فى فقه مذهب أبى حنيفة وهو قوله فلو انحرف عن العين انحرافا لا تزول منه المقابلة بالكلية جاز فيجوز التيامن أو التياسر لان وجه الانسان مقوس لانه يبقى شئ من جوانب وجهه مقابلا للقبلة وذلك عند زيادة البعد منها ولو جعل الكعبة عن يمينه أو يساره فلا يجوز بالاتفاق اذ لا شك حينئذ فى خروجه عن الجهة بالكلية لانه لم يقع فيما بين خطين من قاعدة مثلث وهذه صورته

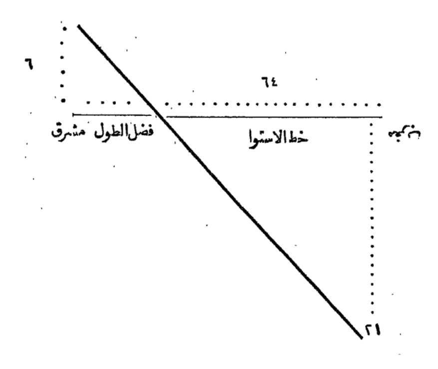


قدرت البقاء خمسين سنة وألزمتها الصبر على طاعة الله تعالى نفرت واستعصت عليك فان فعلت ذلك فرحت عند الموت فرحا لا آخر له وان سوّفت وتساهلت جاءك الموت فى وقت لا تحتسبه وتحسرت تحسر الا آخر له وعند الصباح يحمد القوم السرى وعند الموت يأتيك الخبر اليقين ولتعلمن نبأه بعد حين واذ أرشدناك الى ترتيب الاوراد فلنذكر لك كيفية الصلاة والصوم وآدابهما وآداب الامامة والقدوة والجمعة

﴿آداب الصلاة﴾

فاذا فرغت من طهارة الحدث وطهارة الخبث فى البدن والثياب والمكان ومن ستر العورة من السرة الى الركبة فاستقبل القبلة

فاذا أراد معرفة الجهة فلينظر فى مغرب الصيف فى أطول أيامه ومغرب الشتا فى أقصر أيامه فليدع الثلثين فى الجانب الايمن والثلث فى الايسر والقبلة عند ذلك ولو لم يفعل هكذا وصلى فيما بين المغربين جاز اه ثم اذا أراد معرفة عين القبلة لاهل الجاوة فليعلم أولا خط الاستواء من المشرق الى المغرب ثم ليجعل عليه أشياء متساوية كالفلوس مصفوفة من جهة المغرب الى جهة المشرق بأربعة وستين شيأ وهو مقدار فضل الطول بين مكة والجاوة ثم ليجعل من جهة المغرب الى جهة اليمين مصفوفا بواحد وعشرين وهو عرض مكة من خط الاستواء وليجعل من جهة المشرق الى جهة اليسار مصفوفا بستة فهو مقدار عرض الجاوة ثم خط من آخر الستة الى آخر الواحد والعشرين فذلك ميل القبلة وهذه صورته



قائما مزاوجا بين قدميك بحيث لا تضمهما واستو قائما واقرأ قل أعوذ برب الناس تحصنا بها من الشيطان الرجيم وأحضر قلبك ما أنت فيه وفرغه من الوسواس وانظر بين يدى من تقوم ومن تناجى واستح أن تناجى مولاك بقلب غافل وصدر مشحون بوساوس الدنيا وخبائث الشهوات واعلم انه تعالى مطلع على سريرتك وناظر الى قلبك

(قائما) بالاعتماد على القدمين أو أحدهما (مزاوجا بين قدميك) بالزاى فالالف ثم الجيم كما فى الاحياء أى جاعلا لهما مساماتا لا تتقدم احداهما على الاخرى ولا تسترخى عنها أو بالحاء المهملة فى آخره وهذا هو الانسب أى مبعدا بينهما بقدر شبر (بحيث لا تضمهما) وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصفن والصفد فى الصلاة فالصفد هو اقتران القدمين معا والصفن هو رفع احدى الرجلين (واستو) بنصب الفقار (قائما) وأما الرأس فالافضل اطراقه لانه أقرب للخشوع وأغض للبصر (و) بعد استواء القيام (اقرأ قل أعوذ برب الناس تحصنا) أى تحفظا (بها) أى بهذه السورة (من الشيطان الرجيم وأحضر قلبك ما أنت فيه) وهذا هو المسمى بالخشوع (وفرغه) أى القلب (من الوسواس) أى حديث النفس لان التفريغ أعون على الخشوع (وانظر) أى تأمل (بين يدى من تقوم ومن تناجى) فى الصلاة وكيف تناجى وبماذا تناجى وعظم فى نفسك قدر المناجاة (واستح أن تناجى مولاك بقلب غافل) عما أنت فيه (وصدر مشحون) أى مملوء (بوساوس الدنيا) أو بتفكر فى أمور الآخرة كالجنة والنار فهذا مكروه أيضا على ما أفاده الرملى (وخبائث الشهوات واعلم) فى الحال أنك قائم بين يدى الله تعالى و (أنه تعالى) أى مولاك (مطلع) أى عالم (على سريرتك) وهو ما تكتم فى قلبك فقم بين يديه قيامك بين يدى بعض ملوك الزمان (وناظر الى قلبك) ومثل فى صلاتك الجنة

عن يمينك والنار عن شمالك فان القلب اذا شغل بذكر الآخرة ينقطع عنه الوسواس فيكون هذا التمثيل تداويا للقلب لدفع الوسوسة كذا فى عوارف المعارف (فانما يتقبل الله من صلاتك بقدر خشوعك) أى حضور قلبك (وخضوعك) أى سكون جوارحك (وتواضعك) أى تذللك (وتضرعك) أى خلوصك فى الدعاء وقيل للصلاة أربع شعب حضور القلب وشهود العقل وخضوع النفس وخضوع الاركان فحضور القلب رفع الحجاب وشهود العقل رفع العتاب وخضوع النفس فتح الابواب وخضوع الاركان وجود الثواب فمن أتى الصلاة بلا حضور القلب فهو مصل لاه ومن أتاها بلا شهود العقل فهو مصل ساه ومن أتاها بلا خضوع النفس فهو مصل خاطئ ومن أتاها بلا خضوع الاركان فهو مصل جاف ومن أتاها كما وصف فهو مصل واف كذا فى عوارف المعارف وروى فى الخبر ليس للمرء من صلاته الا ما عقل وقد ورد فى الخبر أن من خشع فى صلاته وجبت له الجنة وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه (واعبده) أى مولاك (فى صلاتك كأنك تراه) أى اعبده تعالى حال كونك فى صلاتك مثل حال كونك رائيا له فانك لو قدرت أنك قمت فى عبادة ربك وأنت تعاينه لم تترك شيأ مما تقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت وحفظ القلب والجوارح واجتماعك بظاهرك وباطنك الا أتيت به كما أفاده ابراهيم الشبرخيتى (فان لم تكن تراه) فاستمر على احسانك العبادة (فانه يراك) اذ هو المشاهد لكل أحد من خلقه فى حركته وسكونه (فان لم يحضر قلبك ولم تسكن جوارحك لقصور) أى نقص (معرفتك بجلال الله تعالى فقدر) فى دوام قيامك فى صلاتك (أن رجلا صالحا من وجوه) أى أشراف (أهل بيتك ينظر اليك) بعين كالئة (ليعلم كيف صلاتك فعند ذلك يحضر قلبك وتسكن جوارحك) خيفة أن ينسبك ذلك الرجل العاجز الى قلة الخشوع (ثم) بعد احساسك من نفسك ذلك (ارجع الى نفسك) بالمعاتبة (وقل يا نفس السوء) انك تدعى معرفة الله وحبه (الا تستحين من خالقك ومولاك اذ قدرت اطلاع عبد ذليل من عباده عليك وليس بيده ضرك ولا نفعك) ولا عقاب ولا ثواب (خشعت جوارحك وحسنت صلاتك ثم انك) بكسر الهمزة (تعلمين أنه مطلع عليك ولا تخشعين لعظمته أهو تعالى عندك أقل) أى أصغر وأحقر (من عبد من عباده فما أشد طغيانك) أى عصيانك (وجهلك وما أعظم عداوتك لنفسك) لانك وقرت عبدا ذليلا ولا توقرين الله تعالى وتخشين الناس ولا تخشين الله تعالى وهو أحق أن تخشيه (وعالج) أى زاول وداو (قلبك بهذه الحيل) بكسر الحاء وفتح الياء جمع حيلة وهى الحذق فى تدبير الامور (فعساه) أى قلبك (أن يحضر معك فى صلاتك فانه) أى الشأن (ليس لك من صلاتك الا ما عقلت) أى تدبرت (منها وأما ما أتيت به) أى فى صلاتك من القراءة والاذكار (مع الغفلة والسهو) عما أنت فيه بأن لم يحضر قلبك (فهو الى الاستغفار والتكفير) أى فعل الكفارة من صدقة ونحوها (أحوج) لان فى صلاتك خللا لعدم حضور قلبك فالخشوع فى الصلاة ولو فى جزء منها واجب لكنه ليس شرطا لصحة الصلاة كما أفاده شيخنا أحمد النحراوى (فاذا حضر قلبك) أى بأن لم يكن غافلا (فلا تترك الاقامة وان كنت وحدك) لانها لافتتاح الصلاة وتطلب للفائتة المفروضة أيضا (وان انتظرت) أى رجوت (حضور جماعة) يصلون معك (فأذن ثم أقم) وهذا الكلام من أن الاذان لا يندب للمنفرد مبنى على القول القديم لان المقصود من الاذان الاعلام وهو منتف للمنفرد وهو ضعيف والجديد ندبه للمنفرد مع رفع الصوت بعمران أو صحراء وان بلغه أذان غيره لكن يكفى فى أذانه اسماع نفسه بخلاف أذان الاعلام (فاذا أقمت فانو) أى استحضر النية أى كل معتبر فيها من قصد ايقاع الصلاة وتعيين ذات وقت أو سبب ونية فرض ان كانت الصلاة فرضا ونية القصر للقاصر ونية القدوة مثلا للمأموم مع استحضار صورة الصلاة المركبة من الاركان واعلم أن الاستحضار نوعان استحضار حقيقى واستحضار عرفى فالحقيقى أن يستحضر صورة الصلاة تفصيلا بان يستحضر ذات الصلاة جزأ بعد جزء والعرفى أن يستحضر صورة الصلاة جملة واحدة ثم المقارنة نوعان حقيقية وعرفية فالحقيقية أن يقصد ايقاع الصلاة المتصفة بأنها ظهر مثلا ولا يغفل عن ذلك من أول التكبير الى آخره والعرفية أن يكون القصد المذكور مقترنا بجزء من التكبير فلا تضر الغفلة عنه فى

فانما يتقبل الله من صلاتك بقدر خشوعك وخضوعك وتواضعك وتضرعك واعبده فى صلاتك كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فان لم يحضر قلبك ولم تسكن جوارحك لقصور معرفتك بجلال الله تعالى فقدر ان رجلا صالحا من وجوه أهل بيتك ينظر اليك ليعلم كيف صلاتك فعند ذلك يحضر قلبك وتسكن جوارحك ثم ارجع الى نفسك وقل يا نفس السوء ألا تستحين من خالقك ومولاك اذ قدرت اطلاع عبد ذليل من عباده عليك وليس بيده ضرك ولا نفعك خشعت جوارحك وحسنت صلاتك ثم انك تعلمين أنه مطلع عليك ولا تخشعين لعظمته أهو تعالى عندك أقل من عبد من عباده فما أشد طغيانك وجهلك وما أعظم عداوتك لنفسك وعالج قلبك بهذه الحيل فعساه أن يحضر معك فى صلاتك فانه ليس لك من صلاتك الا ما عقلت منها وأما ما أتيت به مع الغفلة والسهو فهو الى الاستغفار والتكفير أحوج فاذا حضر قلبك فلا تترك الاقامة وان كنت وحدك وان انتظرت حضور جماعة فأذن ثم أقم فاذا أقمت فانو

وقل في قلبك أؤدي فرض الظهر لله تعالى وليكن ذلك حاضرا في قلبك عند تكبيرك ولا تعزب عنك النية قبل

الفراغ من التكبير وارفع يديك عند التكبير بعد ارسالهما أولا الى حذو منكبيك وهما مبسوطتان وأصابعهما منشورة ولا تكلف ضمها ولا تفريجها بحيث تحاذي بابهاميك شحمتي أذنيك وبرؤس أصابعك أعلى أذنيك وبكفيك منكبيك فاذا استقرتا في مقرهما فكبر ثم أرسلهما برفق ولا تدفع يديك عند الرفع والارسال الى قدام دفعا ولا الى خلف رفعا ولا تنفضهما يمينا ولا شمالا فاذا أرسلتهما فاستأنف رفعهما الى صدرك وأكرم اليمنى بوضعها على اليسرى وانشر أصابع اليمنى على طول ذراعك اليسرى واقبض بها على كوعها وقل بعد التكبير الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثم اقرأ وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين ثم قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم اقرأ الفاتحة بتشديداتها واجتهد في الفرق بين الضاد والظاء في قراءتك في الصلاة وقل آمين ولا تصله بقولك ولا الضالين وصلا واجهر

أثنائه ونقل العلماء عن الامام الشافعي أن الواجب عنده الاستحضار العرفي مع المقارنة الحقيقية واختار النووي تبعا الامام الحرمين الاكتفاء بالمقارنة العرفية مع الاستحضار العرفي هذا تلخيص ما في كشف النقاب للشيخ علي بن عبد البر الونائي (وقل في قلبك أؤدي فرض الظهر لله تعالى) لتميز بقولك أؤدي الاداء عن القضاء وبالفرض عن النفل وبالظهر عن غيره (وليكن ذلك) أي معاني هذه الالفاظ (حاضرا في قلبك عند تكبيرك) فانه هو النية والالفاظ أسباب لحضورها (و) اجتهد أن تستديم ذلك الى آخر التكبير بحيث (لا تعزب) أي لا تغيب (عنك النية) أي ذكرها (قبل الفراغ من التكبير) لانه الواجب عند الشافعي والاكمل عند امام الحرمين (و) اذا احضر في قلبك ذلك فـ(ارفع يديك عند) ارادة (التكبير بعد ارسالهما أولا الى حذو منكبيك وهما) أي اليدان (مبسوطتان وأصابعهما منشورة ولا تكلف ضمها) أي الاصابع (ولا تفريجها) بل اتركها على مقتضى طبعها كذا في الاحياء لكن قال ابن حجر كشيخ الاسلام ويسن كشف الكفين ونشر الاصابع وتفريقها وسطا (بحيث تحاذي بابهاميك شحمتي أذنيك وبرؤس أصابعك أعلى أذنيك وبكفيك منكبيك فاذا استقرتا) أي اليدان (في مقرهما) كما ذكر (فكبر) أي ابتدئ التكبير مع احضار النية المتقدمة كذا في الاحياء قال ابن حجر مع النووي والاصح أن الافضل في وقت الرفع أن يكون مع ابتداء التكبير وقال الونائي ويستحب انتهاء التكبير مع وضع اليدين (ثم أرسلهما) أي اليدين (برفق ولا تدفع يديك عند الرفع والارسال الى قدام دفعا ولا الى خلف رفعا) أي عند انتهاء التكبير (ولا تنفضهما) بضم الفاء (يمينا ولا شمالا) أي اذا فرغت من التكبير (فاذا أرسلتهما) بعد التكبير (فاستأنف رفعهما الى صدرك) بعد الارسال أو اذا أردت قراءة الفاتحة والافضل كما قال ابن حجر ويسن ارسالهما الى ما تحت الصدر أي مائلا الى جهة اليسار (وأكرم اليمنى بوضعها على اليسرى وانشر أصابع اليمنى) التي هي المسبحة والوسطى (على طول ذراعك اليسرى واقبض بها) أي بأصابع اليمنى التي هي الابهام والخنصر والبنصر (على كوعها) أي اليسرى كما قاله في الاحياء أي فتقبض كوعك بابهامك وكرسوعك بخنصرك وبنصرك وترسل السبابة والوسطى جهة الساعد (وقل بعد التكبير) أي وبعد سكتة لطيفة بقدر سبحان الله سرا سواء كانت الصلاة فرضا أو نفلا (الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثم اقرأ وجهت وجهي) أي أقبلت بذاتي (للذي فطر السموات والارض) أي خلقهما على غير مثال سابق (حنيفا) أي مائلا عن كل دين الى دين الاسلام (مسلما وما أنا من المشركين ان صلاتي ونسكي) أي عبادتي (ومحياي ومماتي) أي احيائي واماتتي منسوبان (لله رب العالمين لا شريك له وبذلك) أي بالتوحيد والصلاة والنسك (أمرت وأنا من المسلمين) وان كنت خلف الامام فاختصر في دعاء الاستفتاح لخوف عدم ادراك الفاتحة قبل ركوع الامام (ثم) بعد سكتة لطيفة من ذلك (قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) سرا في كل ركعة لان التعوذ مطلوب عند ارادة القراءة (ثم) بعد سكتة لطيفة (اقرأ الفاتحة بتشديداتها) أي الاربع عشرة فاذا خففت مشددا فقد أسقطت منه حرفا (واجتهد في الفرق بين الضاد والظاء في قراءتك في الصلاة) فانك لو أبدلت حرفا بحرف آخر كضاد بظاء وحاء بهاء لم تصح قراءتك لتلك الكلمة وكذا لو أبدلت ذال الذين المعجمة بالمهملة خلافا للزركشي ومن تبعه وان كنت معتمدا في اتيان ما يغير المعنى كابدال ضاد الضالين ظاء بطلت صلاتك وان كنت ساهيا في ذلك بطلت قراءتك لا صلاتك ان اعدت القراءة على الصواب ويسن لك السجود للسهو وحينئذ أما لو أتيت بما لا يغير المعنى كابدال ياء العالمين واوا بطلت قراءتك لا صلاتك ان اعدت الكلمة على الصواب (وقل آمين) بعد قراءة الفاتحة لان نصفها دعاء فاستحب أن يسأل الله اجابته سواء كان في الصلاة أم خارجا منها لكنه فيها أشد استحبابا (ولا تصله) أي آمين (بقولك ولا الضالين وصلا) بل افصل بينهما بسكتة لطيفة تميزا للذكر عن القرآن ويسن في تلك السكتة أن تقول رب اغفر لي لوروده في الخبر (واجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء أعني) ندب الجهر (في الركعتين الاوليين الا ان تكون مأموما) فلا تجهر (واجهر بالتأمين) في الجهرية ولو كنت منفردا

بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء أعني في الركعتين الاوليين الا ان تكون مأموما واجهر بالتأمين

واقرأ في الصبح بعد الفاتحة من السور الطوال من المفصل وفي المغرب من قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء من أوساطه نحو والسماء ذات البروج وما قاربها من السور وفي الصبح في السفر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ولا تصل آخر السورة بتكبير الركوع ولكن افصل بينهما بقدر سبحان الله وكن في جميع قيامك مطرقا قاصرا نظرك على مصلاك فذلك أجمع لهمك وأجدر لحضور قلبك وإياك ان تلتفت يمينا وشمالا في صلاتك ثم كبر للركوع وارفع يديك كما سبق ومد التكبير الى انتهاء الركوع ثم ضع راحتيك على ركبتيك وأصابعك منشورة وانصب ركبتيك ومد ظهرك وعنقك ورأسك مستويا كالصفيحة الواحدة وجاف مرفقيك عن جنبيك والمرأة لا تفعل ذلك بل تضم بعضها الى بعض وقل سبحان ربي العظيم ثلاثا وان كنت منفردا فالزيادة الى سبع وعشر حسن * ثم ارفع رأسك حتى تعتدل قائما وارفع يديك قائلا سمع الله لمن حمده فاذا استويت قائما فقل ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد وان كنت في فريضة الصبح فاقرأ القنوت في الركعة الثانية في اعتدالك من الركوع ثم اسجد مكبرا غير رافع اليدين وضع أولا على الارض ركبتيك ثم يديك ثم جبهتك مكشوفة وضع أنفك مع الجبهة وجاف مرفقيك عن جنبيك وأقل بطنك عن فخذيك والمرأة لا تفعل ذلك وضع يديك على

(واقرأ في الصبح بعد الفاتحة من السور الطوال) بضم الطاء وكسرها (من المفصل) وأول المفصل الحجرات وآخره النبأ وطواله كسورة ق والمرسلات (وفي المغرب من قصاره) وهي من والضحى الى آخر القرآن (وفي الظهر والعصر والعشاء من أوساطه نحو والسماء ذات البروج وما قاربها من السور) وفي صبح الجمعة اذا اتسع الوقت الم تنزيل في الاولى وهل أتى في الثانية بكمالهما (وفي الصبح في السفر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد) وهما يسميان سورتي الاخلاص فسورة الكافرون لاخلاص العبادة والدين وقل هو الله أحد لاخلاص التوحيد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وقراءة السورة تندب لامام ومنفرد ومأموم لم يسمع قراءة امامه (ولا تصل آخر السورة بتكبير الركوع ولكن افصل بينهما بقدار) قولك (سبحان الله) وتسن سكتة لطيفة أيضا بين آمين والسورة ان قرأها فان لم يقرأها فبين آمين والركوع ويسن للامام أن يسكت بعد تأمينه في الجهرية بقدر قراءة المأموم الفاتحة ان علم أنه يقرؤها في سكتته وأن يشتغل فيها سرا بدعاء أو ذكر أو قراءة وهي أولى (وكن في جميع قيامك مطرقا) أي مرخيا عينيك (قاصرا نظرك على مصلاك) أي محل سجودك لو سجدت ولو كنت تصلي في الكعبة أو خلف نبي أو على جنازة وذلك من ابتداء التحرم الى آخر الصلاة (فذلك أجمع لهمك) أي لقلبك (وأجدر) أي أقرب (لحضور قلبك) نعم السنة أن يقصر نظره على مسبحته ما دامت مرتفعة بعد أن يشير بها عند قوله الا الله في التشهد ولو مستورة ولتكن منحنية متوجهة للقبلة ويستمر كذلك الى القيام من التشهد الاول أو السلام في التشهد الاخير (وإياك أن تلتفت) بوجهك بلا حاجة (يمينا وشمالا في صلاتك) ولو قصدت اللعب بالتفاتك بطلت صلاتك (ثم كبر للركوع وارفع يديك) مع ابتداء التكبير ولا تدم الرفع الى انتهائه (كما سبق) في تكبير التحرم من أنه يسن رفع اليدين فيه (ومد التكبير الى انتهاء الركوع) أي الى وصول حده لئلا يخلو جزء من الصلاة عن ذكر (ثم ضع راحتيك على ركبتيك وأصابعك منشورة) أي متفرقة وسطا موجهة لجهة القبلة على طول الساق بأن لا تحرف شيأ منها عن جهتها يمنة ويسرة (وانصب ركبتيك) مفرقتين بقدر شبر (ومد ظهرك وعنقك ورأسك مستويا كالصفيحة) بالفاء ثم الحاء أي اللوح (الواحدة) فلا يكون رأسك أخفض ولا أرفع (وجاف مرفقيك عن جنبيك) وبطنك عن فخذيك (والمرأة لا تفعل ذلك بل تضم بعضها الى بعض) فتلصق مرفقيها بجنبيها (وقل سبحان ربي العظيم) أي الكامل ذاتا وصفة (ثلاثا وان كنت منفردا فالزيادة) من الثلاث (الى سبع و) الى (عشر حسن) والاتيان بتسبيحة واحدة محصل للسنة لكنه مكروه (ثم ارفع رأسك حتى تعتدل قائما وارفع يديك) مع ابتداء رفع رأسك (قائلا سمع الله لمن حمده) اللام زائدة للتأكيد (فاذا استويت قائما) فارسل يديك (فقل ربنا لك الحمد) حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه (ملء السموات وملء الارض) وملء ما بينهما (وملء ما شئت من شيء بعد) ولا تطول الاعتدال الا في صلاة التسبيح (وان كنت في فريضة الصبح فاقرأ القنوت في الركعة الثانية في اعتدالك من الركوع) ويحصل القنوت بكل كلمة تضمنت دعاء وثناء كاللهم اغفر لي يا غفور لكن الافضل قنوت النبي صلى الله عليه وسلم وهو اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت فانك تقضي ولا يقضى عليك وانه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت ويستحب أن يقول عقب هذا الدعاء اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم هكذا في الاذكار (ثم اسجد مكبرا غير رافع اليدين) وابتدئ التكبير مع ابتداء الهوي واختمه مع ختمه (وضع أولا على الارض ركبتيك) مفرقتين بقدر شبر (ثم يديك) أي كفيك مكشوفتين ناشرا أصابعك مضمومة موجهة للقبلة لانها أشرف الجهات (ثم جبهتك مكشوفة وضع أنفك) مكشوفا (مع الجبهة) وكشف الجبهة الملتصقة بالمصلي واجب وكشف غيرها مندوب وكشف الركبتين مكروه وترك الترتيب في وضع هذه الاعضاء مكروه (وجاف مرفقيك عن جنبيك وأقل) أي ارفع (بطنك عن فخذيك) لان ذلك أبلغ في تمكين الجبهة والانف من محل سجوده وابعد من هيئة الكسالى (والمرأة لا تفعل ذلك) ومثلها الخنثى لانه أستر لها وأحوط وكذلك الرجل العاري (وضع يديك على الارض حذو منكبيك

ولا تفرش) بضم الراء و يجوز كسرها (ذراعيك على الارض) كما يفترش الكلب (وقل سبحان ربي الاعلى) والاعلى أبلغ من العظيم فجعل فى السجود الذى هو أشرف من الركوع وأبلغ منه فى التواضع والخضوع (ثلاثا أو سبعا أو عشرا ان كنت منفردا) وكذا اذا كنت مقتديا وأطال الامام السجود لان الصلاة لا سكوت فيها أما لو كنت اماما فلا تزد على الثلاث (ثم ارفع رأسك من السجود) بلا رفع ليديك (مكبرا حتى تعتدل) أى تستوى (جالسا) مطمئنا (واجلس على) كعب (رجلك اليسرى) بحيث يلى ظهرها الارض (وانصب قدمك اليمنى وضع يديك) أى كفيك ندبا (على فخذيك) قريبا من ركبتيك بحيث تسامت رؤس الاصابع (والاصابع منشورة) ولا تتكلف ضمها ولا تفريجها ولا يضر ادامة وضع الكفين على الارض الى السجدة الثانية (وقل رب اغفر لى وارحمنى وارزقنى) أى أعطنى من خزائن فضلك ما قسمته لى فى الازل حلالا (واهدنى واجبرنى) أى من الذل أو اغننى (وعافنى) أى ادفع عنى كل ما أكره من بلاء الدنيا والآخرة (واعف عنى) وفى الاذكار روى البيهقى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا رفع رأسه من السجدة قال رب اغفر لى وارحمنى واجبرنى وارفعنى وارزقنى واهدنى وفى رواية أبى داود وعافنى انتهى ولا تطول هذه الجلسة الا فى صلاة التسبيح (ثم اسجد سجدة ثانية كذلك) أى كالاولى فى جميع ما مر (ثم اعتدل) أى استو (جالسا) جلسة خفيفة ولو كنت فى نفل وان كنت قويا (للاستراحة فى كل ركعة لا تشهد عقبها) باعتبار ارادتك ولا يضر تخلف المأموم لاجل هذا الجلوس لانه يسير بل اتيانه به حينئذ سنة وهذا فاصل ليس من الاولى ولا من الثانية ولا يسن هذا بعد سجود تلاوة (ثم تقوم) من السجود وقعود الاستراحة (وتضع اليدين على الارض) معتمدا على بطن راحتهما وأصابعهما (ولا تقدم احدى رجليك فى حالة الارتفاع) أى على الاخرى (وابتدئ بتكبيرة الارتفاع عند القرب من حد جلسة الاستراحة ومدها) أى التكبيرة (الى انتصاف ارتفاعك الى قيامك) بأن تستغرق ما بين وسط ارتفاعك من القعود الى وسط ارتفاعك الى القيام بحيث يكون ها الله عند استوائك جالسا وكاف أكبر عند اعتمادك على اليد للقيام وراء أكبر فى وسط ارتفاعك الى القيام وتبتدئ التكبيرة فى وسط ارتفاعك الى القيام حتى تقع التكبيرة فى وسط انتقالك ولا يخلو عنها الاطرفاه وهو أقرب الى التعظيم ولا تمدها مدا يزيد على سبع ألفات فان ذلك مضر لان المد لا يزيد على ذلك (ولتكن هذه الجلسة جلسة خفيفة) أى قليلة (مختطفة) أى سريعة فلا يجوز تطويلها كالجلوس بين السجدتين كما قاله ابن حجر ثم قال عمر البصرى وتطويلها يحصل بقدر زمن يسع أقل التشهد فقط اذ لا ذكر هنا حتى يعتبر أو بزيادة على قدر الجلوس بين السجدتين ولعل الحكمة فى عدم مشروعية الذكر فيها كون القصد بها الاستراحة فخفف على المصلى بعدم أمره بتحريك شئ من الاعضاء أو كون مشروعيتها مع التكبير مسقطا للذكر انتهى ولا تسن هذه الجلسة لقاعد كما قاله ابن حجر والرملى (وصل الركعة الثانية كالاولى) أى فى وضع اليدين تحت الصدر وفى قراءة الفاتحة والسورة وفى قصر النظر الى موضع السجود (وأعد التعوذ فى الابتداء) أى ابتداء القيام لانه يسن للقراءة ولا تعد الاستفتاح (ثم) بعد تمام السجدة الثانية (اجلس فى الركعة الثانية للتشهد الاول وضع اليد اليمنى فى جلوس التشهد) أى مطلقا (على الفخذ اليمنى مقبوضة الاصابع) بعد وضعها عند الركبة أولا منشورة (الا المسبحة والابهام فترسلهما) وعبارة الاحياء ولا بأس بارسال الابهام أيضا (وانشر مسبحة يمناك) وحدها مع امالتها قليلا لئلا تخرج عن سمت القبلة (عند) همزة (قولك الا الله لا عند) لام (قولك لا اله) قاصدا من ابتدائك بهمزة الا الله أن المعبود واحد فتجمع فى توحيدك بين اعتقادك وقولك وفعلك (وضع اليد اليسرى منشورة الاصابع) بضمها حتى الابهام بأن لا تفرج بينهما التوجه كلها الى القبلة (على الفخذ اليسرى) بحيث تسامت رؤسها أول الركبة (واجلس على) كعب (رجلك اليسرى) بعد أن تضجعها بحيث يلى ظهرها الارض وانصب قدمك اليمنى وضع بطون أطراف أصابعها على الارض متوجهة للقبلة ولو كنت فى الكعبة (فى هذا التشهد كما بين السجدتين) وكالجلوس للاستراحة (وفى

الارض حذو منكبيك ولا تفرش ذراعيك على الارض وقل سبحان ربى الاعلى ثلاثا أو سبعا أو عشرا ان كنت منفردا * ثم ارفع رأسك من السجود مكبرا حتى تعتدل جالسا واجلس على رجلك اليسرى وانصب قدمك اليمنى وضع يديك على فخذيك والاصابع منشورة وقل رب اغفر لى وارحمنى وارزقنى واهدنى واجبرنى وعافنى واعف عنى ثم اسجد سجدة ثانية كذلك ثم اعتدل جالسا للاستراحة فى كل ركعة لا تشهد عقبها ثم تقوم وتضع اليدين على الارض ولا تقدم احدى رجليك فى حالة الارتفاع وابتدئ بتكبيرة الارتفاع عند القرب من حد جلسة الاستراحة ومدها الى انتصاف ارتفاعك الى قيامك ولتكن هذه الجلسة جلسة خفيفة مختطفة وصل الركعة الثانية كالاولى وأعد التعوذ فى الابتداء ثم اجلس فى الركعة الثانية للتشهد الاول وضع اليد اليمنى فى جلوس التشهد على الفخذ اليمنى مقبوضة الاصابع الا المسبحة والابهام فترسلهما وانشر مسبحة يمناك عند قولك الا الله لا عند قولك لا اله وضع اليد اليسرى منشورة الاصابع على الفخذ اليسرى واجلس على رجلك اليسرى فى هذا التشهد كما بين السجدتين وفى

التشهد

التشهد الاخير متوركا واستكمل الدعاء المعروف) أي المشهور بين الناس فقوله في التشهد الاخير متعلق بقوله استكمل (المأثور) أي المنقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (بعد الصلاة عن النبي صلى الله عليه وسلم) نحو اللهم اني أعوذ بك من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال اللهم اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا كبيرا ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني انك أنت الغفور الرحيم (واجلس فيه) أي التشهد الاخير (على وركك الايسر) بأن تلصقه بالارض لانك لست مستوفزا للقيام بل أنت مستقر (وضع رجلك اليسرى خارجة من تحتك) أي من جهة يمينك (وانصب القدم اليمنى) وضع رأس الابهام الى جهة القبلة ان لم يشق عليك ومحل ندب التورك في الجلوس الاخير اذا لم يعقبه سجود سهو وأريد فعله (ثم قل بعد الفراغ) من الادعية التي تطلب في التشهد (السلام عليكم ورحمة الله) ولا يستحب أن تقول معه وبركاته لانه خلاف المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان قد جاء في رواية لابي داود كذا في الاذكار تقول ذلك (مرتين من الجانبين) وافصل بينهما (والتفت) فيهما بوجهك فقط الى الجانبين (بحيث يرى بياض) أي حوزة (خديك من جانبيك) بأن تلتفت في المرة الاولى حتى يرى من وراءك خدك الايمن وفي المرة الثانية حتى يرى من خلفك خدك الايسر ولو سلمت الاولى شمالا سلمت الثانية يمينا عند ابن قاسم وشمالا أيضا عند الشبراملسي ويسن ابتداء السلام في كل مستقبلا للقبلة وانهاؤه مع تمام الالتفات (وانو الخروج من الصلاة) أي اقصد التحلل منها بالتسليمة الاولى فان نويت قبلها بطلت الصلاة أو مع الثانية أو أثناء الاولى فاتت السنة ولو سلم المتطوع الذي نوى عددا واقتصر على بعضه أثناء صلاته قصدا فان قصد التحلل فقد نوى الاقتصار على بعض ما نوى وان سلم عمدا ولم يقصد التحلل بطلت صلاته فلا بد من قصد التحلل أو الاقتصار على أقل مما نواه فلو نوى بالتسليمة الخروج من صلاة الظهر وهو في العصر بطلت الصلاة ان تعمد كذا أفاده الوناني (وانو السلام على من على جانبيك من الملائكة والمسلمين) من انس وجن فتنوي بمرة اليمين على من على يمينك وبمرة اليسار على من على يسارك وعلى من خلفك وأمامك بأيهما شئت والاولى أولى ويسن الرد من غير المصلي ولا يجب الرد لانصراف السلام للتحلل (وهذه هيئة صلاة المنفرد) وسيأتي قريبا صفة صلاة الجماعة زائدة على هذه الصفة (وعماد الصلاة الخشوع) بسكون الجوارح فلا يعبث بعضو منها وبحضور القلب ومما يحصله استحضاره أنه بين يدي الله ملك الملوك وأنه يعلم السر وأخفى وأنه يناجيه وأنه ربما تجلى عليه بالقهر لعدم قيامه بحق ربوبيته فيرد عليه صلاته (وحضور القلب مع القراءة والذكر بالتفهم) أي التأمل في الجملة لا المبالغة فيه لانه يشغله عما هو بسلوكه في طريقه (وقال الحسن البصري) وهو من أكبر التابعين (رحمه الله تعالى كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة أسرع) وحكى أوحى الله تعالى الى بعض الانبياء فقال اذا دخلت الصلاة فهب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينك الدموع فاني قريب (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليصلي الصلاة فلا يكتب له منها سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلاته بقدر ما عقل) أي تدبر (منها) وفي الحديث الذي رواه ابن ماجه عن أبي هريرة ان العبد اذا صلى في العلانية فأحسن وصلى في السر فأحسن قال الله تعالى هذا عبدي حقا والمعنى أن العبد اذا صلى فرضا أو نفلا حيث يراه الناس فأحسن الصلاة بأن أتى بما يطلب فيها ولم يراء بها وصلى حيث لا يراه أحد فأحسن الصلاة بأن أتى بأركانها وشروطها ومستحباتها من خشوع ونحوه أو كان واقفا عند حدود الله ممتثلا أوامره مجتنبا مناهيه أثنى الله عليه ونشر ثناءه بين الملائكة فيحبونه ثم تقع محبته في قلوب أهل الارض فهذا هو العبد الذي يوصف بأنه قائم على قدم الطاعة فهو العبد حقا

﴿آداب الامامة والقدوة﴾

بكسر القاف ويجوز ضمها كذا قاله الرشيدي كما في الصحاح وعكس ذلك في المصباح (ينبغي) أي يطلب (للامام) آداب ثمانية الاول (أن يخفف الصلاة) أي في قراءة السورة وان روى أنه صلى الله عليه وسلم قرأ في الظهر

التشهد الاخير متوركا واستكمل الدعاء المعروف المأثور بعد الصلاة عن النبي صلى الله عليه وسلم واجلس فيه على وركك الايسر وضع رجلك اليسرى خارجة من تحتك وانصب القدم اليمنى ثم قل بعد الفراغ السلام عليكم ورحمة الله مرتين من الجانبين والتفت بحيث يرى بياض خديك من جانبيك وانو الخروج من الصلاة وانو السلام على من على جانبيك من الملائكة والمسلمين وهذه هيئة صلاة المنفرد وعماد الصلاة الخشوع وحضور القلب مع القراءة والذكر بالتفهم وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة أسرع وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليصلي الصلاة فلا يكتب له منها سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلاته بقدر ما عقل منها

﴿آداب الامامة والقدوة﴾

ينبغي للامام أن يخفف الصلاة

بطوال المفصل الى ثلاثين آية وفى العصر بنصف ذلك وفى المغرب بأواخر المفصل وروى أن آخر صلاة صلاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرأ فيها سورة والمرسلات ماصلى بعدها حتى قبض وبالجملة فالتخفيف
أولى لاسيما اذا كثر الجمع قال صلى الله عليه وسلم اذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والكبير
وذا الحاجة واذا صلى لنفسه فليطول ماشاء (قال أنس بن مالك رضى الله عنه) وكان يخدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم عشر سنين (ماصليت خلف أحد صلاة أخف ولا أتم من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم و)
الثانى (لا يكبر) أى الامام (مالم يفرغ المؤذن من الاقامة ومالم تستو الصفوف) فيلتفت يمينا وشمالا فان رأى
خللا أمر بالتسوية والمؤذن يؤخر الاقامة عن الاذان بقدر استعداد الناس للصلاة لانه صلى الله عليه وسلم
نهى عن مدافعة الاخبثين وأمر بتقديم العشاء طلبا لفراغ القلب (و) الثالث (يرفع الامام صوته
بالتكبيرات ولا يرفع المأموم صوته الا بقدر مايسمع) بضم الياء وكسر الميم أى المأموم نفسه (وينوى الامام
الامامة لينال الفضل) أى فضل الجماعة (فاذا لم ينو) الامامة (صحت) صلاته منفردا (وصحت صلاة القوم)
المأمومين (اذا نووا الاقتداء به) أى بذلك الامام (ونالوا فضل القدوة) فان ترك المأموم هذه النية أو شك فيها
وتابعه فى فعل أو سلام بعد انتظار كثير للمتابعة بطلت صلاته لانه وقفها على صلاة غيره بلا رابطة بينهما (و)
الرابع (يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد) أى وكالمأموم أيضا (ويجهر بالفاتحة والسورة) بعدها (فى
جميع) ركعتى (الصبح وأولتى المغرب والعشاء وكذلك المنفرد ويجهر بقوله آمين فى) الصلاة (الجهرية) أى
ومثله المنفرد (وكذلك المأموم) على الصحيح سواء كان الجمع قليلا أو كثيرا وكذلك لقراءة امامه لا لقراءة نفسه
ولا يسن التأمين للمأموم لقراءة الامام فى السرية وان جهر الامام بذلك (ويقرن) بضم الراء على الافصح وقد
تكسر (المأموم تأمينه بتأمين الامام معا لا تعقيبا له) أى لا بعده ولا قبله وليس فى الصلاة موضع يستحب أن
يقترن فيه قول المأموم بقول الامام الا فى قوله آمين وأما فى باقى الاقوال فيتأخر قول المأموم عن قول الامام
ويجهر الامام والمنفرد ببسم الله الرحمن الرحيم (و) الخامس (يسكت الامام سكتة) لطيفة فى السرية (عقب
الفاتحة ليثوب) أى يرجع (اليه نفسه) بفتح الفاء بعد ذهابه وسكتة طويلة فى الجهرية بقدر قراءة المأموم
الفاتحة باعتبار الوسط المعتدل (ويقرأ المأموم الفاتحة فى الجهرية فى هذه السكتة) للامام وانما يسكت الامام
بقدر ذلك (ليتمكن من الاستماع عند قراءة الامام) للسورة فانه ان لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه
ما نقص من صلاتهم ويقرؤن الفاتحة معه لان الحالة حالة عذر والمقصر هو الامام وان لم يقرؤا الفاتحة فى
سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك عليهم لا عليه (ولا يقرأ المأموم السورة فى الجهرية) فذلك مكروه (الا اذا لم يسمع
صوت الامام) لبعده أو صمم أو سماع صوت غير مفهوم أو اسرار امامه ولو فى الجهرية فيقرأ ندبا سورة فأكثر
الى أن يركع الامام لان الصلاة لا سكوت فيها بغير المشروع (و) السادس (لا يزيد الامام على ثلاث فى
تسبيحات الركوع والسجود) نعم روى أن أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميرا بالمدينة
قال ماصليت وراء أحد أشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الشاب وكنا نسبح وراءه عشرا
عشرا وذلك حسن ولكن الثلاث اذا كثر الجمع أحسن فاذا لم يحضر الا المتجردون للدين فلا بأس بالعشر هذا
وجه الجمع بين الروايات كذا فى الاحياء (و) السابع (لا يزيد فى التشهد الاول بعد قوله اللهم صل على محمد) فان
الصلاة على الآل فيه لا تسن على الصحيح لانه مبنى على التخفيف أما المأموم فيسن له أن يشتغل بالدعاء اذا
فرغ من التشهد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم قبل الامام (و) الثامن (يقتصر) أى الامام (فى الركعتين
الاخيرتين على الفاتحة) ومثله المنفرد أما المأموم فيسن له أن يقرأ السورة فى الثالثة والرابعة اذا فرغ من
الفاتحة قبل الامام اذ لا معنى لسكوته (ولا يطول) أى الامام (على القوم) ثم فسر ذلك بقوله (ولا يزيد دعاؤه فى
التشهد الاخير على قدر تشهده وصلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم) بل الافضل أن يكون الدعاء أقل
منهما لانه تبع لهما والزيادة على قدرهما تكره على الامام ولا تضر على غيره (وينوى الامام عند التسليم) مع

قال أنس بن مالك رضى الله عنه ماصليت خلف أحد صلاة أخف ولا أتم من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكبر مالم يفرغ المؤذن من الاقامة ومالم تسو الصفوف ويرفع الامام صوته بالتكبيرات ولا يرفع المأموم صوته الا بقدر مايسمع نفسه وينوى الامام الامامة لينال الفضل فاذا لم ينو صحت صلاة القوم اذا نووا الاقتداء به ونالوا فضل القدوة ويسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة فى جميع الصبح وأولتى المغرب والعشاء وكذلك المنفرد ويجهر بقوله آمين فى الجهرية وكذلك المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الامام معا لا تعقيبا له ويسكت الامام سكتة عقب الفاتحة ليثوب اليه نفسه ويقرأ المأموم الفاتحة فى الجهرية فى هذه السكتة ليتمكن من الاستماع عند قراءة الامام ولا يقرأ المأموم السورة فى الجهرية الا اذا لم يسمع صوت الامام ولا يزيد الامام على ثلاث فى تسبيحات الركوع والسجود ولا يزيد فى التشهد الاول بعد قوله اللهم صل على محمد ويقتصر فى الركعتين الاخيرتين على الفاتحة ولا يطول على القوم ولا يزيد دعاؤه فى التشهد الاخير على قدر تشهده وصلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينوى الامام عند التسليم

نية التحلل (السلام) أى ابتداءه (على القوم) ويشترط أن لا يقصد غير السلام فقط (وينوى القوم
بتسليمهم جوابه) أى الامام أى الرد عليه زيادة على الابتداء فينوى رد السلام منهم من على يمينه بالتسليمة
الثانية ومن على يساره بالاولى ومن خلفه بأيهما شاء وبالاولى أفضل وينوى أيضا بعض المأمومين الرد على
بعض وسن للمأموم أن لا يسلم الا بعد فراغ الامام من تسليمتيه ولو ترك السنة بأن سلم قبل سلام امامه الثانية
سن للامام الرد عليه (ويلبث الامام) مكانه (ساعة بعد ما يفرغ من السلام) وفى الخبر أنه صلى الله عليه وسلم
لم يكن يقعد الا قدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام (ويقبل على الناس
بوجهه) قال شيخ الاسلام ولو مكث بعد الصلاة لذكر ودعاء فالافضل جعل يمينه اليهم ويساره الى المحراب
للاتباع رواه مسلم أى فى غير مسجده صلى الله عليه وسلم أما فيه فيجعل يمينه اليه تأدبا معه صلى الله عليه وسلم
وعند أبى حنيفة يجعل وجهه لهم كما قاله عطية والبجيرمى (ولا يلتفت) وفى نسخة ويلبث وهذه موافقة
للاحياء وفتح الوهاب (ان كان خلفه نساء لينصرفن أولا) وسن لهن الانصراف عقب سلام الامام لان
الاختلاط بهن مظنة الفساد (ولا يقوم أحد من القوم حتى يقوم الامام) فقيام المأموم قبل انتقال الامام
مكروه (وينصرف الامام) من مكان الصلاة الى مكان آخر ولو فى أثناء المسجد أو من المسجد الى الطريق
(حيث شاء عن يمينه أو شماله واليمين أحب الى) لان جهة اليمين أفضل (ولا يخص الامام نفسه بالدعاء فى
قنوت الصبح) فلا يقول اللهم اهدنى (بل يقول اللهم اهدنا) أى وهكذا للخبر الذى رواه الترمذى لا يؤم عبد
قوما فيخص نفسه بدعوة دونهم فان فعل فقد خانهم أى انتقص ثوابهم بتفويته ما طلب لهم فكره ذلك أما
ما ورد النص بافراد الدعاء فى غير القنوت فيفرد (ويجهر) أى الامام (به) أى القنوت ولو فى السرية على
الصحيح (ويؤمن القوم) للدعاء جهرا اذا سمعوا قنوت الامام واذا لم يسمعوه قنتوا سرا (ولا يرفعون أيديهم اذ لم
يثبت ذلك فى الاخبار) وهذا ضعيف بل الصحيح سن رفع اليدين فى جميع القنوت والصلاة والسلام بعده
وقد روى حديث فى رفع اليدين فى القنوت وفارق الدعوات فى آخر التشهد حيث لا يرفع بسببها اليدان
لان لهما وظيفة فى التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما ههنا فلا يبعد أن
يكون رفع اليدين هو الوظيفة فى القنوت فانه لائق بالدعاء كذا فى الاحياء والتحفة ولا يندب مسح اليدين
بعده فى الصلاة ويندب خارجها (ويقرأ المأموم بقية القنوت من قوله انك تقضى ولا يقضى عليك) سرا
وهو ثناء فلا يليق به التأمين بل يقرأ مع الامام فيقول مثل قوله وهو أولى أو يقول بلى وأنا على ذلك من
الشاهدين أو يقول أشهد أو يسكت مستمعا لامامه ويؤمن المأموم بعد الصلاة على النبى على المعتمد لانها دعاء
(ولا يقف المأموم وحده) أى منفردا عن صف من جنسه (بل يدخل فى الصف) ان وجد سعة بأن كان
لو دخل فيه وسعه من غير الحاق مشقة لغيره وان لم تكن فيه فرجة (أو يجر الى نفسه غيره) أى بعد
احرامه لا قبله من الصف ليصطف معه خروجا من الخلاف فى بطلان الصلاة بالانفراد عن الصف قال به
الامام أحمد وابن المنذر وابن خزيمة والحميدى واعلم ان شروط الامام ستة عشر الاول التمييز والثانى العقل
والثالث الاسلام والرابع الذكورة فيمن أم الرجل أو الخنثى والخامس أن يكون مكلفا اذا كان امام الجمعة
وكان من الاربعين والسادس عدم لزوم الاعادة فى حقه كمتيمم لنحو برد ومتيمم لعدم الماء فى محل يغلب فيه
وجود الماء وفاقد الطهورين والسابع أن لا يكون هاجما بلا اجتهاد ان احتاج اليه فى الاوانى او الثياب
أو القبلة فصلاة ذلك باطلة تلزمه الاعادة والثامن معرفة كيفية الصلاة والتاسع أن لا يكون لاحنا لحنا يغير
المعنى فى الفاتحة والعاشر أن لا يكون اخرس وان كان المقتدى اخرس ايضا والحادى عشر ان لا يكون اميا
وهو من لا يحسن الفاتحة والمأموم قارئ والثانى عشر ان لا يكون تابعا لغيره والثالث عشر ان لا يكون
مرتكب بدعة يكفر بها والرابع عشر أن يكون ظاهر الافعال للمأموم ليتمكن من متابعته والخامس عشر
اجتماع شروط الصلاة فى الامام يقينا أو ظنا من طهارة وستر عورة واجتناب نجاسة غير معفو عنها والسادس
عشر نية الامامة فيما تجب فيها نيتها وهى الجمعة والمعادة والمجموعة بالمطر والمنذورة جماعة كالعيد ونحوه بأن

السلام على القوم وينوى
القوم بتسليمهم جوابه
ويلبث الامام ساعة بعد
ما يفرغ من السلام ويقبل
على الناس بوجهه ولا
يلتفت ان كان خلفه نساء
لينصرفن أولا ولا يقوم
أحد من القوم حتى يقوم
الامام وينصرف الامام
حيث شاء عن يمينه أو شماله
واليمين أحب الى ولا يخص
الامام نفسه بالدعاء فى قنوت
الصبح بل يقول اللهم اهدنا
ويجهر به ويؤمن القوم ولا
يرفعون أيديهم اذ لم يثبت
ذلك فى الاخبار ويقرأ
المأموم بقية القنوت من
قوله انك تقضى ولا يقضى
عليك ولا يقف المأموم
وحده بل يدخل فى الصف
أو يجر الى نفسه غيره

ولا ينبغي للمأموم أن يتقدّم على الامام في أفعاله أو يساويه بل ينبغي أن يتأخر عنه ولا يهوي للركوع الا اذا انتهى الامام الى حد الركوع ولا يهوي للسجود مالم تصل جبهة الامام الى الارض

﴿آداب الجمعة﴾

اعلم أن الجمعة عيد المؤمنين وهو يوم شريف خص الله عزوجل به هذه الامة وفيه ساعة مبهمة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها حاجة الا أعطاه اياها فاستعد لها من يوم الخميس بتنظيف الثياب وبكثرة التسبيح والاستغفار عشية الخميس فانها ساعة توازي في الفضل ساعة يوم الجمعة وانو صوم يوم الجمعة لكن مع الخميس أو السبت ادجاء في افرادها نهي فاذا طلع عليك الصبح فاغتسل فان غسل الجمعة واجب على كل محتلم أي ثابت مؤكد ثم تزين بالثياب البيض فانها احب الثياب الى الله تعالى

ندر شخص أن يصلي ذلك جماعة ثم يصلي اماما فتجب نية الامامة (ولا ينبغي) أي لا يليق (للمأموم أن يتقدم على الامام في أفعاله أو يساويه) أي يقارنه في تلك (بل ينبغي) أي يطلب (أن يتأخر عنه ولا يهوي) بكسر الواو أي المأموم (للركوع الا اذا انتهى) أي وصل (الامام الى حد الركوع ولا يهوي للسجود مالم تصل جبهة الامام الى الارض) واعلم أن شروط المأموم تسعة الاول المتابعة بأن يتابع امامه في الافعال فلا يسبقه بركنين فعليين ولو غير طويلين عامدا عالما بالتحريم ولا يتخلف عنهما بلا عذر والثاني أن ينوي الاقتداء بالامام أو الجماعة أو الائتمام في غير الجمعة مطلقا وفيها مع التحرم لان التبعية عمل فافتقرت الى نية ومثل الجمعة كل ماوجبت فيه الجماعة والثالث موافقة المأموم امامه في سنن تفحش مخالفته فيها فعلا وتركا كسجدة تلاوة والرابع تيقن تقدم احرام امامه على جميع تحرمه والخامس أن يكون عالما بانتقالات الامام ليتمكن من متابعته والسادس أن لا يكون سابقا امامه فيما اعتمد عليه والسابع أن لا يعتقد بطلان صلاة امامه ولو شك الشافعي في اتيان المخالف كحنفي بالواجبات عند المأموم لم يؤثر في صحة الاقتداء به تحسينا للظن به في توقي الخلاف ولو علم ترك الامام البسملة لم تصح قدوة الشافعي به ولو كان الامام المقتدى به اماما اعظم كما قاله محمد السماوي والثامن اجتماع الامام والمأموم في الموقف والتاسع توافق نظم صلاة الامام والمأموم في الافعال الظاهرة

﴿آداب الجمعة﴾

بضم الميم وهي لغة الحجاز وبفتحها وهي لغة تميم والسكون لغة عقيل وهذه اللغات اذا كان المراد بالجمعة اليوم أما اذا أريد بها الاسبوع فبالسكون لا غير كما اذا قلت صمت جمعة أي أسبوعا (اعلم أن الجمعة عيد) من أعياد (المؤمنين) وهي أفضل الصلوات ويومها أفضل أيام الاسبوع وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الاضحى أما يوم عرفة فهو أفضل منها خلافا للامام أحمد (وهو يوم شريف خص الله عزوجل به هذه الامة) المحمدية وفي الخبر ان لله عزوجل في كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وقال صلى الله عليه وسلم من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب له أجر شهيد ووقي فتنة القبر (وفيه) أي في يوم الجمعة (ساعة مبهمة) أي أخفاها الله تعالى فيه (لا يوافقها) أي لا يصادفها (عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها) أي في تلك الساعة (حاجة) من حوائج الدين والدنيا (الا أعطاه) الله تعالى (اياها) أي الحاجة حالا بعين المسؤل قال بعضهم ساعة الاجابة في آخر النهار لان الله تعالى خلق آدم عليه السلام بعد العصر في يوم الجمعة ولان اليمين تغلظ بعد عصر الجمعة وقال القاضي عياض ساعة الاجابة مختطفة أي يسيرة منحصرة فيما بين أن يجلس الامام على المنبر الى سلامه من الصلاة أي لا تخرج عن هذا الوقت وليس المراد أنها مستغرقة لما بين الجلوس وآخر الصلاة لانها لحظة لطيفة ثم ذكر المصنف من آداب الجمعة هنا سبعة الاول مذكور بقوله (فاستعد لها) أي الجمعة (من يوم الخميس بتنظيف الثياب) واستعداد الطيب ان لم يكن عندك (وبكثرة التسبيح والاستغفار) أي والدعاء (عشية الخميس) أي بعد العصر في ذلك اليوم (فانها ساعة توازي) تقابل (في الفضل ساعة) الاجابة المبهمة في (يوم الجمعة) قال بعض السلف ان لله تعالى فضلا سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل الا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة (وانو صوم يوم الجمعة لكن مع الخميس أو السبت اذ جاء في افرادها) أي يوم الجمعة بالصوم (نهي) قال صلى الله عليه وسلم لا يصم أحد يوم الجمعة الا أن يصوم قبله او يصوم بعده رواه الشيخان وقال صلى الله عليه وسلم لا تصوموا يوم السبت الا فيما افترض عليكم والثاني مذكور بقوله (فاذا طلع عليك الصبح فاغتسل) فان وقت غسل الجمعة يدخل بذلك فان لم تبكر الى المسجد فتقريبه الى ذهابك افضل لتكون أقرب عهدا بالنظافة (فان غسل الجمعة واجب على كل محتلم) أي أمر (ثابت مؤكد) على كل من بلغ مبالغ الرجال والنساء يجب الغسل للخبر الذي رواه أبو داود وغيره من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل وقوله فبها أي فبالطريقة عمل ونعمت الطريقة هو الوضوء والثالث مذكور بقوله (ثم تزين بالثياب البيض) وهي افضل الثياب في كل زمن حيث لا عذر كما قال المصنف (فانها احب الثياب الى الله تعالى) لقوله صلى الله عليه وسلم

البسوا من ثيابكم البياض فانها من خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم رواه الترمذى (واستعمل من الطيب أطيب ماعندك) سوى الزباد لانه طيب النساء مع كون أحمد يقول بنجاسته لتغلب به الروائح الكريهة ويوصل به الرائحة الى مشام الحاضرين فى جواره وأحب طيب الرجال ماظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ماظهر لونه وخفى ريحه (وبالغ فى تنظيف بدنك بالحلق) لنحو ابط وعانة اذا لم ترد التضحية فى عشر ذى الحجة أما حلق الرأس فمباح الا ان تأذى ببقاء شعره أوشق عليه تعهده فيندب (والقص) أى لشاربه حتى تبدو حمرة الشفة ويكره استئصاله (والتقليم) أى للاظفار والافضل فى التقليم لليدين أن يبدأ فى اليمنى بالسبابة الى الخنصر ولاء ويختم بابهامها وفى اليسرى يبدأ بالخنصر ويختم بالابهام على التوالى وفى الرجلين أن يبدأ من خنصر اليمنى الى خنصر اليسرى على الولاء (والسواك وسائر أنواع النظافة وتطييب الرائحة) وهو بالمسك أفضل الا ان كنت محرما فيجب الترك أو صائما فيكره لك الطيب قال الشافعى رضى الله عنه من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله أى فهمه والرابع مذكور بقوله (ثم بكر الى الجامع) ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وهو مندوب لغير امام خطيب ومعذور كمن به سلس بول ولو بالقصد من فرسخين وثلاث لمن عادتهم الجلوس فى المسجد أما الامام فيسن له التأخير الى وقت الخطبة (واسع) أى امض واحضر (اليه) اى الجامع وفى نسخة اليها أى الجمعة (على الهينة) بكسر الهاء أى الرفق (والسكينة) أى التأنى فى المشى والحركات واجتناب العبث وحسن الهيئة كغض البصر وخفض الصوت وعدم الالتفات نعم ان لم يدرك الجمعة الا بالسعى وقد أطاقه وجب وان لم يلق به (فقد قال صلى الله عليه وسلم من راح) الى الجمعة اى ودخل فى المسجد (فى الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة) أى واحدا من الابل (ومن راح) أى جاء الى المسجد (فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة) وهى تقع على الذكر والانثى وتاؤها للوحدة كالبدنة (ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا) وهو ذكر النعجة (أقرن) أى عظيم القرون (ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب) فى نسخة أهدى (دجاجة) بتثليث الدال كما قاله البجيرمى والفتح أفصح من الكسر ولم يذكر الضم فى الصحاح ولا فى المصباح والدجاجة للذكر والانثى والتاء للوحدة (ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب) وفى نسخة أهدى (بيضة فاذا خرج الامام) أى لصعود المنبر من نحو الخلوة (طويت الصحف ورفعت الاقلام) أى فلا تكتب الملائكة أحدا من حاضرى الجمعة (واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر) أى الخطبة وفى رواية فى الرابعة بطة وفى الخامسة دجاجة وفى رواية للنسائى فى الخامسة كالذى يهدى عصفورا وفى السادسة بيضة قال ابن حجر والمراد أن مابين الفجر وخروج الخطيب ينقسم ستة أجزاء متساوية سواء أطال اليوم أم قصر (ويقال ان الناس) يكونون (فى قربهم عند النظر الى وجه الله تعالى على قدر بكورهم الى الجمعة) قال صلى الله عليه وسلم ثلاث لو يعلم الناس مافيهن لركضوا الابل فى طلبهن الاذان والصف الاول والغدو الى الجمعة وقال أحمد بن حنبل أفضلهن الغدو الى الجمعة وفى الخبر اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم والخامس مذكور بقوله (ثم اذا دخلت الجامع فاطلب الصف الاول) فان فضله كثير هذا اذا لم يكن بقرب الخطيب منكر ولم يحصل تخطى رقاب الناس قال سعيد بن عامر صليت الى جنب أبى الدرداء فجعل يتأخر فى الصفوف حتى كنا فى آخر صف فلما صلينا قلت أليس يقال خير الصفوف أولها قال نعم الا أن هذه الامة مرحومة منظور اليها من بين الامم فان الله تعالى اذا نظر الى عبد فى الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس فانما تأخرت رجاء أن يغفر لى بواحد منهم ينظر الله اليه فمن تأخر من الصف الاول مثلا على هذه النية ايثارا للغير واظهارا لحسن الخلق فهو أولى فانما الاعمال بالنيات والسادس مذكور بقوله (فاذا اجتمع الناس فلا تتخط رقابهم) والمراد بالتخطى أن يرفع رجله بحيث يحاذى فى تخطيه أعلى منكب الجالس ومايقع من المرور بين الناس ليصل الى نحو الصف الاول مثلا ليس من التخطى بل من خرق الصفوف ان لم يكن ثم فرج فى الصفوف يمشى فيها وذلك لايضر والتخطى مكروه كراهة شديدة لانه صلى الله

واستعمل من الطيب أطيب
ماعندك وبالغ فى تنظيف
بدنك بالحلق والقص
والتقليم والسواك وسائر
أنواع النظافة وتطييب
الرائحة ثم بكر الى الجامع
واسع اليها على الهينة
والسكينة فقد قال صلى
الله عليه وسلم من راح فى
الساعة الاولى فكأنما قرب
بدنة ومن راح فى الساعة
الثانية فكأنما قرب بقرة
ومن راح فى الساعة الثالثة
فكأنما قرب كبشا أقرن
ومن راح فى الساعة الرابعة
فكأنما قرب دجاجة ومن
راح فى الساعة الخامسة
فكأنما قرب بيضة فاذا
خرج الامام طويت الصحف
ورفعت الاقلام واجتمعت
الملائكة عند المنبر يستمعون
الذكر * ويقال ان الناس
فى قربهم عند النظر الى
وجه الله تعالى على قدر
بكورهم الى الجمعة ثم اذا
دخلت الجامع فاطلب
الصف الاول فاذا اجتمع
الناس فلا تتخط رقابهم

عليه وسلم رأى رجلا يتخطى رقاب الناس فقال له اجلس فقد آذيت وآنيت أي فقد آذيت الناس بتخطيك
وأخرت المجيء وأبطأت ولم يحمل هذا النهي على الحرمة لان الايذاء هنا الغرض كما أفاده البجيرمي والسابع
مذكور بقوله (ولا تمر بين أيديهم وهم يصلون) قال صلى الله عليه وسلم لان يقف (٢) أربعين عاما خير له من
أن يمر بين يدي المصلي (واجلس بقرب حائط) أي جدار (أو اسطوانة) بضم الهمزة أي عمود (حتى) للتعليل
أي كي (لا يمروا بين يديك) أي اذا صليت وفي بعض النسخ وحتى لا يمر بين يديك أحد فان لم تجد اسطوانة
فلتنصب بين يديك شيأ طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحدك (ولا تقعد حتى تصلي التحية والاحسن)
وفي نسخة وحسن أي مندوب كما قاله الفاكهي (أن تصلي أربع ركعات) أي بتسليمة واحدة لان التحية
لا تكون الا بتسليمة ولو مائة ركعة كما قاله القشني (تقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة سورة (الاخلاص خمسين
مرة) فجملة سورة الاخلاص في الاربع ركعات مائتا مرة (ففي الخبر أن من فعل ذلك لم يمت حتى يرى
مقعده من الجنة أو يرى له (ولا تترك التحية وان كان الامام يخطب) لكن عليك حينئذ بالتخفيف أي بترك
التطويل عرفا وقيل بالاقتصار على الواجبات ولا تزد حينئذ على ركعتين فان ذلك لا يجوز كما لا يباح لاحد من
الحاضرين صلاة غير تحية بعد جلوس خطيب وان لم يسمع الخطيب ولو دخل المسجد في آخر الخطبة فان
غلب على ظنه أنه ان صلى ركعتين خفيفتين فاتته تكبيرة الاحرام مع الامام لم تندب له التحية بل يقف حتى
تقام الصلاة ولا يقعد لئلا يكون جالسا في المسجد قبل التحية (ومن السنة أن تقرأ في أربع ركعات سورة
الانعام والكهف وطه ويس) وفي الاحياء استحباب هذه الصلاة مع هذه السور في هذا اليوم أو في ليلته
(فان لم تقدر فسورة يس والدخان والم السجدة وسورة الملك ولا تدع) أي لا تترك (قراءة هذه السور) أي
الاربع كما في الاحياء (في ليلة الجمعة ففيها فضل كثير) قيل من تلا سورة الانعام يكون متوجها لحفظ الدين
وحسن الرزق ويرزق الحظ في دنياه وآخرته وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم
الجمعة أعطي نورا من حيث يقرؤها الى مكة وغفر له الى الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون
ألف ملك حتى يصبح وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والجذام والبرص وفتنة الدجال والدبيلة داء في
جوف البطن أو داء أشد حرا في البطن أو في القلب وعن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقرأ أهل
الجنة من القرآن الا يس وطه وقيل من قرأ سورة طه يحب صلاة الليل ويفعل الخير ويحب العشرة في أهل
الدين ومن تلا سورة يس يكون دينه قويا وعن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الم
تنزيل أعطي من الاجر كمن أحيا ليلة القدر وقيل من تلا سورة السجدة يكون قوي التوحيد سالم اليقين
وقال صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة وقيل من تلا سورة
الملك أعطاه الله خيري الدنيا والآخرة وتكثر أملاكه وخيراته (ومن لم يحسن ذلك) قرأ ما يحسن (فليكثر
من قراءة سورة الاخلاص وأكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم) أي وليلته (خاصة)
وأكثر قراءة سورة الكهف قال الونائي وأقل اكثار الصلاة على النبي ثلثمائة بالليل وثلثمائة بالنهار وأقل
اكثار سورة الكهف ثلاث مرات وقراءتها نهارا آكد وأولاه بعد الصبح (ومهما خرج الامام) من نحو
خلوة لصعود المنبر (فاقطع الصلاة والكلام واشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة والاتعاظ بها)
وقال الونائي ويجب على كل من كان في صلاة تخفيفها عند صعود الخطيب المنبر وجلوسه عليه
فاطالة الصلاة كانشائها اهـ لكن انشاء الصلاة قبل جلوسه وبعد شروعه في الصعود لا يحرم
أما بعد جلوسه فيحرم ولا تنعقد الصلاة مطلقا ما عدا ركعتي التحية اجماعا كما في حاشية الاقناع (ودع
الكلام رأسا) أي بالكلية (في) وقت (الخطبة ففي الخبر أن من قال لصاحبه والامام يخطب أنصت
أو صه فقد لغا) قوله أو صه شك من الراوي وهو بمعنى اسكت (ومن لغا فلا جمعة له) أي لان قوله أنصت
كلام (فينبغي أن ينهى غيره بالاشارة) أي المفهمة (لا باللفظ) والجديد لا يحرم الكلام في وقت الخطبة بل
يكره والانصات لها سنة والمراد باللغو في الخبر المشهور مخالفة السنة كما أفاده ابن حجر وأن المنفي بقوله

٢
ولا تمر بين أيديهم وهم
يصلون واجلس بقرب حائط
أو أسطوانة حتى لا يمروا
بين يديك ولا تقعد حتى
تصلي التحية والاحسن أن
تصلي أربع ركعات تقرأ في
كل ركعة بعد الفاتحة
الاخلاص خمسين مرة ففي
الخبر ان من فعل ذلك لم يمت
حتى يرى مقعده من الجنة
أو يرى له ولا تترك التحية
وان كان الامام يخطب * ومن
السنة أن تقرأ في أربع
ركعات سورة الانعام
والكهف وطه ويس فان لم
تقدر فسورة يس والدخان
والم السجدة وسورة الملك
ولا تدع قراءة هذه السور
ليلة الجمعة ففيها فضل كثير
ومن لم يحسن ذلك فليكثر من
قراءة سورة الاخلاص
وأكثر الصلاة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في
هذا اليوم خاصة ومهما
خرج الامام فاقطع الصلاة
والكلام واشتغل بجواب
المؤذن ثم باستماع الخطبة
والاتعاظ بها ودع الكلام
رأسا في الخطبة ففي الخبر أن
من قال لصاحبه والامام
يخطب أنصت أو صه فقد لغا
ومن لغا فلا جمعة له أي لان
قوله أنصت كلام فينبغي أن
ينهى غيره بالاشارة لا باللفظ

فلا جمعة له كمال الجمعة لاصحتها نعم لو كان من الحاضرين أربعون تلزمهم الجمعة فقط حرم على بعضهم كلام فوته سماع ركن لتسببه فى ابطال الجمعة والقديم يحرم الكلام فى ذلك الوقت كالائمة الثلاثة و يجب الانصات قال البجيرمى ولا يكره الكلام قبل الخطبة و بعدها او بين الخطبتين ولو لغير حاجة (ثم اقتد بالامام كما سبق) أى فى آداب الجماعة فاذا سمعت قراءة الامام فلا تقرأ غير الفاتحة (فاذا فرغت) أى من صلاة الجمعة (وسلمت) منها (فاقرأ الفاتحة قبل ان تتكلم سبع مرات والاخلاص سبعا والمعوذتين سبعا سبعا فذلك) اى المذكور من السور (يعصمك) أى يمنعك من السوء (من الجمعة الى الجمعة ويكون حرزا) أى وقاية (لك من الشيطان) كما رواه ابن السنى من حديث عائشة عن رسول الله لكن بدون الفاتحة وروى الحافظ المنذرى عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قرأ اذا سلم الامام يوم الجمعة قبل أن يثنى رجله فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين سبعا سبعا غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأعطى من الاجر بعدد كل من آمن بالله ورسوله (وقل) أربع مرات كما نقل عن الدميرى عن أبى طالب (بعد ذلك) أى بعد سلام الجمعة كما فى الاحياء وكما نقل عن أبى طالب المكى (اللهم) أى يا الله (ياغنى) أى من لا يفتقر الى شئ (ياحميد) أى مستحق الثناء (يامبدئ) أى مظهر الشئ من العدم الى الوجود (يامعيد) أى خالق الشئ بعد عدمه (يارحيم) أى مريد الانعام (ياودود) أى من يحب الخير لجميع الخلائق (اغننى بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك و بفضلك عمن سواك) يقال من داوم على هذا الدعاء أغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب (ثم صل بعد الجمعة ركعتين) كما رواه ابن عمر (أو أربعا) كما رواه أبو هريرة (أو ستا) كما رواه على وعبد الله بن عباس (مثنى مثنى) وهذه الكلمة لم تذكر فى الاحياء (فكل ذلك) أى المذكور من الركعتين والاربع والست (مروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أحوال مختلفة) كما قال صلى الله عليه وسلم من كان منكم مصليا بعد الجمعة فليصل أربعا وفى رواية رواها مسلم اذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعا قال البركوى فى معنى هذا الحديث من كان منكم أيها المكلفون باداء الجمعة مريدا الآن يصلى بعد اداء فريضة الجمعة فليصل أربع ركعات بتسليمة ودل هذا الحديث على أن المؤكدة من هذه السنة بعد صلاة الجمعة أربع ركعات كما قال به أبو حنيفة و محمد وعليه الشافعى فى قول وعند أبى يوسف السنة المؤكدة بعد الجمعة ست ركعات أربع ركعات سنة الجمعة وثنتان سنة الوقت والافضل أن يصلى أربعا ثم ركعتين انتهى وعلى هذا فالركعتان الزائدتان عن الاربعة من النوافل المؤقتة لا من النوافل المطلقة (ثم لازم المسجد الى المغرب) وهو الافضل (أو الى العصر) يقال من صلى العصر فى الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة فان خاف دخول الآفة عليه من نظر الخلق الى اعتكافه أو خاف الخوض فيما لا يليق فالافضل أن يرجع الى بيته ذاكرا الله مفكرا فى آلائه شاكرا الله على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة ولا ينبغى أن يتكلم فى الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا (وكن حسن المراقبة) أى المرصاد (للساعة الشريفة فانها مبهمة فى جميع اليوم) أى يوم الجمعة (فعساك أن تدركها وأنت خاشع لله تعالى) أى مقبل اليه تعالى بقلبك (متذلل) أى خاضع (متضرع) أى مخلص بالدعاء (ولا تحضر فى الجامع مجالس الحلق) بكسر الحاء المهملة وفتح اللام أو بفتحهما على غير قياس جمع حلقة بفتح الحاء وسكون اللام وروى عبد الله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة الا أن يكون فيه عالم بالله يذكر بأيام الله و يفقه فى دين الله يتكلم فى الجامع بالغداة فيجلس اليه ليكون جامعا بين البكور و بين الاستماع واستماع النافع فى الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل (ولا) تحضر فى الجامع (مجالس القصاص) فلا خير فى كلامهم (بل) احضر (مجلس العلم النافع) بكرة او بعد العصر (وهو الذى يزيد فى خوفك من الله تعالى وينقص من رغبتك فى الدنيا) فقد روى أبو ذر أن حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة (فكل علم لا يدعوك من الدنيا الى الآخرة فالجهل أعود) أى أنفع (عليك منه) أى من ذلك العلم (فاستعذ بالله من علم لا ينفع) وقل اللهم انى

ثم اقتد بالامام كما سبق فاذا فرغت وسلمت فاقرأ الفاتحة قبل أن تتكلم سبع مرات والاخلاص سبعا والمعوذتين سبعا سبعا فذلك يعصمك من الجمعة الى الجمعة الاخرى و يكون حرزا لك من الشيطان وقل بعد ذلك اللهم ياغنى ياحميد يامبدئ يامعيد يارحيم ياودود أغننى بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك و بفضلك عمن سواك * ثم صل خاصة بعد الجمعة ركعتين أو أربعا أو ستا مثنى مثنى فكل ذلك مروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أحوال مختلفة ثم لازم المسجد الى المغرب أو الى العصر وكن حسن المراقبة للساعة الشريفة فانها مبهمة فى جميع اليوم فعساك ان تدركها وأنت خاشع لله تعالى متذلل متضرع ولا تحضر فى الجامع مجالس الحلق ولا مجالس القصاص بل مجالس العلم النافع وهو الذى يزيد فى خوفك من الله تعالى وينقص من رغبتك فى الدنيا فكل علم لا يدعوك من الدنيا الى الآخرة فالجهل أعود عليك منه فاستعذ بالله من علم لا ينفع

أعوذبك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع وعين لا تدمع ونفس لا تشبع وعمل لا يرفع ودعاء لا يسمع (وأكثر الدعاء عند طلوع الشمس وعند الزوال وعند الغروب وعند الاقامة وعند صعود الخطيب المنبر وعند قيام الناس الى الصلاة) فلا ينبغي أن تخلو في جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى توافيك الساعة الشريفة وأنت في خير ولا بأس أن تدعو بهذا الدعاء اللهم انا نسألك فقها في الدين وزيادة في العلم وكناية في الرزق وعافية وصحة في البدن وتوبة قبل الموت وراحة عند الموت ومغفرة بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم يا أرحم الراحمين ويا خير المسؤلين (فيوشك أن تكون الساعة الشريفة في بعض هذه الاوقات) فالعلماء اختلفوا فيها على أقوال فقيل أخفاها الله تعالى في اليوم وقيل هي في أول النهار وقيل هي في آخره وهو قول الاكثرين قال النووي والصواب ما ثبت في حديث مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هي ما بين أن يجلس الامام على المنبر الى أن يسلم من الصلاة وظاهر هذا الحديث أنه يطلب الدعاء حال التلبس بالخطبة وهو مشكل بالامر بالانصات حال الخطبة وأجاب البلقيني عن هذا الاشكال بأنه ليس من شروط الدعاء التلفظ بل استحضار ذلك بقلبه كاف في ذلك وقال الحليمي ان الدعاء يكون اذا جلس الامام قبل أن يفتتح الخطبة أو بين الخطبتين أو بين الخطبة الثانية والصلاة أو في الصلاة بعد التشهد وما قاله الحليمي أظهر كذا نقله البجيرمي عن الاجهوري (واجتهد أن تتصدق في هذا اليوم بما تقدر عليه وان قل) فان الصدقة فيه تتضاعف (فتجمع بين الصلاة والصوم والصدقة والقراءة والذكر والاعتكاف والرباط) أي انتظار الصلاة بعد الصلاة أي اذا أتيت بجميع المذكور وقال بعض السلف من أطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ أحدا ثم قال حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم أسألك أن تغفر لي وترحمني وتعافيني من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له (واجعل هذا اليوم من الاسبوع) بضم الهمزة (خاصة لآخرتك) فكف فيه عن جميع أشغال الدنيا وأكثر فيه الاوراد (فعسى أن يكون) أي هذا اليوم (كفارة لبقية الاسبوع) وبالجملة ينبغي أن يزيد مريد الوصول الى الله تعالى في أوراده وأنواع خيراته فان الله تعالى اذا أحب عبدا استعمله في الاوقات الفاضلة بفواضل الاعمال واذا مقته استعمله في الاوقات الفاضلة بسيء الاعمال ليكون أوجع في عقابه وأشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمته

﴿ آداب الصيام ﴾

وهو لجام المتقين ورياض الابرار والمقربين (لا ينبغي) أي لا يليق (أن تقتصر على صوم شهر رمضان فتترك التجارة بالنوافل وكسب الدرجات العالية في الفراديس) جمع فردوس وهي أعلى الجنة وأوسطها وقال كعب ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر (فتتحسر) بالحاء المهملة أي فتتلهف (اذا نظرت الى منازل الصائمين كما تنظر الى الكواكب الدرية) بتثليث الدال أي المضيئة (وهم في أعلى عليين) وفي الخبر ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم فاذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد وفيه أيضا ان في الجنة بابا يقال له الضحى فاذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين الذين كانوا يديمون صلاة الضحى هذا بابكم فادخلوه وفيه أيضا وفي الجنة باب يقال له الفرح لا يدخل منه الا مفرح الصبيان والحاصل أن كل من أكثر نوعا من العبادة خص بباب يناسبه ينادى منه جزاء وفاقا وكل من يجتمع له العمل بجميع أنواع الطاعات يدعى من جميع الابواب على سبيل التكريم والدخول لا يكون الا من باب واحد وهو باب العمل الذي يكون غلب عليه واعلم أن استحباب الصوم يتأكد في الايام الفاضلة وفواضل الايام بعضها يوجد في كل سنة وبعضها يوجد في كل شهر وبعضها في كل أسبوع (و) أما (الايام الفاضلة) التي توجد في كل سنة (التي شهدت الاخبار بشرفها وفضلها وبجزالة الثواب) أي كثرته (في صيامها) بعد أيام رمضان فهو (يوم عرفة) وهو تاسع ذي الحجة فيسن صومه (لغير الحاج) وأما الحاج فيسن له فطره وصومه خلاف الاولى ان كان يصل عرفة نهارا فان كان يصلها ليلة التاسع فلا كراهة ولا خلاف

وأكثر الدعاء عند طلوع الشمس وعند الزوال وعند الغروب وعند الاقامة وعند صعود الخطيب المنبر وعند قيام الناس الى الصلاة فيوشك أن تكون الساعة الشريفة في بعض هذه الاوقات واجتهد أن تتصدق في هذا اليوم بما تقدر عليه وان قل فتجمع بين الصلاة والصوم والصدقة والقراءة والذكر والاعتكاف والرباط واجعل هذا اليوم من الاسبوع خاصة لآخرتك فعساه أن يكون كفارة لبقية الاسبوع

﴿ آداب الصيام ﴾

لا ينبغي أن تقتصر على صوم شهر رمضان فتترك التجارة بالنوافل وكسب الدرجات العالية في الفراديس فتتحسر اذا نظرت الى منازل الصائمين كما تنظر الى الكواكب الدرية وهم في أعلى عليين والايام الفاضلة التي شهدت الاخبار بشرفها وفضلها وبجزالة الثواب في صيامها يوم عرفة لغير الحاج

الاولى وهو أفضل الايام لان صومه يكفر سنتين من الصغائر (ويوم عاشوراء) بالمد وقد يقصر وهو عاشر المحرم فان صومه يكفر السنة الماضية (والعشر الاول من ذى الحجة) وفى الخبر ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب الى الله عز وجل من أيام عشر ذى الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلة القدر (والعشر الاول من المحرم) وفى الخبر أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل أى وذلك بالنسبة لغير عرفة وبالنسبة لغير صلاة الرواتب (ورجب وشعبان) وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهى بشهر رمضان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صوم شعبان حتى يظن أنه فى رمضان وفى الخبر اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان (وصوم الاشهر الحرم من الفضائل) لانها أوقات فاضلة (وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد) وهو رجب (وثلاثة سرد) أى متتابعة وهو الباقى (وهذه) أى الايام الفاضلة (فى السنة) وأفضلها الصوم بعد رمضان المحرم ثم رجب ثم الحجة ثم القعدة ثم شعبان ونظم البجيرمى ترتيب الافضلية فى الشهور من بحر الرجز فقال

وأفضل الشهور بالاطلاق * شهر الصيام فهو ذو السباق

فشهر ربنا هو المحرم * فرجب فالحجة المعظم

فقعدة فبعده شعبان * وكل ذا جاء به البيان

(وأما) الايام الفاضلة التى تتكرر (فى الشهر فأول الشهر وأوسطه وآخره) قال ابن حجر ويسن صوم أيام السود خوفا من ظلمة الذنوب وهى السابع أو الثامن وتالياه فان بدأ بالثامن ونقص الشهر صام أول تاليه وحينئذ يقع صومه عن أول الشهر أيضا فانه يسن صوم ثلاثة أول كل شهر (والايام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر) وفى ذى الحجة يبدل الثالث عشر بالسادس عشر أو بيوم بعده (وأما) الايام الفاضلة (فى الاسبوع فيوم الاثنين والخميس والجمعة) فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف أجورها لان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتحرى صوم الاثنين والخميس وقال انهما يومان تعرض فيهما الاعمال فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم أى تعرض على الله فيهما أعمال الاسبوع اجمالا فأحب أن يعرض عملى وأنا قريب من زمن الصوم لان العرض بعد الغروب وفائدة العرض اظهار العدل واقامة الحجة اذ لا يخفى على الله شئ وتعرض الاعمال على الابناء والآباء والامهات يوم الجمعة وعلى النبى صلى الله عليه وسلم سائر الايام وتعرض على الله أعمال العالم اجمالا ليلة النصف من شعبان وليلة القدر وأما عرضها تفصيلا فبرفع الملائكة لها بالليل مرة وبالنهار مرة ويكره افراد يوم الجمعة بالصوم بلا سبب بان كان نفلا مطلقا وانما نهى عن صومه مفردا لانه يوم عبادة وتبكير وذكر وغسل واجتماع فيسن فطره معاونة عليها كما نقله البجيرمى عن النووى وفى الخبر الذى رواه البيهقى والحاكم ان يوم الجمعة يوم عيد وذكر فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم ولكن اجعلوه يوم فطر وذكر الا أن تخلطوه بأيام (فتكفر ذنوب الاسبوع بصوم الاثنين والخميس والجمعة وتكفر ذنوب الشهر باليوم الاول من الشهر واليوم الاوسط واليوم الآخر والايام) الثلاثة (البيض وتكفر ذنوب السنة بصيام هذه الايام) أى المذكورة (و) صيام (الاشهر المذكورة) أى التى تتكرر فى السنة وسكت المصنف عن صوم ستة من شوال فانه يطلب صوم ستة أيام من شوال وان لم يعلم بها أو نفلها أو صامها عن نذر أو نفل آخر أو قضاء عن رمضان أو غيره نعم لو صام شوالا قضاء عن رمضان وقصد تأخيرها عنه لم تحصل معه فيصومها من القعدة قال صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر أى من صام رمضان فى كل سنة وأتبعه ستا من شوال كذلك كان كصيام الدهر أى السنة فرضا بلا مضاعفة وأما من صام شهرا وستة غيرها كل سنة يكون كصيام الدهر نفلا بلا مضاعفة *(تنبيه)* قد يوجد للصوم سببان كوقوع عرفة وعاشوراء يوم اثنين أو خميس وكوقوعهما فى ستة شوال فيتأكد صوم ماله سببان رعاية لكل منهما فان نواهما حصلا كالصدقة على القريب صدقة وصلة وكذا لو نوى أحدهما كما أفاد ذلك كله

ويوم عاشوراء والعشر الاول من ذى الحجة والعشر الاول من المحرم ورجب وشعبان وصوم الاشهر الحرم من الفضائل وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلاثة سرد وهذه فى السنة * وأما فى الشهر فأول الشهر وأوسطه وآخره والايام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر * وأما فى الاسبوع فيوم الاثنين والخميس والجمعة فتكفر ذنوب الاسبوع بصوم الاثنين والخميس والجمعة وذنوب الشهر تكفر باليوم الاول من الشهر واليوم الاوسط واليوم الآخر والايام البيض وتكفر ذنوب السنة بصيام هذه الايام والاشهر المذكورة

الجيرمى (ولاتظن) أيها المكلف (اذاصمت أن الصوم هو) كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة وهو (ترك الطعام والشراب والوقاع فقط فقد قال صلى الله عليه وسلم كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش) أى بسبب عدم كف الجوارح عن المكاره وقال صلى الله عليه وسلم من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه أى فى صيامه (بل تمام الصوم بكف الجوارح كلها) من السمع والبصر واللسان واليد والرجل وغيرها (عما يكره الله تعالى) من الآثام وذلك صوم الصالحين المسمى صوم الخصوص فيكون تمام الصيام بخمسة أمور الاول مذكور بقوله (بل ينبغى أن تحفظ العين عن) الاتساع فى (النظر الى المكاره) والى كل مايشغل القلب عن ذكر الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم النظر سهم مسموم من سهام ابليس لعنه الله فمن تركه خوفا من الله عزوجل آتاه الله ايمانا يجد حلاوته فى قلبه والثانى مذكور بقوله (واللسان عن النطق بما لا يعنيك) بفتح الياء وسكون العين أى لا يهمك والذى يهم الانسان مايتعلق بسلامته فى المعاد وبضرورة حياته فى معاشه فيما يشبعه من جوع ويرويه من عطش ويستر عورته ويعف فرجه ونحو ذلك مما يدفع الضرورة دون مافيه تلذذ واستمتاع والثالث مذكور بقوله (والاذن عن الاستماع الى ماحرمه الله تعالى فان المستمع شريك للقائل) لان كل ماحرم قوله حرم الاصغاء اليه ولذلك سوى الله تعالى بين السمع وأكل السحت فقال تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت (وهو أحد المغتابين) لان السكوت على الغيبة حرام قال الله تعالى انكم اذامثلهم وقال صلى الله عليه وسلم المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم (وكذلك تكف جميع الجوارح) عن كل مايذم شرعا (كما تكف البطن والفرج) عن قضاء شهوتهما (ففى الخبر) الذى رواه جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة) بكسر الغين (والنميمة) وهى السعى بين الناس بالافساد (واليمين الكاذبة) وهو المسمى باليمين الغموس (والنظر بشهوة) أى الى محرم وقوله يفطرن بتشديد الطاء أى المذكورات أى يبطلن الصوم حقيقة على ماذهبت اليه السيدة عائشة والامام أحمد ومذهب الشافعى وأصحابه أن هذه تبطل ثواب الصوم لا نفس الصوم ومعنى يفطرن الصائم يذهبن ثواب الصائم كما يذهب الفطر فى النهار الصيام وروى أبو الفتح الازدى والديلمى عن أنس باسناد فيه كذاب هذا الخبر خمس خصال يفطرن الصائم وينقضن الوضوء الكذب والغيبة والنميمة والنظر بشهوة واليمين الكاذبة وهذا ورد على طريق الزجر عن فعل المذكورات وليس المراد الحقيقة كذا أفاده العزيزى (وقال صلى الله عليه وسلم انما الصوم جنة) بضم الجيم وتشديد النون أى وقاية قيل من المعاصى لكونه يكسر الشهوات ويضعفها وقيل من النار لانه امساك عن الشهوات (فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث) بالمثلثة وتثليث الفاء أى لا يفحش الصائم فى الكلام (ولا يفسق) أى لا يخرج عن حدود الشرع بالسيآت وارتكاب المحظورات (ولا يجهل) أى لا يفعل فعل الجهال كالصياح والسخرية أوسفه على أحد (فان امرؤ قاتله) أى أراد مقاتلته (أوشاتمه فليقل) بقلبه ان كان صيامه نفلا وبلسانه وبقلبه ان كان فى رمضان كذا أفاد العزيزى (انى صائم) مرتين أوثلاثا ليكف نفسه عن المقاتلة والمشاتمة كذا أفاده العزيزى والرابع مذكور بقوله (ثم اجتهد أن تفطر على طعام حلال) فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال اذا أفطر بالطعام الحرام فهو مثل من يبنى قصرا ويهدم مصرا والخامس مذكور بقوله (ولا تستكثر) أى من الطعام الحلال وقت الافطار (فتزيد) فى الاكل لاجل صيامك (على ما تأكله كل ليلة) أى فى غير أيام الصيام (فلا فرق) بين كونك مفطرا وكونك صائما (اذا استوفيت) أى أديت (ماتعتاد أن تأكله دفعتين) بفتح الدال أى مرتين مرة فى النهار ومرة فى الليل (فى دفعة واحدة) وقت الافطار (وانما المقصود) بالصيام (كسر شهوتك وتضعيف قوتك) أى عن المعاصى (لتقوى بها) أى بقوتك (على التقوى) لله تعالى (فاذا أكلت عشية) أى بعد الغروب (ما) أى طعاما (تداركت به مافاتك ضحوة) بان جمعت ماكنت تأكل ضحوة الى ما كنت تأكل ليلا (فلا فائدة فى صومك) أى فلا تنتفع بصومك فى كسر الشهوة وهذا

* ولا تظن اذا صمت أن الصوم هو ترك الطعام والشراب والوقاع فقط فقد قال صلى الله عليه وسلم كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش بل تمام الصوم بكف الجوارح كلها عما يكره الله تعالى بل ينبغى أن تحفظ العين عن النظر الى المكاره واللسان عن النطق بما لا يعنيك والاذن عن الاستماع الى ماحرمه الله فان المستمع شريك للقائل وهو أحد المغتابين وكذلك تكف جميع الجوارح كما تكف البطن والفرج ففى الخبر خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة وقال صلى الله عليه وسلم انما الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل فان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل انى صائم ثم اجتهد أن تفطر على طعام حلال ولا تستكثر فتزيد على ما تأكله كل ليلة فلا فرق اذا استوفيت ماتعتاد أن تأكله دفعتين فى دفعة واحدة وانما المقصود كسر شهوتك وتضعيف قوتك لتقوى بها على التقوى فاذا أكلت عشية ماتداركت به مافاتك ضحوة فلا فائدة فى صومك

جواب اذا أى ان من آداب الصوم أن لا تشبع الشبع الكامل قط لا سيما فى ليالى رمضان فان الاولى النقص فيها عن مقدار ما كنت تأكله فى غيرها وذلك لانه شهر الجوع ومن شبع فى عشائه وسحوره فكأنه لم يصم رمضان وحكمه حكم المفطر من حيث الاثر المشروع له الصوم وهو اضعاف الشهوة المضيقة لمجارى الشيطان فى البدن وهذا الامر بعيد على من شبع من اللحم والمرق الا اذا كان من يصوم شخصا يتعاطى فى النهار الاعمال الشاقة أو امرأة مرضعة فان ذلك لا يضره ان شاء الله تعالى وقد قالوا من أحكم الجوع فى رمضان حفظ من الشيطان الى رمضان الآتى لان الصوم جنة على بدن الصائم ما لم يخرقه شئ فاذا خرقه دخل الشيطان له من الخرق كذا نقله البجيرمى عن الشعرانى (وقد ثقلت عليك معدتك) بسبب تداركها عند فطرك ما فاتك من الطعام ضحوة النهار (وما وعاء أبغض الى الله تعالى من بطن ملئ من حلال) كما فى الحديث لان امتلاءه من الطعام يفضى الى فساد الدين والدنيا فغالب الامراض تنشأ عن كثرة الاكل وادخال الطعام على البدن قبل هضم الاول كذا قال العزيزى (فكيف) أى فما بالك (اذا ملئ) البطن (من حرام فاذا عرفت معنى الصوم) من تصفية القلب وقمع الشهوات (فاستكثر منه ما استطعت فانه أساس العبادات) أى أصلها (ومفتاح القربات) كما قال صلى الله عليه وسلم لكل شئ باب وباب العبادة الصوم (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى) فى الحديث القدسى (كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف) بكسر الضاد (الا الصوم فانه لى وأنا أجزى) بفتح الهمزة وسكون الياء (به) أى الصوم والمعنى أن العبادات قد كشف مقادير ثوابها للناس وأنه تضعف من عشرة الى سبعمائة ضعف الا الصوم فان الله تعالى تفرد بمقدار علم ثوابه وتضعيف حسناته فقوله وأنا أجزى به أى أجزى جزاء كثيرا من غير تعيين لمقداره وقيل معناه أنه احب العبادات الى والمقدم عندى (وقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده) أى روحى بقدرته وتصريفه كذا أفاده العزيزى وقال البركوى والذى جار ومجرور متعلق بأقسم المقدر ونفسى مبتدأ وبيده ظرف مستقر خبره والجملة صلة الموصول واللام فى لخلوف جوابية والمعنى والله الذى روحى فى قبضة قدرته (لخلوف) بضم الخاء المعجمة واللام (فم الصائم) أى لرائحة فم الصائم لخلو معدته من الطعام (أطيب عند الله من ريح المسك) والمعنى أن الخلوف أكثر ثوابا من المسك المندوب اليه فى الجمع ومجالس الذكر ورجح هذا المعنى النووى ويحمل معنى الطيب على القبول والرضا وقال الماوردى المعنى أنه أطيب عند الله من ريح المسك عندكم أى يقرب اليه أكثر من تقريب المسك اليكم وقال بعضهم ان للطاعات يوم القيامة ريحا يفوح فرائحة الصيام فيها بين العبادات كالمسك وهذا كما ورد فى الحديث المحرم يبعث يوم القيامة ملبيا وكما روى أنه يبعث الزامر وتتعلق زمارته فى يده فيلقيها وتعود اليه فلا تفارقه (يقول الله تعالى عز من قائل) من زائدة وقائل حال من فاعل عز (انما يذر) أى يترك كما فى رواية (شهوته وطعامه وشرابه) قال بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى عجز حديث للامام أحمد عن مالك ومبدؤه قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذى سأله عن أفضل الاعمال عليك بالصوم فانه لا مثل له يقول الله تعالى الى آخره (من أجلى فالصوم لى) أى خالص لى فلا يدخله رياء بمجرد فعله لانه لا يطلع عليه ابن آدم والا فقد يدخله الرياء بأن يخبر بانه صائم (وأنا أجزى به) ومن المعلوم أن الكريم اذا تولى الاعطاء بنفسه كان ذلك اشارة الى تعظيم العطاء ففيه مضاعفة الجزاء من غير عدد ولا حساب واتفق على أن الصائم هنا من سلم صيامه من المعاصى كذا نقل عن القسطلانى (وقال صلى الله عليه وسلم للجنة باب يقال له الريان لا يدخله الا الصائمون) وهو موعود بلقاء الله تعالى فى جزاء صومه (فهذا القدر من شرح الطاعات) أى بيانها (يكفيك من بداية الهداية فاذا احتجت الى الزكاة والحج أو الى مزيد لشرح الصلاة والصيام فاطلبه) أى ما تحتاج أى خذه (مما أوردناه) أى ذكرناه (فى كتابنا احياء علوم الدين) وشرح الصلاة والصيام قد وجد فى هذا الشرح بعضه من كتاب الاحياء وبعضه من كتب شتى

﴿القسم الثانى﴾

(القول فى اجتناب المعاصى) أى ظاهرا وباطنا (اعلم أن للدين شطرين) أى من قسمى ظاهر علم التقوى هو

وقد ثقلت عليك معدتك وما وعاء أبغض الى الله تعالى من بطن ملئ من حلال فكيف اذا ملئ من حرام فاذا عرفت معنى الصوم فاستكثر منه ما استطعت فانه أساس العبادات ومفتاح القربات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به وقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يقول الله تعالى عز من قائل انما يذر شهوته وطعامه وشرابه من أجلى فالصوم لى وأنا أجزى به وقال صلى الله عليه وسلم للجنة باب يقال له الريان لا يدخله الا الصائمون فهذا القدر من شرح الطاعات يكفيك من بداية الهداية فاذا احتجت الى الزكاة والحج أو الى مزيد لشرح الصلاة والصيام فاطلبه مما أوردناه فى كتابنا احياء علوم الدين

(القسم الثانى القول فى اجتناب المعاصى)

اعلم أن للدين شطرين

جزأين (احدهما ترك المناهى والآخر فعل الطاعات) وهو ما تقدم ذكره (وترك المناهى هو الاشد) أى أثقل وأصعب من فعل الطاعات ولذلك كان أكثر ثوابا منه (فان الطاعات) الفاء للتعليل (يقدر عليها) أى على فعلها (كل أحد وترك الشهوات) القلبية والبطنية والفرجية (لا يقدر عليها) أى ترك الشهوات (الا الصديقون) وهم الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقى النظر فى الحجج والآيات وأخرى بمعارج التصفية والرياضات الى أوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء وأخبروا عنها على ما هى عليه (فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء) أى تركه (والمجاهد من جاهد هواه) أى من زجر نفسه عن اتباع شهواته بالصبر والتوطين على ايثار الخير وفى رواية الترمذى وابن حبان المجاهد من جاهد نفسه أى قهر نفسه الامارة بالسوء على فعل الطاعة وتجنب المعصية وجهادها أصل كل جهاد فانه لو لم يجاهدها لم يمكنه جهاد العدو كذا أفاده العزيزى وجنود النفس عشرة الحرص والشهوة والشح والرغبة والزيغ والقسوة وسوء الخلق والامل والطمع والكسل وجنود الهوى عشرة أيضا الحسد والتحير والعجب والكبر والغل والمكر والوسوسة والمخالفة فى الامر وسوء الظن والجدال كذا أفاد الهمدانى (واعلم أنك انما تعصى الله بجوارحك) أى أعضائك التى تكتسب بها (وهى) أى الجوارح (نعمة من) نعم (الله) تعالى (عليك وأمانة) أى وديعة (لديك) لتحفظها عما نهى الله عنه (فاستعانتك بنعمة الله) أى التى هى الجوارح (على معصيته غاية الكفران) أى الجحود بالنعمة وهو ضد الشكر (وخيانتك فى أمانة) حيث استعملتها فى غير مأذون (استودعكها الله تعالى) أى جعلها الله تعالى وديعة عندك (غاية الطغيان) أى غاية مجاوزة فى العصيان (فأعضاؤك رعاياك) أى تحت نظرك والرعايا جمع رعية كخطايا جمع خطية (فانظر كيف ترعاها) أى تحفظها القيام حقوقها (فكلكم) يا معشر بنى آدم (راع) أى حافظ على ما عنده (وكلكم مسؤل) يوم القيامة (عن رعيته) بتشديد الياء فالامام راع ومسؤل عن رعيته والرجل راع فى أهله ومسؤل عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤلة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده ومسؤل عن رعيته كذا فى الزواجر وما أحسن قول القائل من بحر الوافر

ولو أنا اذا متنا تركنا * لكان الموت راحة كل حى
ولكنا اذا متنا بعثنا * ونسئل بعد ذا عن كل شى

(واعلم أن جميع أعضائك ستشهد عليك فى عرصات القيامة) أى أماكنها (بلسان طلق ذلق) أى فصيح عذب المنطق (تفضحك) أى تكشف الاعضاء مساويك (به) أى بذلك اللسان (على رؤس الخلائق) أى أعينهم وفى نسخة على ملا من الخلق (قال الله تعالى) فى سورة النور (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون) أى من قول وفعل وهو يوم القيامة فانه تعالى يوفيهم جزاءهم الحق (وقال الله تعالى) فى سورة يس (اليوم نختم) أى نسد (على أفواههم وتكلمنا أيديهم) أى بما عملوا اقرارا هو أعظم شهادة (وتشهد أرجلهم) أى عليهم بكلام بين هو مع كونه شهادة اقرار (بما كانوا) أى فى الدنيا بجبلاتهم (يكسبون) فكل عضو ينطق بما صدر منه وفى كيفية هذا الختم وجهان أقواهما أن الله تعالى يسكت ألسنتهم وينطق جوارحهم فتشهد عليهم وأن ذلك فى قدرة الله تعالى يسير أما الاسكات فلا خفاء فيه وأما الانطاق فان اللسان عضو متحرك بحركة مخصوصة فجاز تحريك غيره بمثلها والله تعالى قادر على كل الممكنات والوجه الآخر أنهم لا يتكلمون بشىء لانقطاع أعذارهم وانهتاك أستارهم فيقفون ناكسى الرؤس لا يجدون عذرا فيعتذرون ولا مجال توبة فيستغفرون وتكلم الايدى هو ظهور الامر بحيث لا يسع منه الانكار والصحيح الاول كذا فى السراج المنير (فاحفظ يا مسكين جميع بدنك من المعاصى وخصوصا أعضاءك السبعة) التى سيأتى بيانها (فان جهنم لها سبعة أبواب) بعضها فوق بعض أى سبع طبقات قال ابن جريج النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وتخصيص هذا العدد لان

أحدهما ترك المناهى والآخر فعل الطاعات وترك المناهى هو الاشد فان الطاعات يقدر عليها كل أحد وترك الشهوات لا يقدر عليها الا الصديقون فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه واعلم أنك انما تعصى الله بجوارحك وانما هى نعمة من الله عليك وأمانة لديك فاستعانتك بنعمة الله على معصيته غاية الكفران وخيانتك فى أمانة استودعكها الله غاية الطغيان فأعضاؤك رعاياك فانظر كيف ترعاها فكلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته واعلم أن جميع أعضائك ستشهد عليك فى عرصات القيامة بلسان طلق ذلق تفضحك به على رؤس الخلائق قال الله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقال الله تعالى اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون فاحفظ يا مسكين جميع بدنك من المعاصى وخصوصا أعضاءك السبعة فان جهنم لها سبعة أبواب

أهلها سبع فرق وأيضا انه على وفق الاعضاء السبعة من العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل لانها مصادر السيئات فكانت مواردها الابواب السبعة ولما كانت هي بعينها مصادر الحسنات بشرط النية والنية من أعمال القلب زادت الاعضاء واحدا فجعلت أبواب الجنان ثمانية (لكل باب) من السبعة (منهم) أي الغاوين خاصة لايشاركهم فيها مخلص (جزء) أي نصيب (مقسوم) أي معلوم فلكل دركة قوم يسكنونها قال الضحاك في الدركة الاولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة أهل الشرك وفي السابعة المنافقون وروى عن عمر أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمتي كذا في السراج المنير (ولا يتعين لتلك الابواب) السبعة (الامن عصى الله تعالى بهذه الاعضاء السبعة وهي العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل) وكل واحد من هذه نعمة يجب على صاحبه أداء شكره باستعماله في طاعة الله تعالى (أما العين فانما خلقت لك لتهتدي بها في الظلمات وتستعين بها في الحاجات وتنظر بها الى عجائب ملكوت الارض والسموات وتعتبر) أي تتعظ وتتذكر (بما فيها) أي عجائب الملكوت (من الآيات) أي الدلالات الواضحات على وحدانية الله تعالى كما قال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون أي ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة (فاحفظها عن أربع أن تنظر بها الى غير محرم) من النساء الاجنبيات جميع بدنها حتى العين والشعر والظفر وغير ذلك وكذا الالتذاذ بقدها ولا بأس بالتأمل في جسدها وعليها ثياب مالم يكن ثوب يبين حجمها والا فلا ينظر اليه لقوله عليه الصلاة والسلام من تأمل خلف امرأة ورأى ثيابها حتى تبين له حجم عظامها لم يرح رائحة الجنة والى العورات ولو من محرم ولا حرج على من سبق نظره الى رؤيتها من غير قصد في المرة الاولى بخلاف مالو أعادها كما قاله الرملي (أو الى صورة) أي صورة كانت من (مليحة أو لا بشهوة نفس) وروى أن قوما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم أمرد حسن فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم خلف ظهره وقال انما كانت فتنة داود من النظر وكان يقال النظر بريد الزنا (أو تنظر بها) أي العين (الى مسلم بعين الاحتقار أو تطلع بها على عيب مسلم) قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم وقال بعضهم من بحر البسيط

كل الحوادث مبداها من النظر * ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء مادام ذا عين يقلبها * في أعين الغيد موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها * فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ماضر خاطره * لامرحبا بسرور عاد بالضرر

وقال بعضهم رحمه الله تعالى

المرء ان كان عاقلا ورعا * أشغله عن عيوبهم ورعه
كما العليل السقيم أشغله * عن وجع الناس كلهم وجعه

(وأما الاذن فاحفظها عن أن تصغي بها الى البدعة) كالغناء وآلة اللهو كالطنبور والعود والمزمار وغير ذلك (أو) الى (الغيبة أو) الى (الفحش) كافشاء سر زوجته وهي سره بأن يذكر كل منهما ما يقع بينهما من تفاصيل الجماع ونحوها مما يخفى (أو) الى (الخوض في الباطل) أي ايجاد الكلام في غير مواقعه (أو الى ذكر مساوى الناس فانما خلقت) أي الاذن (لك لتسمع بها كلام الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكمة أوليائه وتتوصل باستفادة العلم بها الى الملك المقيم والنعيم الدائم في جوار) بكسر الجيم (رب العالمين فاذا أصغيت بها الى شئ من المكاره صار ما كان) نافعا (لك) ضارا (عليك وانقلب ما كان سبب فوزك)

لكل باب منهم جزء مقسوم ولا يتعين لتلك الابواب الامن عصى الله تعالى بهذه الاعضاء السبعة وهي العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل (أما العين) فانما خلقت لك لتهتدي بها في الظلمات وتستعين بها في الحاجات وتنظر بها الى عجائب ملكوت الارض والسموات وتعتبر بما فيها من الآيات فاحفظها عن أربع أن تنظر بها الى غير محرم أو الى صورة مليحة أو لا بشهوة نفس أو تنظر بها الى مسلم بعين الاحتقار أو تطلع بها على عيب مسلم (وأما) الاذن فاحفظها عن أن تصغي بها الى البدعة أو الغيبة أو الفحش أو الخوض في الباطل أو ذكر مساوي الناس فانما خلقت لك لتسمع بها كلام الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكمة أوليائه وتتوصل باستفادة العلم بها الى الملك المقيم والنعيم الدائم في جوار رب العالمين فاذا أصغيت بها الى شئ من المكاره صار ما كان لك عليك وانقلب ما كان سبب فوزك

بالثواب (سبب هلاك) بحصول العقاب ان لم تتب (وهذا) أي الصبر وتحول الانقلاب (غاية الخسران ولا تظنن أن الاثم يختص به القائل دون المستمع فني الخبران المستمع شريك القائل) أي في الاثم (وهو أحد المغتابين) وفي ذلك يقول القائل من بحر المتقارب

وسمعك صن عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به

فانك عند سماع القبيح * شريك لقائله فانتبه

قال النووي ولابد من كراهة نحو الغيبة بقلبه ان خاف ضررا ظاهرا في نهيه باليد أو باللسان ومتى اضطر الى المقام في ذلك المجلس الذي فيه نحو الغيبة وعجز عن الانكار أو أنكر فلم يقبل منه ولم يمكنه المفارقة بطريق حرم عليه الاستماع والاصغاء له بل طريقه أن يذكر الله تعالى بلسانه وقلبه أو بقلبه أو يفكر في أمر آخر ليشتغل عن استماعها ولا يضره بعد ذلك السماع من غير استماع واصغاء في هذه الحالة فان تمكن بعد ذلك من المفارقة وهم مستمرون في الغيبة ونحوها وجب عليه المفارقة وروي عن ابراهيم أنه دعي الى وليمة فحضر فذكروا رجلا لم يأتهم فقالوا انه ثقيل فقال ابراهيم أنا فعلت هذا بنفسي حيث حضرت موضعا يغتاب فيه الناس فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام انتهى (وأما اللسان فانما خلق لك لتكثر به ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه) وفي نسخة تلاوة القرآن (وترشد به) أي اللسان (خلق الله تعالى الى طريقه) أي دينه الحق الذي سلكه رسول الله وأصحابه (وتظهر به ما في ضميرك) أي باطنك (من حاجات دينك ودنياك فاذا استعملته) أي اللسان (في غير ما خلق) أي اللسان (له فقد كفرت) أي جحدت (نعمة الله تعالى فيه وهو أغلب أعضائك عليك وعلى سائر الخلق) قال بعضهم نظما من بحر الكامل

احفظ لسانك واستعذ من شره * ان اللسان هو العدو الذابح

وزن الكلام اذا نطقت بمجلس * وزنا يلوح به الصواب اللائح

فالصمت من سعد السعود بمطلع * يحمي الفتى والنطق سعد الذابح

وكان من دعاء داود عليه السلام اللهم اني أسألك أربعة وأعوذ بك من أربعة فأما اللواتي أسألك فاني أسألك لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وبدنا صابرا وزوجة تعينني في دنياي وآخرتي وأما اللواتي أعوذ بك منهن فاني أعوذ بك من ولد يكون علي سيدا ومن امرأة تشيبني قبل وقت المشيب ومن مال يكون عذابا لي ووبالا علي ومن جار ان رأى مني حسنة كتمها وان رأى سيئة أفشاها (ولا يكب الناس) بضم الكاف وهذا من النوادر فان ثلاثيه متعد ورباعيه لازم أي لا يلقي أكثر الناس (في النار) أي نار جهنم (على مناخرهم) جمع منخر بفتح الميم وكسر الخاء المعجمة وفتحها ثقبة الانف (الاحصائد) جمع حصيدة بمعنى محصودة (ألسنتهم) أي ما تكلمت الالسنة به من الاثم كالكذب والقذف والسب والنميمة وغير ذلك واضافة حصائد الى الالسنة من اضافة اسم المفعول الى فاعله أي محصودات الالسنة شبه ما تكتسبه الالسنة من الكلام الحرام بحصائد الزرع في أن كلا كسب وجمع وشبه اللسان في تكلمه بذلك بحد المنجل الذي يحصد به الناس الزرع وقال الشافعي رضي الله عنه من بحر الكامل

احفظ لسانك أيها الانسان * لا يلدغنك انه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه * كانت تهاب لقاءه الشجعان

(فاستظهر) أي اطلب الغلبة واستعن (عليه) أي اللسان (بغاية قوتك حتى لا يكبك في قعر) أي نهاية أسفل (جهنم فني الخبران الرجل) أي الانسان ذكرا كان أو أنثى (ليتكلم بالكلمة ليضحك بها أصحابه) والمراد ما فيه ايذاء مسلم ونحوه دون مجرد المزاح المباح (فيهوي بها) أي يسقط بسببها (في قعر جهنم سبعين خريفا) أي عاما لما فيها من الاوزار التي غفل عنها أو اذا لم يتب عنها والمراد أنه يكون دائما في صعود وهوي فالسبعين للتكثير لا للتحديد كذا نقل العزيزي عن المناوي (وروي أنه) أي الشأن (قتل شهيد في المعركة) أي محل الحرب (على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي يوم أحد فوجد على بطنه صخرة من الجوع (فقال قائل)

سبب هلاك وهذا غاية الخسران ولا تظنن ان الاثم يختص به القائل دون المستمع فني الخبران المستمع شريك القائل وهو أحد المغتابين (وأما اللسان) فانما خلق لك لتكثر به ذكر الله تعالى وتلاوة كتابه وترشد به خلق الله تعالى الى طريقه وتظهر به ما في ضميرك من حاجات دينك ودنياك فاذا استعملته في غير ما خلق له فقد كفرت نعمة الله تعالى فيه وهو أغلب أعضائك عليك وعلى سائر الخلق ولا يكب الناس في النار على مناخرهم الاحصائد ألسنتهم فاستظهر عليه بغاية قوتك حتى لا يكبك في قعر جهنم فني الخبران الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها أصحابه فيهوي بها في قعر جهنم سبعين خريفا وروي أنه قتل شهيد في المعركة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قائل

أى شخص قائل وهو أم الفضل بعد أن مسحت التراب عن وجهه (هنيئاله بالجنة) أى ثبت لهذا المقتول الظفر بالجنة حال كونه هنيئا أى بلا مشقة فى تحصيل الجنة (فقال النبى صلى الله عليه وسلم ومايدريك) أى أى شئ يجعلك دارية بحاله (لعله) أى هذا المقتول (كان يتكلم فيما لايعنيه) بفتح الياء وسكون العين وكسر النون أى بما لايهمه من أمر دنياه وعقباه (ويبخل بما لايغنيه) بضم أوله وسكون المعجمة أى من أقوال وأفعال وطلب رياسة وحب محمدة وأمثال ذلك مما يجلب له شرا ولايذهب عنه ضرا وقوله ويبخل لعل الواو بمعنى أو كذا فى شرح الشفاء وذكر بعضهم أن الكلام أربعة أقسام ضرر محض ونفع محض وضرر ومنفعة ولا ضرر ولا منفعة فالضرر المحض لابد من السكوت عنه وكذلك مافيه ضرر ومنفعة ولاتفى المنفعة بالضرر وأما مالا ضرر فيه ولا منفعة فهو فضول والاشتغال به تضييع زمن وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الواحد فيسقط ثلاثة أرباع الكلام وفيه خطر اذا كان يجر مافيه اثم من الرياء والتصنع ونحوهما وقال لقمان لابنه لو كان الكلام من فضة كان السكوت من ذهب ومعناه كما قال ابن المبارك لو كان الكلام فى طاعة الله من فضة كان السكوت عن معصية الله من ذهب وقال ابراهيم العتكى من بحر البسيط

قالوا سكوتك حرمان فقلت لهم * ماقدر الله يأتينى بلا نصب

ولو يكون كلامى حين أنشره * من اللجين لكان الصمت من ذهب

وقال بعضهم فى الصمت سبعة آلاف خير وقد اجتمع ذلك كله فى سبع كلمات فى كل كلمة منها ألف أولها ان الصمت عبادة من غير عناء والثانى زينة من غير حلى والثالث هيبة من غير سلطان والرابع حصن من غير حائط والخامس استغناء عن الاعتذار الى الناس والسادس اراحة الكرام الكاتبين والسابع ستر لعيوبه لان الصمت زين للعالم وستر للجاهل وقيل ثلاثة أشياء تقسى القلب الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع والكلام من غير حاجة (فاحفظ لسانك من ثمانية) أشياء (الاول الكذب) وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب (فاحفظ منه) أى الكذب (لسانك فى الجد والهزل) أى المزاح (ولاتعوّد لسانك الكذب هزلا) أى لاتصير الكذب بالهزل للسانك عادة (فيتداعى الى الجد) وفى نسخة فيدعوك الى الكذب فى الجد (والكذب من أمهات الكبائر) أى أصولها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة ومايزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صدّيقا واياكم والكذب فان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار ومايزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا (ثم انك اذا عرفت) بين الناس (بذلك) أى الكذب (سقطت عدالتك) فلا تقبل شهادتك (والثقة بقولك) أى وسقط الائتمان بقولك (وتزدريك الاعين) أى ماتعدّك شيأ (وتحتقرك) وهذا عطف تفسير (واذا أردت أن تعرف قبح الكذب من نفسك فانظر الى كذب غيرك والى نفرة) أى اعراض (نفسك عنه واستحقارك لصاحبه) أى الكذب (واستقباحك له) وفى نسخة لما جاء به أى من الكذب (وكذلك فافعل فى جميع عيوب نفسك فانك لاتدرى قبح عيوبك من نفسك بل) انك تدرى ذلك (من غيرك فما استقبحته من غيرك يستقبحه غيرك منك لامحالة) أى لابد واعلم أن الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام لعدم الحاجة اليه وان أمكن التوصل اليه بالكذب ولم يمكن بالصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان المقصود واجبا فاذا اختفى مسلم من ظالم وسأل عنه وجب الكذب باخفائه وكذا لو كان عنده أو عند غيره وديعة وسأل عنها ظالم يريد أخذها وجب عليه الكذب باخفائها حتى لو أخبره بوديعة عنده فأخذها الظالم قهرا وجب ضمانها على المودع المخبر ولو استحلفه عليها لزمه أن يحلف ويورّى فى يمينه فان حلف ولم يورّ حنث على الاصح ولزمته الكفارة وقيل لايحنث وكذلك لو كان المقصود تسكين حرب أو اصلاح ذات البين أو استمالة قلب المجنى عليه فى العفو عن الجناية ولايحصل الا بكذب فالكذب ليس بحرام الا أنه ينبغى أن

هنيئاله بالجنة فقال صلى الله عليه وسلم ومايدريك لعله كان يتكلم فيما لايعنيه ويبخل بما لايغنيه فاحفظ لسانك من ثمانية الاول الكذب فاحفظ منه لسانك فى الجد والهزل ولا تعود لسانك الكذب هزلا فيتداعى الى الجد والكذب من أمهات الكبائر ثم انك اذا عرفت بذلك سقطت عدالتك والثقة بقولك وتزدريك الاعين وتحتقرك واذا أردت أن تعرف قبح الكذب من نفسك فانظر الى كذب غيرك والى نفرة نفسك عنه واستحقارك لصاحبه واستقباحك له وكذلك فافعل فى جميع عيوب نفسك فانك لاتدرى قبح عيوبك من نفسك بل من غيرك فما استقبحته من غيرك يستقبحه غيرك منك لامحالة

فــــلا ترض لنفسك ذلك
الثانى الخلف فى الوعد فاياك
أن تعــدبشئ ولاتنى به بل
ينبغى أن يكــون احسانك
الى الناس فعلا بلاقول فان
اضطررت الى الوعــد فاياك
أن تخلف الا لعجز أوضرورة
فان ذلك من أمارات النفاق
وخبائث الاخـــلاق قال
النبى صـــلى الله عليه وســلم
ثــــلاث من كن فيه فهو
منافق وان صام وصلى من
اذا حدّث كذب واذا وعــد
أخلف واذا ائتمـــن خان
الثالث الغيبـــة فاحفظ
لسانك عنها والغيبة أشــد
من ثلاثين زنية فى الاسلام
كذلك ورد فى الخــبر ومعنى
الغيبـــة أن تذ كرانسانا بما
يكرهه لوسمعه فأنت مغتاب
ظالم وان كنت صادقا واياك
وغيبة القراء المرائين وهو
أن تفهم المقصود من غــير
تصريح فتقول أصلحه الله
فقــد ساءنى وغمنى ماجرى
علــيه فنسأل الله تعالى أن
يصلحنا واياه فان هذا جمع
بين خبيثين أحدهما الغيبة
اذا حصل به التفهم والآخر
تزكية النفس والثناء عليها
بالتحرج والصلاح ولــكن
ان كان مقصودك من قولك
أصلحه الله الدعاء فادع له فى
السر وان اغتممت بسببــه
فعلامته أنك لاتريد فضيحته
واظهار عيبه وفى اظهارك
الغم بعيبــه اظهار تعيبيــه
ويكفيك زاجرا عن الغيبــة
قوله تعالى ولايغتب بعضكم بعضا

يحترز منه ما أمكن لانه اذا فتح باب الكذب على نفسه فيخشى أن يتداعى الى مايستغنى عنه والى مالا يقتصر
على حد الضرورة فيكون الكذب حراما فى الاصل الا الضرورة بأن لم يحصل الغرض الا بالكذب والاحتياط
فى هذا كله أن يورى ومعنى التورية أن يقصد بعبارته مقصودا صحيحا ليس هو كاذبا بالنسبة اليه وان كان كاذبا
فى ظاهر اللفظ ولو لم يقصد هذا بل أطلق عبارة الكذب فليس بحرام فى هذا الموضع كذا فى الاذكار والاحياء (فلا
ترض لنفسك ذلك) أى ماتقدم ذكره (الثانى الخلف فى الوعد فاياك أن تعد بشئ ولاتنى به بل ينبغى أن يكون
احسانك الى الناس فعــلا بلاقول فان اضطررت الى الوعد فاياك أن تخلف الا لعجز أوضرورة فان ذلك) أى
الاخلاف من غير ضرورة (من أمارات النفاق وخبائث الاخلاق قال النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن)
أى اجتمعن (فيه فهو منافق) أى حاله يشبه حال المنافقين (وان صام) أى رمضان (وصلى) الصلاة المفروضة
وزاد بعد ذلك فى رواية أبى يعلى ورسته بضم الراء وحج واعتمر وقال انى مســلم (من اذا حدّث كذب) أى فى
حديثه (واذا وعد أخلف) أى ماوعد به من غير عذر (واذا ائتمن خان) فيما جعل أمينا عليه وقال العزيزى
والكلام فيمن صارت هــذه الصفات ديدنه وشعاره لاينفك عنها وروى الشيخان عن عبــد الله بن عمرو بن
العاص أن النبى صلى الله عليه وســلم قال أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن
كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر أى
مال فى الخصومــة عن الحق واقتحم الباطل والمراد بالنفاق العمل لا الايمان أو النفاق العرفى لا الشرعى لان
الخلوص بهذين المعنيين لايستلزم الكفر الملقى فى الدرك الاسفل من النار كذا أفاد العزيزى (الثالث الغيبة
فاحفظ لسانك عنها) أى وعن السكوت عليها رضا وتقريرا (والغيبة أشد من ثلاثين زنية) بفتح الزاى وهى
المرة من الزنا (فى الاسلام كذلك ورد فى الخبر ومعنى الغيبة أن تذكر انسانا بما يكرهه لوسمعه) سواء ذكرته بلفظك
أو فى كتابك أو رمزت أو أشرت اليــه بعينك أو يدك أو رأسك وضابط الغيبة كل ما أفهمت به غيرك نقصان
مسلم فى بدنه أو نسبه أو خلقه أو فى فعله أو قوله أو دينه أو دنياه حتى فى ثوبه وداره ودابته (فأنت مغتاب ظالم
وان كنت صادقا) أى فى ذكرك ذلك كما قال صلى الله عليه وســلم ان كان فيه ماتقول فقد اغتبته وان لم
يكن فيه ماتقول فقد بهته (واياك) أى احذر تلاقيك (وغيبة القراء المرائين) وهو أخبث أنواع الغيبة رواه
مســلم وأبو داود والترمذى والنسائى وغيرهم (وهو أن تفهم المقصود) بطريق الصالحين اظهارا من نفسك
للتعفف عن الغيبة (من غير تصريح) بل بتعريض لشخص معين اماحى واماميت تعريضا يفهم به كما يفهم
بالصريح (فتقول) اذا قيل لك مثلا كيف حال فلان (أصلحه الله فقد ساءنى) أى أحزننى (وغمنى ماجرى
عليه) أى من الدخول على السلطان مثلا أو من التبذل فى طلب الحطام أو من قلة الحياء (فنسأل الله تعالى
أن يصلحنا واياه فان هذا) أى القول (جمع بين خبيثين أحدهما الغيبة اذا حصل به) أى بهذا القول (التفهم)
أما اذا لم يفهم عين الشخص جاز القول وكان رسول الله صلى الله عليه وســلم اذا كره من انسان شيأ قال ما بال
أقوام يفعلون كذا وكذا فكان لايعين (والآخر تزكية النفس) أى مدحها (والثناء عليها بالتحرج) أى بحكمك
على الغير بالاثم (والصلاح) أى لنفسك فتذكر نفسك ومقصودك أن تذم غيرك فى ضمن ذلك وتمدح نفسك
بالصلاح فى ذم غيرك فتجمع بين خبيثين الغيبة وتزكــيه النفس بل أربعة وهى أيضا الرياء وظن صلاح
نفســك فانك ترائى وتظن بجهلك أنك من الصالحين المتعففين عن الغيبة ومنشأ ذلك الجهل فان من تعبد
على جهل لعب به الشــيطان ومن ذلك أنه يذكر عيب انسان ويذكر الله تعالى ويســتعمل اسمه تعالى آلة له فى
تحقيق خبثه وأيضا انك تكون كاذبا فى دعوى الحزن والاهتمام وفى اظهار الدعاء (ولكن ان كان مقصودك
من قولك أصلحه الله تعالى الدعاء) لذلك الشخص (فادع له فى السر) عقب صلاتك (وان اغتممت بسببه) أى
ذلك الشخص (فعلامته) أى الاغتمام (أنك لاتريد فضيحته) أى كشف مساويه (واظهار عيبه) وهذا عطف
تفسير بل تكره ذلك (وفى اظهارك الغم بعيبه اظهار تعييبه) أى اظهارك نسبته الى العيب (ويكفيك
زاجرا عن الغيبة) زاجرا تمييز (قوله تعالى ولايغتب بعضكم بعضا) قال الشربينى أى ولايتعمد أن يذكر

بعضكم بعضا أى فى غيبته بما يكره (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) أى الاكل أو اللحم أو الميت (فقد شبهك الله بآكل لحم الميتة) ففى هذا التشبيه اشارة الى أن عرض الانسان كدمه ولحمه لان الانسان يتألم قلبه من قرض العرض كما يتألم جسمه من قطع اللحم (فما أجدرك) أى فأنت حقيق (أن تحترز منها) أى الغيبة (ويمنعك عن غيبة المسلمين أمر لو تفكرت فيه) لانصفت (وهو أن تنظر فى نفسك هل فيك عيب ظاهر أو باطن وهل أنت مقارف) أى فاعل (معصية سرا أو جهرا فاذا عرفت ذلك) أى العيب والمعصية (من نفسك فاعلم أن عجزه) أى الشخص الذى اغتبته (عن التنزه) أى التباعد (عما) أى عن شئ (نسبته اليه) أى ذلك الشخص (كعجزك) عن ذلك (وعذره) أى كثرة عيوبه وذنوبه (كعذرك) أى ككثرة عيوبك وذنوبك كما قال ابن عباس رضى الله عنهما اذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال أبو هريرة يبصر أحدكم القذى فى عين أخيه ولا يبصر الجذع فى عين نفسه (وكما تكره) أنت (أن تفتضح) أى تكشف مساويك (وتذكر عيوبك) بحضرة غيرك (فهو) أى الشخص المغتاب (أيضا يكرهه) أى الفضيحة وذكر العيوب (فان سترته) أى ذلك الشخص (ستر الله عليك عيوبك وان فضحته سلط الله عليك ألسنة حدادا) بكسر الحاء (يمزقون عرضك) بكسر العين (فى الدنيا ثم يفضحك الله فى الآخرة على رؤس الخلائق يوم القيامة وان نظرت الى ظاهرك وباطنك فلم تطلع فيهما على عيب ونقص فى دين ولا دنيا) بضم الدال وكسرها (فاعلم أن جهلك بعيوب نفسك أقبح أنواع الحماقة) أى الفساد فى العقل (ولا عيب أعظم من الحمق ولو أراد الله بك) الباء بمعنى اللام كما فى بعض النسخ لك باللام (خيرا لبصرك بعيوب نفسك فرؤيتك نفسك بعين الرضا غاية غباوتك) أى قلة فطنتك (وجهلك) وأكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى فى عين أخيه ولا يرى الجذع فى عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق الاول أن يجلس بين يدى شيخ بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويتبع اشارته فى مجاهدته الثانى أن يطلب صديقا صادقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ أحواله وأفعاله فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه الثالث أن يستفيد معرفة نفسه من ألسنة أعدائه فان عين السخط تبدى المساوى الا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل قوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه الرابع أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به فان المؤمن مرآة المؤمن (ثم ان كنت صادقا فى ظنك) أنك لم تنقص فى دينك ودنياك (فاشكر الله تعالى عليه) أى على كمالك فى دين ودنيا (ولا تفسده) أى الدين والدنيا (بثلب الناس) أى بلومهم وتعييبهم وهو بالثاء المثلثة فاللام (والتمضمض) أى التصوت (باعراضهم) أى بشتم نفوسهم وهذا عطف مرادف (فان ذلك من أعظم العيوب) وقال عمر رضى الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فانه شفاء واياكم والغيبة وذكر الناس فانه داء * واعلم أن سوء الظن حرام مثل القول فكما يحرم أن تحدث غيرك بمساوى انسان يحرم أن تحدث نفسك بذلك وتسيء الظن به قال الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث والمراد بالظن جزم القلب بسببه على غيرك بالسوء فأما الخواطر وحديث النفس اذا لم يستقر ويستمر عليه صاحبه فمعفو عنه باتفاق العلماء لانه لا اختيار له فى وقوعه ولا طريق له الى الانفكاك عنه وهو المراد بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى تجاوز لامتى ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل قال العلماء والمراد بذلك الخواطر التى لا تستقر سواء كان ذلك الخاطر غيبة أو كفرا أو غيره فمن خطر له الكفر مجرد خطور من غير تعمد لتحصيله ثم صرفه فى الحال فليس بكافر ولا شئ عليه وسبب العفو تعذر اجتنابه وانما الممكن اجتناب الاستمرار عليه فلهذا كان الاستمرار وعقد القلب حراما ومهما عرض لك هذا الخاطر بالغيبة وغيرها من المعاصى وجب عليك دفعه بالاعراض عنه وذكر التأويلات الصارفة له عن ظاهره كذا فى أذكار النووى (الرابع) من الثمانية (المراء والجدال) هذا من

أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه فقد شبهك الله بآكل لحم الميتة فما أجدرك أن تحترز منها ويمنعك عن غيبة المسلمين أمر لو تفكرت فيه وهو أن تنظر فى نفسك هل فيك عيب ظاهر أو باطن وهل أنت مقارف معصية سرا أو جهرا فاذا عرفت ذلك من نفسك فاعلم أن عجزه عن التنزه عما نسبته اليه كعجزك وعذره كعذرك وكما تكره ان تفتضح وتذكر عيوبك فهو أيضا يكرهه فان سترته ستر الله عليك عيوبك وان فضحته سلط الله عليك ألسنة حدادا يمزقون عرضك فى الدنيا ثم يفضحك الله فى الآخرة على رؤس الخلائق يوم القيامة وان نظرت الى ظاهرك وباطنك فلم تطلع فيهما على عيب ونقص فى دين ولا دنيا فاعلم أن جهلك بعيوب نفسك أقبح أنواع الحماقة ولا عيب أعظم من الحمق ولو أراد الله بك خيرا لبصرك بعيوب نفسك فرؤيتك نفسك بعين الرضا غاية غباوتك وجهلك ثم ان كنت صادقا فى ظنك فاشكر الله تعالى عليه ولا تفسده بثلب الناس والتمضمض باعراضهم فان ذلك من أعظم العيوب (الرابع) المراء والجدال

وتزكية لها بمزيد الفطنة والعلم ثم هو مشوش للعيش فانك لاتمارى سفيها الا ويؤذيك ولا تمارى حليما الا ويقليك ويحقد عليك فقد قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا فى ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة ولا ينبغى أن يخدعك الشيطان و يقول لك أظهر الحق ولا تداهن فيه فان الشيطان أبدا يستجر الحق الى الشر فى معرض الخير فلا تكن ضحكة للشيطان فيسخر منك فاظهار الحق حسن مع من يقبله منك وذلك بطريق النصيحة فى الخفية لا بطريق المماراة وللنصيحة صفة وهيئة ويحتاج فيها الى تلطف والا صارت فضيحة وكان فسادها أكثر من صلاحها ومن خالط متفقهة العصر غلب على طبعه المراء والجدال وعسر عليه الصمت اذ ألقى اليه علماء السوء ان ذلك هو الفضل والقدرة على المحاجة والمناقشة هو الذى يتمدح به ففر منهم فرارك من الاسد واعلم أن المراء سبب المقت عند الله وعند الخلق (الخامس) تزكية النفس فقد قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى وقيل لبعض الحكماء ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه

عطف الاعم على الاخص لان المراء هو الطعن فى القول والتزييف له والتصغير لقائله وليس فى ذلك غرض سوى ذلك ولا يكون المراء الا اعتراضا على كلام سبق بخلاف الجدال فانه يكون ابتداء واعتراضا ويتعلق باظهار المذاهب وتقريرها (ومناقشة الناس فى الكلام) أى الاستقصاء فى الكلام مع الناس وهذا هو المسمى بالخصومة فانه لجاج فى الكلام ليستوفى به مال أو حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا (فذلك) أى المذكور (فيه ايذاء) أى ايصال المكروه (للمخاطب وتجهيل له وطعن) أى قدح (فيه) أى المخاطب وفى الحديث لايكون المؤمن طعانا أى فى أعراض الناس (وفيه) أى المذكور (ثناء على النفس وتزكية لها بمزيد الفطنة) بكسر الفاء (والعلم ثم هو مشوش) أى مكدر (للعيش فانك لاتمارى سفيها) اى غير حليم (الا ويؤذيك ولا تمارى حليما) أى متأنيا فى الامر (الا ويقليك) أى يبغضك (ويحقد عليك) أى يمسك عداوتك فى قلبه ويتربص لفرصتها ومن بدأ بالخصومة فقد شوش خاطره حتى انه فى صلاته يشتغل بمحاجة خصمه (وقد قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو مبطل) أى مدع بطلانه (بنى الله له بيتا فى ربض الجنة) أى فيما حولها اوالربض هو بفتح الراء والباء الموحدة (ومن ترك المراء وهو محق) أى مدع أنه على الحق (بنى الله له بيتا فى أعلى الجنة) اى لشدة ذلك على النفس ومحل جواز ترك المراء اذا لم يلزم على ذلك ضياع الحق الواجب وظهور المفسدة وفى رواية لابى داود والترمذى عن أبى أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من ترك المراء وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة ومن تركه وهو محق بنى له بيت فى وسطها ومن حسن خلقه بنى له بيت فى أعلاها (ولا ينبغى) أى لايليق (أن يخدعك الشيطان ويقول لك أظهر الحق ولا تداهن) أى لاتلن (فيه) أى الحق (فان الشيطان) الفاء للتعليل (أبدا يستجر الحق الى الشر فى معرض الخير) أى فى مسلكه (فلا تكن ضحكة) بضم ففتح أى كثير الضحك (للشيطان فيسخر منك) وفى بعض النسخ بك (فاظهار الحق حسن مع من يقبل منك وذلك) أى كون اظهار الحق حسنا (بطريق النصيحة فى الخفية لا بطريق المماراة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وقال أيضا الكلمة الطيبة صدقة (وللنصيحة صفة وهيئة) كتليين الكلام وخفية المكان (ويحتاج فيها) أى النصيحة (الى تلطف) أى ترفق فى الحال والمقال (والا صارت فضيحة) أى كشف عيب (وكان فسادها) أى الفضيحة (أكثر من صلاحها ومن خالط متفقهة العصر) أى من عاشر المتفقهة فى هذا الزمان (غلب) أى كثر (على طبعه المراء والجدال وعسر عليه الصمت اذ ألقى اليه) أى لانه علمهم (علماء السوء ان ذلك) أى المراء والجدال (هو الفضل) أى الخير (و) أن (القدرة على المحاجة) اى المغالبة فى الحجة (والمناقشة) اى استقصاء الكشف فى الشئ (هو الذى يتمدح به ففر منهم) اى علماء السوء (فرارك من الاسد واعلم ان المراء سبب المقت) أى البغض (عند الله وعند الخلق) قال عليه السلام ذروا المراء فانه لاتفهم حكمته ولا تؤمن فتنته وقال أيضا لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا وقال مسلم بن يسار اياكم والمراء فانه ساعة جهل العالم وعندها يبتغى الشيطان زلته وقال ابوالدرداء كفى بك اثما ان لاتزال مماريا وقال عمر رضى الله عنه لاتتعلم العلم لثلاث ولا تتركه لثلاث لا تتعلمه لتمارى به ولا لتباهى به ولا لترائى به ولا تتركه حياء من طلبه ولا لزهادة فيه ولا رضا بالجهل به (الخامس تزكية النفس) أى مدحها بالطهارة عن الدناءة على سبيل الاعجاب أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن لان التحدث بها شكرها وانما جاز اذا قصد به الشكر وأن يقتدى به غيره وأمن على نفسه الفتنة والستر افضل كذا أفاده الشربينى (فقد قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم) بأن يثنى الانسان على نفسه (هو) اى الله تعالى (اعلم) اى منكم ومن جميع الخلق (بمن اتقى) أى فانه يعلم المتقى وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب أبيكم آدم عليه السلام (وقيل لبعض الحكماء) اى الواضعين الشئ فى محله وهم الاولياء الصالحون وليس المراد بالحكماء هنا الاطباء بل المراد بهم أطباء القلوب (ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه) وهو

من علامات كونه محجوبا عن الله تعالى كما نقله الشربينى عن القشيرى (فاياك) أى احذر (أى تتعود ذلك) أى أن تصير تزكية النفس عادة لك (واعلم أن ذلك) أى تزكية النفس (ينقص من قدرك) أى قيمتك (عند الناس ويوجب مقتك) أى بغضك (عند الله تعالى فاذا أردت أن تعرف أن ثناءك على نفسك لا يزيد فى قدرك عند غيرك) بل ينقصه عنده (فانظر الى أقرانك) جمع قرن وهم أهل زمان واحد (اذا أثنوا على أنفسهم بالفضل) على غيرهم (والجاه) أى المنزلة (والمال) وبالبركة والطهارة عن الدناءة (كيف يستنكره) أى الثناء (قلبك عليهم ويستثقله طبعك وكيف تذمهم عليه) أى الثناء (اذا فارقتهم) من ذلك المجلس واذا كان الامر كذلك (فاعلم انهم) أى الاقران (أيضا فى حال تزكيتك نفسك يذمونك فى قلوبهم ناجزا) أى حاضرا (وسيظهرونه) أى الذم عليك (بألسنتهم اذا فارقتهم) فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه لان الطباع متقاربة فى اتباع الهوى وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب قال النووى اعلم أن ذكر المرء محاسن نفسه ضربان مذموم ومحبوب فالمذموم أن يذكره للافتخار واظهار الارتفاع والتميز على الاقران وشبه ذلك والمحبوب أن يكون فيه مصلحة دينية وذلك بأن يكون آمرا بمعروف أو ناهيا عن منكر أو ناصحا أو مشيرا بمصلحة أو معلما أو مؤدبا أو واعظا أو مذكرا أو مصلحا بين اثنين أو يدفع عن نفسه شرا أو نحو ذلك فيذكر محاسنه ناويا بذلك أن يكون هذا أقرب الى قبول قوله واعتماد ما يذكره أو أن هذا الكلام الذى أقوله لا تجدونه عند غيرى فاحتفظوا به أو نحو ذلك (السادس) من الثمانية (اللعن) وهو الابعاد عن رحمة الله تعالى (فاياك) أى احذر (أن تلعن شيأ مما خلق الله تعالى من حيوان أو طعام أو انسان بعينه) ولو كافرا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودى مثلا فذلك خطر لانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله تعالى أما اللعن بالوصف الاعم فيجوز كقولك لعن الله الظالمين لعن الله الكافرين لعن الله اليهود والنصارى لعن الله الفاسقين لعن الله المصورين ونحو ذلك (ولا تقطع) أى لا تجزم (بشهادتك على أحد من أهل القبلة) أى المسلمين (بشرك أو كفر أو نفاق) فان ذلك أمر صعب جدا (فان المطلع على السرائر هو الله تعالى فلا تدخل بين العباد وبين الله تعالى) قال صلى الله عليه وسلم ما شهد رجل على رجل بالكفر الا باء به أحدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه فان قيل هل يجوز لعن اليزيد لانه قاتل الحسين أو آمر به قلنا هذا لم يثبت أصلا فلا يجوز أن يقال انه قتله أو أمر به ما لم يثبت فضلا عن اللعنة لانه لا تجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق نعم يجوز أن يقال قتل ابن ملجم عليا وقتل أبو لؤلؤة عمر فان ذلك ثبت متواترا كما فى الاحياء (واعلم أنك يوم القيامة لا يقال لك لم لم تلعن فلانا ولم سكت عنه بل لو لم تلعن ابليس طول عمرك ولم تشغل لسانك بذكره) أى ابليس (لم تسئل عنه ولم تطالب به يوم القيامة) وليس فى السكوت خطر (واذا لعنت أحدا من خلق الله تعالى طولبت به) أى باللعن (وسئلت عنه) فاذا لعنت ما لا يستحق اللعن فليتبادر بقولك الا أن يكون لا يستحق كذا فى أذكار النووى (ولا تذمن شيأ مما خلق الله تعالى فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يذم الطعام الردىء) أى الخسيس (قط) بضم الطاء مشددة (بل كان اذا اشتهى شيأ) من الطعام (أكله والا تركه) من غير ذم ومن الالفاظ المذمومة المستعملة فى العادة قوله لمن يخاصمه يا حمار يا تيس يا كلب فهذا قبيح لوجهين أحدهما أنه كذب والآخر أنه ايذاء وهذا بخلاف قوله يا ظالم ونحوه فان ذلك يتسامح به لضرورة المخاصمة مع أنه يصدق غالبا فما انسان الا وهو ظالم لنفسه ولغيره كذا فى أذكار النووى (السابع الدعاء على الخلق) بالهلاك (فاحفظ لسانك عن الدعاء على أحد من خلق الله تعالى وان ظلمك) أى أحد (فكل) أى فوض (أمره) أى الظالم (الى الله تعالى) واكتف به تعالى (ففى الحديث ان المظلوم ليدعو على ظالمه) بالهلاك (حتى يكافئه) أى يقابله فى ثقل المظلمة (ثم يبقى للظالم فضل) أى زيادة (عنده) أى المظلوم (يطالبه به) أى يطلب الظالم من المظلوم ذلك الفضل (يوم القيامة وطول بعض الناس لسانه على الحجاج) بن يوسف الثقفى وهو أمير عالم لكنه ظالم (فقال بعض السلف)

فاياك ان تتعود ذلك واعلم ان ذلك ينقص من قدرك عند الناس ويوجب مقتك عند الله تعالى فاذا أردت أن تعرف أن ثناءك على نفسك لا يزيد فى قدرك عند غيرك فانظر الى أقرانك اذا أثنوا على أنفسهم بالفضل والجاه والمال كيف يستنكره قلبك عليهم ويستثقله طبعك وكيف تذمهم عليه اذا فارقتهم فاعلم أنهم أيضا فى حال تزكيتك لنفسك يذمونك فى قلوبهم ناجزا وسيظهرونه بألسنتهم اذا فارقتهم (السادس) اللعن فاياك ان تلعن شيأ مما خلق الله تعالى من حيوان أو طعام أو انسان بعينه ولا تقطع بشهادتك على أحد من أهل القبلة بشرك أو كفر أو نفاق فان المطلع على السرائر هو الله تعالى فلا تدخل بين العباد وبين الله تعالى واعلم أنك يوم القيامة لا يقال لك لم لم تلعن فلانا ولم سكت عنه بل لو لم تلعن ابليس طول عمرك ولم تشغل لسانك بذكره لم تسئل عنه ولم تطالب به يوم القيامة واذا لعنت أحدا من خلق الله تعالى طولبت به ولا تذمن شيأ مما خلق الله تعالى فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يذم الطعام الردىء قط بل كان اذا اشتهى شيأ أكله والا تركه (السابع) الدعاء على الخلق فاحفظ لسانك عن الدعاء على أحد من خلق الله تعالى وان ظلمك فكل أمره الى الله تعالى ففى الحديث ان المظلوم ليدعو على ظالمه حتى يكافئه ثم يبقى للظالم فضل عنده يطالبه به يوم القيامة وطول بعض الناس لسانه على الحجاج فقال بعض السلف

الصالح وهو الامام محمد بن سيرين امام المعبرين نهيا عن تطويل الكلام على الحجاج (ان الله لينتقم) أى ليعاقب (للحجاج) أى لاجله (ممن تعرض له) أى الحجاج (بلسانه) فقوله ممن معمول لينتقم والضمير المجرور باللام يعود اليه كالضمير المستتر فى ظلم (كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه) أى لاجل من ظلمه فانه قتل وصلب سيدنا عبد الله بن الزبير وهو صحابى ثم لما قتل سعيد بن جبير أحد أكابر التابعين والعلماء العاملين لم يزل دمه يغلى حتى ملأ أثواب الحجاج وفاض حتى دخل تحت سريره ولم يخمد فى نفسه ولم يرشئ أكثر دما من الانسان فلم يزل الحجاج بذلك فزعا حتى منع منه النوم فيقول مالى ولك يا سعيد بن جبير ستة أشهر ثم ان بطنه استسقى حتى انشق فمات فلما دفن لفظته الارض وبقى بعد سعيد بن جبير ستة أشهر ونقل أن المسجونين قد وجدوا بعد موته ثلاثة وثلاثين ألفا من المظلومين وقد أحصى من قتله الحجاج صبرا فوجد مائة ألف وعشرين ألفا كذا فى شرح الشفاء (الثامن) وهو تمام ما يطلب حفظ اللسان منه (المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس) والمراد بالمزاح هنا الهزل المذموم ومعنى السخرية الاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة فى الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة (فاحفظ لسانك منه) أى المذكور من المزاح وما بعده (فى الجد) بكسر الجيم (والهزل فانه) أى المذكور (يريق ماء الوجه ويسقط المهابة) أى الاجلال والمخافة (و يستجر الوحشة) أى الهم والخوف والخلوة (ويؤذى القلوب) أى قلوب الاقران (وهو مبدأ اللجاج) أى الخصومة (والغضب والتصارم) أى التقاطع فى الصحبة (و يغرس) بكسر الراء أى يثبت (الحقد) أى الاحتواء على العداوة (فى القلوب فلا تمازح أحدا) أبدا (فان مازحك أحد فلا تجبه) وفى بعض النسخ وان مازحوك فلا تجبهم (وأعرض) أى تول (عنهم) أى الممازحين (حتى يخوضوا) أى يدخلوا (فى حديث) أى خبر (غيره) أى المزاح (وكن من الذين اذا مروا باللغو) أى الذى ينبغى أن يطرح من الكلام القبيح وغيره (مروا كراما) أى آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر ان تعلق بهم أمر أو نهى اشارة أو عبارة على حسب ما يرونه نافعا فان لم يتعلق بهم ذلك كانوا معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكف عما يستهجن التصريح به كذا فى السراج المنير وقال عمر بن عبد العزيز اتقوا الله واياكم والمزاح فانه يورث الضغينة ويجر الى القبيح وتحدثوا بالقرآن وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال أى الصالحين (فهذه) أى الثمانية المذكورة (مجامع آفات اللسان ولا يعينك) أى لا يساعدك (عليه) أى اللسان (الا العزلة) أى عن الناس (أو ملازمة الصمت الا بقدر الضرورة) أى الحاجة قال صلى الله عليه وسلم من سره أن يسلم فليلزم الصمت وفى الحكمة لسانك أسدك ان أطلقته فرسك وان أمسكته حرسك (فقد كان أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يضع حجرا فى فيه ليمنعه) أى أبا بكر (ذلك) أى الحجر (من الكلام بغير ضرورة) أى فى غير ما ينفع فى الدنيا والآخرة (ويشير الى لسانه) وفى رواية يمسك لسانه (و يقول) أى عند الاشارة (هذا) أى اللسان (الذى أوردنى الموارد) أى أحضرنى المحال فلما مات رضى الله عنه رؤى فى المنام فقيل له ما الذى أورد لسانك قال قلت به لا اله الا الله فأوردنى الجنة (فاحترز منه) أى آفات اللسان (بجهدك) بفتح الجيم أى طاقتك (فانه) أى اللسان (أقوى أسباب هلاكك فى الدنيا والآخرة) وفى الحديث طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته وروى عن الاوزاعى أنه قال المؤمن يقل الكلام ويكثر العمل والمنافق يكثر الكلام ويقل العمل وقد قال أبو بكر بن خلف اللخمى نظما من بحر الطويل

يموت الفتى من عثرة من لسانه * وليس يموت المرء من عثرة الرجل

فعثرته من فيه ترمى برأسه * وعثرته بالرجل تبرى على مهل

(وأما البطن فاحفظه من تناول الحرام والشبهة) فالحرام المحض ما يكون به علمك أو غالب ظن بكونه منهيا عنه فى الشرع واذا تساوت الامارتان الدالتان على الحل والحرمة حتى تبقى شاكا لا يكون لاحدهما ترجيح عندك

فذلك

ان الله لينتقم للحجاج ممن تعرض له بلسانه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه (الثامن) المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس فاحفظ لسانك منه فى الجد والهزل فانه يريق ماء الوجه ويسقط المهابة ويستجر الوحشة ويؤذى القلوب وهو مبدأ اللجاج والغضب والتصارم ويغرس الحقد فى القلوب فلا تمازح أحدا فان مازحك أحد فلا تجبه وأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وكن من الذين اذا مروا باللغو مروا كراما فهذه مجامع آفات اللسان ولا يعينك عليه الا العزلة أو ملازمة الصمت الا بقدر الضرورة فقد كان أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه يضع حجرا فى فيه ليمنعه ذلك من الكلام بغير ضرورة ويشير الى لسانه ويقول هذا الذى أوردنى الموارد فاحترز منه بجهدك فانه أقوى أسباب هلاك فى الدنيا والآخرة وأما البطن فاحفظه من تناول الحرام والشبهة

فذلك شبهة يشبه أنه حلال ويشبه أنه حرام فاشتبه أمره عليك كذا في منهاج العابدين وقال ابراهيم
الشبرخيتي قد اختلفوا في الشبهة على أقوال فقيل هو ما اختلف فيه العلماء كالخيل فانها محرمة عند مالك
ومباحة عند غيره وقيل هو المكروه وبه قال الماوردي لانه عقبة بين الحلال والحرام فالورع تركه وقيل هو
معاملة الانسان من في ماله شبهة أو من خالط ماله حرام وبه قال الخطابي وقيل هو ما لم يرد فيه نص من الشارع
بتحليل ولا تحريم كنبات غير مألوف لم تعرف العرب هل هو مضر أم لا (واحرص) أي اجتهد (على طلب
الحلال) فقد قال صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة على كل مسلم رواه ابن مسعود والحلال فسره
الامام مالك والشافعي بما لم يرد بتحريمه دليل وأبو حنيفة بما دل دليل على حله وتظهر ثمرة الخلاف في
المسكوت عنه الذي جهل أصله فعند مالك والشافعي هو من الحلال اذ هو الاشبه بيسر الدين وعند الحنفي
هو من الحرام (فاذا وجدته) أي الحلال (فاحرص على أن تقتصر منه على ما دون الشبع) ومراتب الاكل
سبعة الاول أن يأكل ما تحصل به الحياة فقط الثاني أن يزيد على ذلك مقدار ما يحصل له به قوة على أداء
الفرائض الخمس من قيام دون النوافل وهذان واجبان ومثلهما أكل ما يقوى به على صوم واجب الثالث
أن يأكل ما تحصل له به قوة على صيام النفل وصلاة النافلة من قيام وهذا مستحب الرابع أن يأكل ما يقيم
به صلبه للكسب والعمل وهذا هو الشبع الشرعي الخامس أن يملأ ثلث بطنه وهو ستة أشبار لان مصران
الانسان طوله ثمانية عشر شبرا وهذا هو الشبع المعتاد وهذا لا كراهة فيه ان أكل من طعام نفسه وأما ان أكل
على مائدة الغير فقال القرافي ان ذلك حرام فان الزيادة على الشبع الشرعي لا تجوز الا أن يعلم رضا الداعي بأكل
الزائد له أن يأكل ما شاء السادس أن يأكل زيادة على قدر ثلث المصران وهو مكروه وبه يحصل للانسان
الثقل والنوم وعلى هذا القسم غالب عادة الناس السابع أن يأكل زيادة على ذلك الى أن يتضرر وهو البطنة
وهذا حرام كذا في شرح المنظومة لابن العماد (فان الشبع) أي المعتاد (يقسي القلب) الفاء التعليل (ويفسد
الذهن) أي الفطنة (ويبطل الحفظ) أي التيقظ (ويثقل الاعضاء عن العبادة والعلم) أي الاشتغال بهما
(ويقوي الشهوات) وهي اشتياق النفس الى الشيء (وينصر جنود الشيطان) وهي عشرة الظلم والخيانة
والكفر وترك حفظ الامانة والنميمة والنفاق والخديعة والشك في الواحد الخلاق والمخالفة لما أمر به ذو
الجلال والاكرام والتغافل عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم كذا أفاده الهمداني قال لقمان لابنه يا بني
اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة قال بعض الحكماء من كثر
أكله كثر شربه ومن كثر شربه كثر نومه ومن كثر نومه كثر لحمه ومن كثر لحمه قسا قلبه ومن قسا قلبه غرق في
الآثام (والشبع من الحلال مبدأ كل شر فكيف من الحرام) قال الشعراني فان أكل الحرام أو الشبهة يظلم
القلب ويحجبه عن دخول حضرة الله تعالى ويخلق الثياب (وطلب الحلال فريضة على كل مسلم) وهذه
الفريضة من بين سائر الفرائض أعصاها على العقول فهما وأثقلها على الجوارح فعلا اذ ظن الجهال أن
الحلال مفقود وأن سبيل الوصول اليه مسدود وهيهات هيهات فالحلال بين والحرام بين وبينهما أمور
مشتبهات ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيفما تقلبت الحالات كذا في الاحياء (والعبادة والعلم مع أكل
الحرام كالبناء على السرجين) بكسر السين أي الزبل وقال ابراهيم بن أدهم طيب مطعمك وما عليك بعد ذلك
أن لا تصوم النهار ولا تقوم الليل يعني نفلا (فاذا قنعت) بكسر النون أي رضيت (في السنة بقميص خشن
وفي اليوم والليلة برغيفين من الخشكار) أي الردىء من كل شيء أو من شعير (وتركت التلذذ بأطيب الادم)
بضمتين جمع ادام ككتب وكتاب وهو ما يسيغ الطعام الى الحلق كاللحم مثلا فانه إدام الخبز مثلا (لم يعوزك)
أي لم يعجزك (من الحلال ما يكفيك) أي من اللباس والقوت والادام (والحلال كثير) فليس الامر كما قال
الجهال لم يبق من الطيبات الا الماء الفرات والحشيش النابت في الموات وما عداه فقد أخبثته الايدي
العادية وأفسدته المعاملات الفاسدة (وليس عليك أن تتيقن) وفي نسخة أن تنقي اي تفتش (بواطن الامور

واحرص على طلب الحلال فاذا وجدته فاحرص على أن تقتصر منه على ما دون الشبع فان الشبع يقسي القلب ويفسد الذهن ويبطل الحفظ ويثقل الاعضاء عن العبادة والعلم ويقوي الشهوات وينصر جنود الشيطان والشبع من الحلال مبدأ كل شر فكيف من الحرام وطلب الحلال فريضة على كل مسلم والعبادة والعلم مع أكل الحرام كالبناء على السرجين فاذا قنعت في السنة بقميص خشن وفي اليوم والليلة برغيفين من الخشكار وتركت التلذذ بأطيب الادم لم يعوزك من الحلال ما يكفيك والحلال كثير وليس عليك أن تتيقن بواطن الامور

بل عليك) أى الزم (أن تحترز عما تعلم) أى تتيقن (أنه) أى هذا المال (حرام) وهو ما منع منه شرعا اما لصفة فى ذاته ظاهرة كالسم والخمر أو خفية كمذكى المجوسى واما لخلل فى تحصيله كالربا والغصب والسرقة (أو تظن أنه) أى المال (حرام ظنا) غالبا (حصل من علامة ناجزة) أى ظاهرة (مقرونة بالمال) وفى نسخة مقدرة بالمال وهذا من الحرام المحض على ما حسنه الغزالى لان غلبة الظن مما تجرى مجرى العلم فى كثير من الاحكام وقيل ان هذا من الشبهات لانه لم يوجد منه يقين فى الحرمة (أما) المال (المعلوم) أى المتيقن حرمته أو حله (فظاهر) أى متضح فى الحرمة كالمذكور قريبا ومنكشف فى الحل كالمأخوذ بالتراضى اما بعوض كالبيع والصداق والاجرة واما بغير عوض كالهبة والصدقة والوصية والمأخوذ كرها اما لسقوط عصمة المالك كالغنائم وسائر أملاك الكفار الذين ليس لهم أمان وعهد وذمة فهذا حلال اذا أخرجوا منها الخمس وقسموها بين المستحقين بالعدل أو لاستحقاق الآخذ كالزكاة من الممتنعين والنفقات الواجبات هذا كله مأخوذ من المالك والمأخوذ من غير مالك كالاشياء المباحة التى لم يسبق عليها ملك لاحد كالاصطياد والاحتطاب والاحتشاش والاستقاء من الانهار واحياء الموات وهذا كله مأخوذ بالاختيار والمأخوذ بغير الاختيار كالارث فهذا كله حلال اذا روعيت شروط الشرع فى تحصيله (وأما) المال (المظنون) فى حرمته (بعلامة فهو مال السلطان و) مال (عماله) أى السلطان وهو جمع عامل وهو من يتولى على البلاد كالباشا والقائم مقامه لعدم تيقن حرمته واختلف العلماء فى جوائزهم فى هذا الزمان فقيل يجوز لنا أخذها لعدم تيقن حرمتها وقيل لا يحل لان الاغلب فى هذا الزمان على أموالهم الحرمة وقيل ان صلاتهم تحل للغنى والفقير اذا لم يتحقق أنها حرام وانما التبعة على المعطى وقيل لا يحل من أموالهم شئ لغنى ولا لفقير اذ هم موسومون بالظلم والغالب على مالهم الحرام والحكم للغالب وقيل يحل ذلك للفقير فقط الا أن يعلم أنه عين الغصب فليس له أن يأخذ ما لا ليرده على مالكه ولا حرج على الفقير أن يأخذ من أموال السلطان لانها ان كانت ملكه فلا ريب فى حل أخذ الفقير وان كانت من فئ أو عشر فللفقير فيه حق وكذلك لاهل العلم قال على بن أبى طالب من دخل الاسلام طائعا وقرأ القرآن ظاهرا فله فى بيت مال المسلمين كل سنة مائتا درهم ان لم يأخذها فى الدنيا أخذها فى الآخرة واذا كان كذلك فالفقير والعالم يأخذان حقهما قال العلماء واذا كان المال مختلطا بمال مغصوب لا يمكن تمييزه أو غصبا لا يمكن رده على صاحبه وذريته فلا خلاص للسلطان منه الا بأن يتصدق به فاذن للفقير أن يأخذ الا عين الغصب والحرام فليس له أخذه وهذه المسائل لا يمكن الفتوى فيها الا ببسط وتشقيق هذا تلخيص ما فى منهاج العابدين (ومال من لا كسب له الا من النياحة) بكسر النون أى من أجرة البكاء على الميت (أو بيع الخمر) ونحوها من المحرمات (أو) من تحصيل (الربا أو) من اللهو كـ(المزامير وغير ذلك من آلات اللهو المحرمة فان من علمت ان أكثر ماله) أى من لا كسب له الا بذلك (حرام قطعا) أى جزما بلا شك (فما تأخذه من يده وان أمكن أن يكون) أى المأخوذ (حلالا نادرا) أى فى النادر أى القليل (فهو حرام لانه الغالب على الظن) قال الشبرخيتى فى الفتوحات الوهبية نقلا عن مختصر أحياء علوم الدين ومن جملة المتشابه أن يكون الشئ مما قد اشترى فى الذمة ولكن قضى ثمنه من مال حرام الا أن يكون تسلم الطعام قبل دفع ثمنه بطيب قلب وأكله قبل قضاء الثمن فهو حلال بالاجماع ولا ينقلب بأداء المال فى مقابلته من الحرام حراما بل غايته أنه لا تبرأ ذمته فكأنه لم يقض الثمن فلا يحرم ما أكله (ومن الحرام المحض) أى الخالص الذى لا يخالطه حلال (ما يؤكل من الاوقاف من غير شرط الواقف) لقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون عند شروطهم (فمن لم يشتغل بالتفقه فما يأخذه من المدارس) أى من الاموال الموقوفة على من اشتغل بحال درس العلم (حرام) لانه لم يستحق المأخوذ لان الموقوف على مشتغل العلم يحمل على مشتغل الفقه لان العلم الشرعى ثلاثة الفقه والحديث والتفسير (ومن ارتكب) أى أتى (معصية ترد بها الشهادة) كقتل وزنا وقذف وشهادة زور وكاصرار على صغيرة (فما يأخذه باسم الصوفية من وقف أو غيره) كصدقة معينة على الصوفية (فهو حرام) لانه لم يستحق ذلك لان الصوفية هم الذين قنوا مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا (وقد ذكرنا مداخل الشبهات

بل عليك أن تحترز عما تعلم أنه حرام أو تظن أنه حرام ظنا حصل من علامة ناجزة مقدرة بالمال أما المعلوم فظاهر وأما المظنون بعلامة فهو مال السلطان وعماله ومال من لا كسب له الا من النياحة أو بيع الخمر أو الربا أو المزامير وغير ذلك من آلة اللهو المحرمة فان من علمت ان أكثر ماله حرام قطعا فما تأخذه من يده وان أمكن أن يكون حلالا نادرا فهو حرام لانه الغالب على الظن ومن الحرام المحض ما يؤكل من الاوقاف من غير شرط الواقف فمن لم يشتغل بالتفقه فما يأخذه من المدارس حرام ومن ارتكب معصية ترد بها شهادته فما يأخذه باسم الصوفية من وقف أو غيره فهو حرام وقد ذكرنا مداخل الشبهات

والحلال والحرام) وأصنافها ودرجاتها (في كتاب مفرد) وهو كتاب الحلال والحرام (من كتب احياء علوم الدين فعليك بطلبه) أي الكتاب المفرد لكن تلخيصه مسطور في هذا الشرح (فان معرفة الحلال وطلبه فريضة على كل مسلم كالصلوات الخمس) لقوله صلى الله عليه وسلم طلب الحلال واجب على كل مسلم رواه الديلمي عن أنس أي طلب معرفة الحلال من الحرام واجب أو المعنى طلب الكسب الحلال واجب كذا نقل العزيزي عن المناوي وقوله صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة بعد الفريضة رواه الطبراني عن ابن مسعود أي الكسب الحلال لمؤنة النفس والعيال فرض بعد الايمان والصلاة أو بعد جميع ما فرض الله فطلب ما يحتاجه لنفسه وعياله واجب دون ما زاد على الكفاية كما قاله العزيزي وقوله صلى الله عليه وسلم طلب الحلال جهاد رواه القضاعي عن ابن عباس أي ثوابه كثواب الجهاد * (وأما الفرج فاحفظه عن كل ما حرم الله تعالى) كالزنا واللواط والمساحقة للمرأة مع مثلها والمفاخذة للرجل مع مثله والاستمناء باليد والوطء في الحيض وفي الطهر قبل الغسل منه واتيان البهيمة (وكن كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم) في الجماع ومقدماته (حافظون) أي دائما لا يتبعونها شهوتها والفرج اسم لسوأة الرجل والمرأة وحفظه التعفف عن الحرام (الا على أزواجهم) اللاتي استحقوا مباضعتهن بعقد النكاح (أو ما ملكت أيمانهم) رقابه من الاماء (فانهم غير ملومين) على ذلك اذا كان على وجه اذن فيه الشرع دون الاتيان في غير المأتى وفي حال الحيض أو النفاس أو نحو ذلك كوطء الامة قبل الاستبراء فانه حرام ومن فعله فانه ملوم (ولا تصل الى) حقيقة (حفظ الفرج الا بحفظ العين عن النظر) فيما لا يجوز شرعا (وحفظ القلب عن التفكر) في محاسن ما يشتهى (وحفظ البطن عن الشبهة) وعن الحرام بطريق الاولى (وعن الشبع) كما مر تفصيله (فان هذه) أي الاربعة التي هي النظر والفكر والشبهة والشبع (محركات للشهوة ومغارسها) أي أصولها * (وأما اليدان فاحفظهما عن أن تضرب بهما مسلما) أو ذميا بغير مسوغ شرعي كالضرب في الوجه أو تقتله بهما بمباشرة أو بسبب كحفر البئر عدوانا قال صلى الله عليه وسلم لو أن أهل السماء وأهل الارض اشتركوا في دم مؤمن لكبهم الله في النار (أو تتناول بهما مالا حراما) كالحاصل بتطفيف الكيل والوزن وبالسرقة (أو تؤذي بهما أحدا من الخلق) كالدعة والدفع (أو تخون بهما في أمانة أو وديعة) فالامانة هي ما يستحفظ عند الامين والوديعة ما يكون عنده من مال الغير (أو تكتب بهما ما لا يجوز النطق به فان القلم أحد اللسانين فاحفظ القلم عما يجب حفظ اللسان منه) كما قال ذو النون المصري نظما من بحر الوافر

وما من كاتب الا سيبلى * ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء * يسرك في القيامة أن تراه

(وأما الرجلان فاحفظهما عن أن تمشي بهما الى حرام) كالمشي لاجل غيبة أو التجسس عورات المسلمين (أو تسعى) أي تذهب (بهما) الى باب سلطان ظالم مع الرضا بظلمه كذا قاله ابن حجر (فان المشي الى السلاطين الظلمة) بفتحات (من غير ضرورة) أي حاجة شرعية (وارهاق) بالراء أي اتيان (معصية كبيرة) قوله فان المشي تعليل للنهي عن السعي الى باب السلطان وفي نسخة فالمشي وقوله كبيرة خبره (فانه) أي المشي اليهم (تواضع واكرام لهم) على ظلمهم (وقد أمر الله تعالى بالاعراض عنهم) أي الظلمة (في قوله تعالى ولا تركنوا) أي لا تميلوا ولا تسكنوا (الى الذين ظلموا فتمسكم النار الآية وهو) أي المشي اليهم (تكثير لسوادهم) أي لجماعتهم واعانة لهم على ظلمهم وفي الخبر خير الامراء الذين يأتون العلماء وشر العلماء الذين يأتون الامراء وفي الخبر العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم وقال أبو ذر من كثر سواد قوم فهو منهم ومثل السلاطين عمالهم قال الاوزاعي ما من شيء أبغض الى الله من عالم يزور عاملا (وان كان ذلك) أي المشي اليهم (لسبب طلب مالهم فهو سعي الى حرام وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من تواضع لغني صالح لغناه ذهب ثلثا دينه) قيل والمراد بالدين هنا الادب والمعنى ان الآداب ثلاثة أدب مع الله وأدب مع رسول الله وأدب مع عامة الناس فاذا تواضع لغني ذهب الادبان وهما الادب مع الله والادب مع

على كل مسلم كالصلوات الخمس (وأما الفرج) فاحفظه عن كل ما حرم الله تعالى وكن كما قال الله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين ولا تصل الى حفظ الفرج الا بحفظ العين عن النظر وحفظ القلب عن الفكر وحفظ البطن عن الشبهة وعن الشبع فان هذه محركات للشهوة ومغارسها. وأما اليدان فاحفظهما عن أن تضرب بهما مسلما أو تتناول بهما مالا حراما أو تؤذي بهما أحدا من الخلق أو تخون بهما في أمانة أو وديعة أو تكتب بهما ما لا يجوز النطق به فان القلم أحد اللسانين فاحفظ القلم عما يجب حفظ اللسان عنه وأما الرجلان فاحفظهما عن أن تمشي بهما الى حرام أو تسعى بهما الى باب سلطان ظالم فان المشي الى السلاطين الظلمة من غير ضرورة وارهاق معصية كبيرة فانه تواضع واكرام لهم على ظلمهم وقد أمر الله تعالى بالاعراض عنهم في قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار الآية وهو تكثير لسوادهم وان كان ذلك لسبب طلب مالهم فهو سعي الى حرام وقد قال صلى الله عليه وسلم من تواضع لغني صالح لغناه ذهب ثلثا دينه

وهذا فى غنى صالح فـاظنك بالغنى الظالم وعلى الجملة فحركاتك وسكناتك بأعضائك نعمة من نعم الله تعالى عليك فلا تحرك شيأ منها فى معصـيـة الله تعالى أصـلا واستعملها فى طاعة الله تعالى واعلم أنك أن قصرت فعليك وباله وان شمرت فاليك تعود ثمرته والله غنى عنك وعـن عمـلك وانما كل نفس بما كسبت رهينـة وايالك أن تقول ان الله كريم رحيم يغفر الذنوب للعصاة فان هذه كلمة حق أريد بها باطل وصاحبها ملقب بالحماقة بتلقيب رسول الله صـلى الله عليه وسـلم حيث قال الـكيس من دان نفسه وعمل لمـا بعـد الموت والاحـمـق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى (واعلم) أن قولك هذا يضاهئ قول من يريد أن يصير فقيها فى علوم الدين من غـير أن يدرس علما واشتغل بالبطالة وقال ان الله كريم رحـيم قادر على أن يفيض عـلى قلبى من العلوم ما أفاضه على قـلوب أنبيائه وأوليائه من غير جهد وتكرار وتعلم وهو كقول من يريد مالا فـترك الحراثة والتجارة والـكسب ويتعطل وقال ان الله كريم رحيم وله خزائن السموات والارض وهو قادر على أن يطلعنى على كنز من الـكنوز أستغنى به عن الـكسب فقد فعل ذلك لبعض عباده فأنت اذا سمعت كلام هذين الرجلـين استحمقتهـما وسخرت منهـما وان كان ماوصفاه من كرم الله تعالى وقدرته صدقا وحقا فكذلك يضحك عليك أرباب البصائر فى الدين اذا طلبت المغفرة بغير سعى لها والله تعالى يقول وأن ليس للانسان

رسوله وبقى أدب واحد (وهذا) أى حصول ذهاب ثلثى الدين (فى غنى صالح فاظنك بالغنى الظالم وعلى الجملة) أى أقول قولا كائنا على الجملة (فحركاتك وسكناتك بأعضائك نعمة من نعم الله تعالى عليك فلا تحرك شيأ) أى جزأ (منها) أى الاعضاء (فى معصية الله تعالى أصلا) أى بالكلية (واستعملها) أى الاعضاء (فى طاعة الله تعالى) أى لتؤدى شكرها (واعلم أنك ان قصرت) أى توانيت فى الطاعة (فعليك وباله) أى شدة تقصيرك (وان شمرت) أى اجتهدت وأسرعت فيها (فاليك تعود ثمرته) أى فائدة تشميرك (والله غنى عنك وعن عملك) فلا ينتفع الله بذلك (وانما كل نفس بما كسبت) أى تصرفت وتحملت (رهينة) عند الله تعالى وقال على رضى الله عنه من ظن أنه بدون الجهد يصل الى الجنة فهو متمن ومن ظن أنه ببذل الجهد يصـل فهو متعن (واياك أن) تترك العمل فقد قال الحسـن البصرى طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب واحذر أن (تقول ان الله كريم) أى متفضل يعطى من غير مسئلة ولا وسيلة (رحيم يغفر الذنوب للعصاة) أى بكرمه ورحمته (فان هذه كلمة حق أريد بها باطل وصاحبها) أى هذه الكلمة (ملقب بالحماقة) أى الفساد فى العقل (بتلقيب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال الكيس) أى الظريف (من دان) أى أذل وقهر (نفسه) أى الامارة أو اللوامة (وعمل لما بعد الموت) من أنواع الطاعات (والاحمق من أتبع نفسه هواها) أى ميلها (وتمنى على الله الامانى) أى الاكاذيب فقوله نفسه مفعول أول وهواها مفعول ثان وفى ذلك قال الحسن البصرى ان أقواما ألهتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا مفاليس وليست لهم حسـنة فيقول أحدهم انى أحسـن الظن بربى وكذب لانه لو أحسن الظن بربه لاحسـن العمل له (واعلم أن قولك هذا يضاهئ) بالهمز وتركه أى يشابه (قول من يريد أن يصـير فقيها فى علوم الدين من غير أن يدرس) بضم الراء أى يقرأ (علما) من علوم الدين (واشتغل بالبطالة) أى التعطل (وقال ان الله كريم رحـيم قادر على أن يفيض) أى يظهر (على قلبى من العـلوم ما أفاضه) أى أظهره (على قلوب أنبيائه وأوليائه من غير جهد) أى مشقة (وتكرار) أى للدرس (وتعلم) وفى بعض النسخ وتعلق أى استمساك للعلوم قال يحيى بن معاذ من أعظم الاغترار عندى التمادى فى الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى بغـير طاعة وانتظار زرع الجنة ببـذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصى وانتظار الجزاء بغير عمل والتمنى على الله مع الافراط وقد نظم هذا المعنى من بحر البسيط

ترجو النجـاة ولم تسلك مسـالكها * ان السفينة لا تجرى على اليبس

(وهو كقول من يريد مالا فيترك الحراثة) أى الزراعة (والتجارة) أى التصرف فى البيع والشراء (والكسب) أى طلب الرزق بصناعة ونحوها (ويتعطل) أى يبقى بلا عمل (وقال ان الله كريم رحـيم وله خزائن السموات والارض وهو قادر على أن يطلعنى على كـنز من الـكنوز) التى فى الارض (أستغنى به) أى بذلك الـكنز (عن الكسب فقد فعـل) أى الله سبحانه وتعالى (ذلك) أى الاطلاع على الكنز (لبعض عباده) ممن يشاء الله تعالى (فأنت اذا سمعت كلام هذين الرجلين) من يريد علما ومن يريد مالا (استحمقتهما) أى عددتهـما أحمقين (وسخرت) بكسر الخاء أى هزأت (منهما وان كان ماوصفاه من كرم الله تعالى وقدرته صدقا) أى غير كذب (وحقا) أى صحيحا ثابتا فى نفس الامر وذلك لان الله تعالى أجرى لكل شئ يحتاج اليـه الشخص سببا وطريقا يوصل لمراده ولولا ذلك لما قال الله تعالى لسيدتنا مريم وهزى اليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فان الله تعالى قادر أن يسـقط رطبا على سيدتنا مريم من غير تحريك الجذع من مريم الا أن الله تعالى أجرى كل شئ على طريقة ولذا قال بعضهم من بحر الطويل

ألم تر أن الله قال لمـــــريم * وهزى اليك الجذع تساقط الرطب
ولو شاء أجنى الجذع من غير هزها * ولكن هز الجـذع كان هو السبب

(فكذلك يضحك عليك أرباب البصائر) أى أصحاب المعارف (فى الدين اذا طلبت المغفرة) من الله تعالى (بغير سعى) أى كسب (لها) أى المغفرة وذلك خطأ وضلال (والله تعالى يقول) فى سورة النجم (وأن ليس للانسان

الا

الاماسعى) أى ماعمل (ويقول انما تجزون ما كنتم تعملون ويقول ان الابرار) أى المؤمنين الصادقين فى ايمانهم بأداء فرائض الله تعالى واجتناب معاصيه (لفى نعيم) أى محيط بهم أبد الآبدين (وان الفجار) أى الذين من شأنهم الخروج عن رضا الله تعالى الى سخطه (لفى جحيم) أى نار محرقة تتوقد غاية التوقد (فاذا لم تترك السعى فى طلب العلم والمال اعتمادا على كرمه) سبحانه وتعالى (فكذلك لا تترك التزود للآخرة) من أعمال الصالحات (ولا تفتر) بضم التاء بعد الفاء أى لا تلن فى العمل بعد شدتك وفى بعض النسخ ولا تفتر اى لا تغفل عن العمل (فان رب الدنيا والآخرة واحد وهو) أى الرب (فيهما كريم رحيم وليس يزيده كرم بطاعتك) وفى نسخة بتمنيك (وانما كرمه) سبحانه وتعالى (فى أن ييسر لك طريق الوصول الى الملك المقيم والنعيم الدائم المخلد بالصبر على ترك الشهوات أياما قلائل) أى مدة حياتك فى الدنيا (وهذا) أى التيسير (نهاية الكرم فلا تحدث نفسك) أى قلبك (بتهويسات البطالين) أى باعتمادات من لا عمل لهم (واقتد) فى اكثار العبادات (بأولى العزم) أى الصريمة فى الامر (والنهى) أى العقول وهو بضم النون وفتح الهاء جمع نهية وسمى العقل بها (من الانبياء والصالحين ولا تطمع فى أن تحصد مالم تزرع) فان ذلك أمنية وليس برجاء قال تعالى وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين (وليت من صلى وصام وجاهد واتقى) الله تعالى بترك المعاصى (غفر له) قال الله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا أى فمن كان يخاف المصير اليه تعالى أو من كان يأمل رؤية ربه فليعمل عملا يرتضيه الله تعالى ولو قليلا (فهذه) أى المذكورات فى القسم الثانى (جمل مما ينبغى أن تحفظ عنه جوارحك الظاهرة) أى السبعة المتقدمة وغيرها (واعمال هذه الجوارح انما تترشح) أى تنشأ (من صفات القلب فاذا أردت حفظ الجوارح) أى الظاهرة (فعليك بتطهير القلب فهو التقوى الباطن) قال أحمد بن خضرويه القلوب أوعية فاذا امتلأت من الحق ظهرت زيادة أنوارها على الجوارح واذا امتلأت من الباطل ظهرت زيادة ظلمتها على الجوارح (والقلب هو المضغة) أى قطعة لحم قدر ما يمضغ فى الفم لكنها وان صغرت فى الصورة عظمت فى الرتبة (التى اذا صلحت) أى بالايمان والعلم والعرفان وهو بفتح اللام وضمها والفتح أفصح وأشهر (صلح بها) أى بالمضغة (سائر الجسد) بالاعمال والاخلاص والاحوال (واذا فسدت) أى بالجحود والكفران وهو بفتح السين وضمها والفتح أفصح وأشهر (فسد بها سائر الجسد) بالفجور والعصيان ومن ثم قيل ان القلب كالملك والجسد والاعضاء كالرعية ولاشك أن الرعية تصلح بصلاح الملك وتفسد بفساده وأيضا هو كالارض وحركات الجسد كالنبات والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا وأيضا هو كالعين والجسد كالزرع ان عذب ماء العين عذب الزرع وان ملح ملح ولما سأل عمر بن عبد العزيز رجلا من رعيته كيف حال أمركم فقال له يا أمير المؤمنين اذا طابت العين عذبت الانهار واذا كان الامر كذلك (فاشتغل باصلاحه) أى القلب (لتصلح به جوارحك) أى الظاهرة (وصلاحه يكون بملازمة المراقبة) وهى استحضار القلب مع الله تعالى وانصراف الهمم اليه وقال بعضهم صلاح القلب فى خمسة أشياء كثرة الجوع وقراءة القرآن بتدبر المعنى والتضرع بالبكاء عند السحر والصلاة فى الليل ومجالسة الصالحين ونظمها بعضهم من بحر البسيط فقال

دواء قلبك خمس عند قسوته * فدم عليها تفز بالخير والظفر
خلاء بطن وقرآن تدبره * كذا تضرع باك ساعة السحر
كذا قيامك جنح الليل أوسطه * وأن تجالس أهل الخير والخبر

وزاد بعضهم أشياء أخر ونظمها من البسيط بقولى

أكل الحلال وصمت عزلة وكذا * ترك لخوض بما للناس من سير

القول فى معاصى القلب

الخصال المذكورة تحت هذه الترجمة داخلة تحت القسم الثانى الذى هو اجتناب المعاصى لانها ظاهرة وباطنة

الاماسعى ويقول انما تجزون ما كنتم تعملون ويقول ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم فاذا لم تترك السعى فى طلب العلم والمال اعتمادا على كرمه فكذلك لا تترك التزود للآخرة ولا تفتر فان رب الدنيا والآخرة واحد وهو فيهما كريم رحيم وليس يزيده كرم بطاعتك وانما كرمه فى أن ييسر لك طريق الوصول الى الملك المقيم والنعيم الدائم المخلد بالصبر على ترك الشهوات أياما قلائل وهذا نهاية الكرم فلا تحدث نفسك بتهويسات البطالين واقتد بأولى العزم والنهى من الانبياء والصالحين ولا تطمع فى أن تحصد مالم تزرع وليت من صام وصلى وجاهد واتقى غفر له فهذه جمل مما ينبغى أن تحفظ عنه جوارحك الظاهرة وأعمال هذه الجوارح انما تترشح من صفات القلب فان أردت حفظ الجوارح فعليك تطهير القلب فهو التقوى الباطن والقلب هو المضغة التى اذا صلحت صلح بها سائر الجسد واذا فسدت فسد بها سائر الجسد فاشتغل باصلاحه لتصلح به جوارحك وصلاحه يكون بملازمة المراقبة

القول فى معاصى القلب

فالمذكورة هنا الباطنة (اعلم أن الصفات المذمومة في القلب كثيرة) لان الانسان اجتمع عليه أربعة أنواع
من الاوصاف وهي السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية وكل ذلك مجموع في القلب فيجتمع في الانسان
خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة والكلب هو الغضب والشيطان لا يزال يهيج
شهوة الخنزير وغيظ السبع والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان فطاعة خنزير
الشهوة يصدر منها صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمجانة والعبث
والحرص والجشع والملق والحسد والحقد والشماتة وغيرها وطاعة كلب الغضب يتتشر منها
الى القلب صفة التهور والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزاء
والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيرها وطاعة الشيطان بطاعة الشهوة
والغضب يحصل منها صفة المكر والخداع والحيلة والدهاء والجراءة والتلبيس والتضريب
والغش والخب والخنا وأمثالها ولو قهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية لاستقر في القلب من
الصفات الربانية العلم والحكمة واليقين والاحاطة بحقائق الاشياء ومعرفة الامور على ما هي عليه (وطريق
تطهير القلب من رذائلها) أي خسائسها أي الصفات المذمومة (طويلة وسبيل العلاج) أي المداوة
(فيها) أي تلك الصفة (غامض) أي صعب (وقد اندرس) أي انمحى (بالكلية علمه) أي العلاج (وعمله لغفلة
الخلق عن أنفسهم واشتغالهم بزخارف الدنيا) أي بزينتها وهذا من عطف السبب على المسبب (وقد
استقصينا ذلك) أي المذكور (كله) من الصفات المذمومة وطريق تطهير القلب منها أي ذكرنا ذلك حتى
بلغ أبعده (في كتاب احياء علوم الدين في ربع المهلكات وربع المنجيات) فالمهلكات هي في الربع الثالث
والمنجيات هي في الربع الرابع (ولكنا نحذرك) أي نخوفك (الآن ثلاثا من خبائث القلب وهي الغالبة على
متفقهة العصر) أي هذا الزمن (لتأخذ منها حذرك) أي لتبعد عنها بتيقظك (فانها) أي الثلاث (مهلكات
في أنفسها وهي) أي الثلاث (أمهات) أي أصول (لجملة من الخبائث سواها وهي) أي الثلاث (الحسد
والرياء والعجب فاجتهد في تطهير قلبك منها) أي من هذه الثلاث (فان قدرت عليها) أي على تطهيرها (فتعلم
كيفية الحذر) أي الاحتراز (من بقيتها) أي الخبائث (من ربع المهلكات) أي الذي هو الربع الثالث
(فان عجزت عن هذا) أي تطهير القلب من هذه الثلاث (فأنت عن غيره) أي عن غير هذا من تطهير القلب
عن جميع الخبائث (أعجز) أي أشد عجزا (ولا تظنن أنك تسلم) أي من الاثم (بنية صالحة في تعلم العلم وفي قلبك
شئ من الحسد والرياء والعجب وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلاث) أي من الخصال منجيات خشية الله تعالى
في السر والعلانية والعدل في الرضا والغضب والقصد في الفقر والغنى وثلاث (مهلكات شح مطاع) أي بخل
يطيعه الانسان فلا يؤدي ما عليه من حق الحق وحق الخلق (وهوى) بالقصر (متبع) أي بأن يتبع ما يأمره
به هواه (واعجاب المرء بنفسه) أي تحسينه فعل نفسه على غيره وان كان قبيحا وهو فتنة العلماء فأعظم بها من
فتنة وقال أيضا ثلاث مهلكات وثلاث منجيات وثلاث كفارات وثلاث درجات فأما المهلكات فشح
مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وأما المنجيات فالعدل في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى
وخشية الله في السر والعلانية وأما الكفارات فانتظار الصلاة بعد الصلاة واسباغ الوضوء في السبرات أي
شدة البرد ونقل الاقدام الى الجماعات وأما الدرجات فاطعام الطعام وافشاء السلام والصلاة بالليل والناس
نيام وقال أيضا ثلاث لم تسلم منها هذه الامة الحسد والظن والطيرة ألا أنبئكم بالمخرج منها قالوا أنبئنا قال اذا
ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ واذا تطيرت فامض أي متوكلا على الله (أما الحسد فهو متشعب) أي
متفرع (من الشح) والحقد والغضب (فان البخيل هو الذي يبخل بما في يده) من مال واجب بالشرع
وبالمروءة (على غيره) وكان ذلك الغير محتاجا (والشحيح هو الذي يبخل بنعمة الله تعالى وهي في خزائن قدرته
تعالى لا في خزائنه على عباد الله تعالى فشحه أعظم) أي من البخل لان الشح هو أن يمنع أحدا عن اعطاء
شخص كما يمنع نفسه عن الاعطاء (والحسود هو الذي يشق عليه) أي على نفسه (انعام الله تعالى من

اعلم أن الصفات المذمومة
في القلب كثيرة وطريق
تطهير القلب من رذائلها
طويلة وسبيل العلاج فيها
غامض وقد اندرس بالكلية
علمه وعمله لغفلة الخلق
عن أنفسهم واشتغالهم
بزخارف الدنيا وقد
استقصينا ذلك كله في كتاب
احياء علوم الدين في ربع
المهلكات وربع المنجيات
ولكنا نحذرك الآن ثلاثا
من خبائث القلب وهي
الغالبة على متفقهة العصر
لتأخذ منها حذرك فانها
مهلكات في أنفسها وهي
أمهات لجملة من الخبائث
سواها وهي الحسد والرياء
والعجب فاجتهد في تطهير
قلبك منها فان قدرت عليها
فتعلم كيفية الحذر من
بقيتها من ربع المهلكات
فان عجزت عن هذا فأنت
عن غيره أعجز ولا تظنن انك
تسلم بنية صالحة في تعلم العلم
وفي قلبك شئ من الحسد
والرياء والعجب وقد قال
صلى الله عليه وسلم ثلاث
مهلكات شح مطاع وهوى
متبع واعجاب المرء بنفسه
أما الحسد فهو متشعب من
الشح فان البخيل هو الذي
يبخل بما في يده على غيره
والشحيح هو الذي يبخل
بنعمة الله تعالى وهي في خزائن
قدرته تعالى لا في خزائنه
على عباد الله تعالى فشحه
أعظم والحسود هو الذي
يشق عليه انعام الله تعالى من

خزائن قدرته على عبد من عباده بعلم أو مال أو محبة فى قلوب الناس أو حظ من الحظوظ حتى انه ليحب زوالها عنه وان لم يحصل بذلك
شئ من تلك النعمة فهذا
منتهى الخبث فلذلك قال
النبى صلى الله عليه وسلم
الحسد يأكل الحسنات كما
تأكل النار الحطب
والحسود هو المعذب الذى
لا يرحم ولا يزال فى عذاب
دائم فى الدنيا فان الدنيا
لا تخلو قط من خلق كثير من
أقرانه ومعارفه ممن أنعم الله
عليهم بعلم أو مال أو جاه فلا
يزال فى عذاب دائم فى الدنيا
الى موته والعذاب الآخرة
أشد وأكبر بل لا يصل
العبد الى حقيقة الايمان
ما لم يحب لسائر المسلمين
ما يحب لنفسه بل ينبغى أن
يساهم المسلمين فى السراء
والضراء فالمسلمون كالبنيان
الواحد يشد بعضه بعضا
وكالجسد الواحد اذا
اشتكى منه عضو اشتكى
سائر الجسد فان كنت
لا تصادف هذا من قلبك
فاشتغالك بطلب التخلص
عن الهلاك أهم من
اشتغالك بنوادر الفروع
وعلم الخصومات وأما الرياء
فهو الشرك الخفى وهو أحد
الشركين وذلك طلبك المنزلة
فى قلوب الخلق لتنال بها
الجاه والحشمة وحب الجاه
من الهوى المتبع وفيه هلك
أكثر الناس فما أهلك
الناس الا الناس ولو أنصف
الناس حقيقة لعلموا
ان أكثر ما هم فيه من العلوم والعبادات فضلا عن اعمال العادات ليس يحملهم عليها الا مراآة الناس وهى محبطة للاعمال كما ورد فى الخبر
ان الشهيد يؤمر به يوم القيامة الى النار فيقول يا رب استشهدت

خزائن قدرته على عبد من عباده بعلم أو مال أو محبة فى قلوب الناس) كـكثرة الاتباع (وحظ من الحظوظ)
كحصول المنصب ككونه واليا أو قاضيا أو مفتيا (حتى انه) أى الحسود (ليحب زوالها) أى تلك النعمة (عنه)
أى ذلك العبد (وان لم يحصل له) أى للحسود (بذلك) أى الحب والتمنى (شئ من تلك النعمة) أى لم ينتقل اليه
شئ من المحبوب زواله والمتمنى حصوله (فهذا) أى حب زوال النعمة عن العبد (منتهى الخبث) أى غاية القبح
وهذا أحد مراتب الحسد والمرتبة الثانية أن يحب زوال النعمة اليه لرغبته فى تلك النعمة مثل رغبته فى دار
حسنة أو امرأة جميلة أو ولاية نافذة أو سعة من الرزق نالها غيره وهو يحب أن تكون له ومطلوبه تلك النعمة
لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة لا تنعم غيره بها والمرتبة الثالثة أن لا يشتهى عين تلك النعمة لنفسه بل
يشتهى مثلها فان عجز عن مثلها أحب زوالها عن المنعم عليه كى لا يظهر التفاوت بينه وبين غيره فالشق الاول
غير مذموم وهو المسمى غبطة ومنافسة والشق الثانى مذموم والمرتبة الرابعة أن يشتهى لنفسه مثل تلك النعمة
فان لم تحصل فلا يحب زوالها عن المنعم عليه وهذا الاخير هو المعفو عنه ان كان فى الدنيا والمندوب اليه ان كان
فى الدين (فلذلك) أى لاجل كون الحسد غاية الخبث (قال النبى صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات
كما تأكل النار الحطب) رواه ابن ماجه أى لما فيه من نسبة الرب الى الجهل والسفه ووضع الشئ فى غير محله
(والحسود هو المعذب) أى فى قلبه (الذى لا يرحم ولا يزال) أى الحسود (فى عذاب دائم فى الدنيا) والحسد
يهيج خمسة أشياء أحدها افساد الطاعات والثانى فعل المعاصى والشرور والثالث التعب والهم من غير
فائدة والرابع عمى القلب حتى لا يكاد يفهم حكما من أحكام الله تعالى والخامس الحرمان ولا يكاد يظفر بمراده
(فان الدنيا) أى دارها (لا تخلو قط من خلق كثير من أقرانه ومعارفه ممن أنعم الله عليهم بعلم أو مال أو جاه) أى
قدر (فلا يزال) أى الحسود (فى عذاب دائم فى الدنيا) وهو حصول الغم والهيام فى العقل والوزر (الى موته
والعذاب الآخرة أشد وأكبر) من العذاب الحاصل فى الدنيا (بل لا يصل العبد الى حقيقة) كمال (الايمان
ما لم يحب لسائر المسلمين ما يحب لنفسه) من الطاعات والمباحات الدنيوية وسواء كان ذلك فى الامور الحسية
كالغنى أو المعنوية كالعلم (بل ينبغى أن يساهم) أى يشارك (المسلمين فى السراء والضراء) أى فى حال
الخصب والجدب (فالمسلمون كالبنيان الواحد يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو اشتكى
سائر الجسد) كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له
سائر الجسد بالحمى والسهر قال ابن بطال وغيره المحبة على ثلاثة أقسام محبة اجلال وتعظيم كمحبة الوالد ومحبة
شفقة ورحمة كمحبة الولد ومحبة مشاكلة واستحسان كمحبة سائر الناس (فان كنت لا تصادف) أى لا تجد
(هذا) أى الحب (من قلبك فاشتغالك بطلب التخلص عن الهلاك أهم) أى أحق بالاعتناء (من اشتغالك
بنوادر الفروع) وهى الزائدة من الفرائض (وعلم الخصومات) أى علم ما يقطعها (وأما الرياء فهو الشرك
الخفى) قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء (وهو أحد الشركين)
أى الخفى والجلى (وذلك) أى أصل الرياء (طلبك المنزلة فى قلوب الخلق) باراءتهم خصال الخير (لتنال بها) أى
المنزلة (الجاه) أى القدر (والحشمة) أى الاستحياء أى لتكون معظما بينهم (وحب الجاه من الهوى المتبع
وفيه) أى بسبب حب الرياسة (هلك أكثر الناس فما أهلك الناس الا الناس) أى بسبب طلبهم القدر من
الناس (ولو أنصف) أى عدل (الناس حقيقة لعلموا أن أكثر ما هم فيه من العلوم والعبادات فضلا عن أعمال
العادات ليس يحملهم) أى يبعثهم (عليها) أى العلوم والعبادات وأعمال العادات (الا مراآة الناس وهى)
أى المراآة (محبطة للاعمال) أى لثوابها كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المرائى ينادى يوم
القيامة بأربعة أسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل سعيك وبطل أجرك فلا خلاق لك اليوم التمس الاجر
ممن كنت تعمل له (كما ورد فى الخبر ان الشهيد يؤمر به يوم القيامة الى النار فيقول يا رب استشهدت) بالبناء

للمفعول أي قتلت شهيدا (في سبيلك) أي لاعلاء دينك (فيقول الله تعالى) كذبت (بل أردت أن يقال انك) وفي بعض النسخ فلان (شجاع وقد قيل ذلك) لك (وذلك) أي المقول لك (أجرك وكذلك يقال للعالم والحاج والقارئ) كما روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول من يدعى يوم القيامة رجل قد جمع القرآن ورجل قد قاتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله تعالى للقارئ ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي فيقول بلى يارب فيقول ماذا عملت فيما علمت فيقول يارب قمت به آناء الليل وأطراف النهار فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت فيقول الله سبحانه بل أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج الى أحد فيقول بلى يارب فيقول فما عملت فيما آتيتك فيقول كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت فيقول الله سبحانه بل أردت أن يقال انك جواد فقد قيل ذلك ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله ما فعلت فيقول أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان جرىء وشجاع فقد قيل ذلك. واعلم أن المرا آة كثير يجمعه خمسة أقسام الاول الرياء في الدين بالبدن كاظهار النحول والصفار وتشعيث الشعر ليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفار على سهر الليل وعظيم الحزن على الدين وبالتشعث على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر والثاني الرياء بالهيئة والزي كاطراق الرأس في المشي والهدء في الحركة وابقاء أثر السجود على الوجه وغلظ الثياب وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا ولبس المرقعة والثالث الرياء بالقول كالنطق بالحكمة وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس للمعاصي وتضعيف الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القرآن ليدل بذلك على الخوف والحزن والرابع الرياء بالعمل كمرا آة المصلي بطول القيام والسجود والركوع وترك الالتفات واظهار السكون وتسوية القدمين واليدين وكذلك في الصوم والحج والصدقة واطعام الطعام والخامس المرا آة بالاصحاب والزائرين والمخالطين كالذي يتكلف أن يستزير عالما أو عابدا أو ملكا أو عاملا من عمال السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكالذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى أنه لقي شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيتباهى بشيوخه (وأما العجب والكبر والفخر) أي التعاظم (فهو الداء العضال) بضم العين أي الشديد الذي أعيا الاطباء والعجب هو استعظام العمل الصالح والكبر ينقسم الى باطن وظاهر فالباطن هو خلق في النفس وهو الاسترواح الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه والظاهر هو أعمال تصدر من الجوارح واذا ظهر خلق الكبر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر والكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وأما العجب فلا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور أن يكون معجبا ولا يتصور أن يكون متكبرا الا أن يكون مع غيره (وهو) أي الكبر (نظر العبد الى نفسه بعين العز والاستعظام والى غيره بعين الاحتقار والذل) ولذلك يسمى الكبر أيضا عزة وتعظما أما لو استعظم نفسه ولكنه يرى غيره أعظم من نفسه أو مثل نفسه فلا يكون متكبرا عليه ولو استحقر غيره ومع ذلك رأى أن نفسه أحقر لم يتكبر ولو رأى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل المتكبر أن يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره (ونتيجته) أي الكبر (على اللسان أن يقول أنا وأنا كما قال ابليس اللعين أنا خير منه) أي آدم (خلقتني من نار وخلقته) أي آدم (من طين) ومن قال أنا وقع في العناء (وثمرته) أي الكبر (في المجالس الترفع والتقدم) على عباد الله تعالى (وطلب التصدر) أي الارتفاع (فيها) أي المجالس (وفي المحاورة) أي المجاوبة (والاستنكاف) أي الامتناع (من أن يرد كلامه عليه والمتكبر هو الذي ان وعظ) بالبناء للمفعول أي أمر بالطاعة (أنف) بكسر النون أي استنكف من القبول (وان وعظ) بالبناء للفاعل (عنف) بفتح النون أي في النصح وان رد عليه بشيء من قوله غضب وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كأنه

في سبيلك فيقول الله تعالى بل أردت أن يقال انك شجاع وقد قيل ذلك وذلك أجرك وكذلك يقال للعالم والحاج والقارئ وأما العجب والكبر والفخر فهو الداء العضال وهو نظر العبد الى نفسه بعين العز والاستعظام والى غيره بعين الاحتقار والذل ونتيجته على اللسان أن يقول أنا وأنا كما قال ابليس اللعين أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وثمرته في المجالس الترفع والتقدم وطلب التصدر فيها وفي المحاورة والاستنكاف من أن يرد كلامه عليه والمتكبر هو الذي ان وعظ أنف أو وعظ عنف

فكل من رأى نفسه خيرا من أحد من خلق الله تعالى فهو متكبر بل ينبغى لك أن تعلم ان الخير من هو خير عند الله فى دار الآخرة وذلك غيب وهو موقوف على الخاتمة فاعتقادك فى نفسك أنك خير من غيرك جهل محض بل ينبغى أن لا تنظر الى أحد الا وترى أنه خير منك وان الفضل له على نفسك فان رأيت صغيرا قلت هذا لم يعص الله وأنا عصيته فلا شك أنه خير منى وان رأيت كبيرا قلت هذا قد عبد الله قبلى فلا شك أنه خير منى وان كان عالما قلت هذا قد أعطى مالم أعط وبلغ مالم أبلغ وعلم ماجهلت فكيف أكون مثله وان كان جاهلا قلت هذا قد عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم فحجة الله على آكد وما أدرى بم يختم لى وبم يختم له وان كان كافرا قلت لا أدرى عسى أن يسلم ويختم له بخير العمل وينسل باسلامه من الذنوب كما تنسل الشعرة من العجين وأما أنا والعياذ بالله فعسى أن يضلنى الله فأكفر فيختم لى بشر العمل فيكون غدا هو من المقربين وأنا أكون من المبعدين فلا يخرج الكبر من قلبك الا بأن تعرف أن الكبير من هو كبير عند الله تعالى وذلك موقوف على الخاتمة وهى مشكوك فيها فيشغلك خوف الخاتمة عن أن تتكبر مع الشك فيها على عباد الله تعالى فيقينك وايمانك فى الحال لا يناقض تجويزك التغير فى الاستقبال فان الله مقلب القلوب يهدى من يشاء ويضل من يشاء

ينظر الى الجيرا ستجهالا لهم واستحقارا (فكل من رأى) أى ظن (نفسه خيرا من أحد من خلق الله فهو متكبر بل ينبغى) أى يجب (لك أن تعلم أن الخير من هو خير عند الله فى دار الآخرة وذلك غيب) عن الخلق (وهو موقوف على الخاتمة) أى خاتمة الامر حالة الموت وهو وقت السعادة (فاعتقادك فى نفسك انك خير من غيرك جهل محض بل ينبغى) أى يندب (أن لا تنظر الى أحد الا وترى أنه خير منك وأن الفضل له على نفسك) فسبيلك فى اكتساب التواضع أن تتواضع للاقران وان دونهم حتى يخف عليك التواضع فى محاسن العادات ليزول به الكبر عنك فان خف عليك ذلك فقد حصل لك خلق التواضع وان كان يثقل عليك ذلك وأنت تفعل ذلك فأنت متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنك الفعل بسهولة من غير ثقل واعلم أن الخلق له طرفان وواسطة فطرفه الذى يميل الى الزيادة يسمى تكبرا وطرفه الذى يميل الى النقصان يسمى تخاسؤا ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود أن يتواضع فى غير مذلة ومن غير تخاسؤ فان * كلا طرفى قصد الامور ذميم *
وأحب الامور الى الله تعالى أوساطها فمن يتقدم على أمثاله فهو متكبر ومن يتأخر عنهم فهو متواضع أى وضع شيأ من قدره الذى يستحقه والعالم اذا دخل عليه سوقى مثلا فتنحى له عن مجلسه وأجلسه فيه فقد تخاسأ وتذلل وهو غير محمود بل المحمود عند الله العدل وهو أن يعطى كل ذى حق حقه فينبغى أن يتواضع بمثل هذا لاقرانه ومن يقرب من درجته فأما تواضعه للسوقى فبالقيام والبشر فى الكلام والرفق فى السؤال واجابة دعوته والسعى فى حاجته وأمثال ذلك وأن لا يرى نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه أخوف منه على غيره فلا يحتقره (فان رأيت صغيرا قلت) فى قلبك (هذا) أى الصغير (لم يعص الله تعالى وأنا عصيته فلا شك أنه خير منى وان رأيت كبيرا) أى شخصا أكبر منك فى السن وهو متعبد (قلت هذا قد عبد الله تعالى قبلى فلا شك أنه خير منى) لان العبادة المتوالية تتضاعف فان الصلاة الاولى مثلا لها أجر واحد والثانية لها أجران والثالثة لها ثلاثة أجور وهكذا أفاده بعضهم (وان كان) أى الشخص الكبير (عالما قلت هذا قد أعطى مالم أعط) من العلم (وبلغ مالم أبلغ) من الرتبة العالية (وعلم ماجهلت) من الاحكام (فكيف أكون مثله) فى الدرجة وأفاد بعضهم أن من انتسب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من أولاد سيدنا الحسن أو الحسين وهو غير عالم يفوق على غيره ممن يساويه فى الرتبة بستين درجة وأن العالم الذى لم ينتسب اليه صلى الله عليه وسلم يفوق على غير العالم ممن انتسب اليه صلى الله عليه وسلم بستين درجة (وان كان) أى الشخص الكبير فى السن (جاهلا) وعاصيا (قلت) فى قلبك (هذا قد عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم فحجة الله على آكد) أى أشد وأقوى (وما أدرى بم يختم لى وبم يختم له) أى الجاهل من السعادة أو من الشقاوة (وان كان) أى الشخص الكبير فى السن (كافرا قلت) فى نفسك (لا أدرى) ما يفعل به فى المستقبل (عسى أن يسلم) أى الكافر غدا (ويختم له) أى الكافر (بخير العمل وينسل) أى يخرج (باسلامه من الذنوب كما تنسل الشعرة من العجين وأنا والعياذ بالله فعسى أن يضلنى الله تعالى) عن دين الاسلام (فأكفر فيختم لى بشر العمل فيكون هو) أى الكافر (غدا) أى فى الآخرة عند الله خيرا منى ويكون (من المقربين) قربا معنويا فيكون فى أعلى الدرجات (وأكون) أنا (من المبعدين) من رحمة الله تعالى وفى نسخة من المعذبين (فلا يخرج الكبر من قلبك الا بأن تعرف أن الكبير من هو كبير عند الله تعالى وذلك) أى هذا العرفان (موقوف على الخاتمة) الحسنى (وهى مشكوك فيها) عندك (فيشغلك خوف الخاتمة) السوء (عن أن تتكبر مع الشك فيها على عباد الله تعالى) والجار والمجرور الاول متعلق بيشغلك والثانى متعلق بتتكبر والظرف متعلق بمحذوف حال من خوف الخاتمة أى مصحوبا بالشك فيها (فيقينك) فى نفسك وفى غيرك بالخير أو الشر (وايمانك فى الحال لا يناقض تجويزك التغير فى الاستقبال) أى فى آخر العمر (فان الله تعالى مقلب القلوب يهدى من يشاء) فيختم له بخاتمة السعادة (ويضل من يشاء) فيختم له بخاتمة الشقاوة قال بعضهم فى شرح وصية الشيخ الكامل ابراهيم المتبولى وكمال مقام التواضع لا يحصل الا بشهود العبد فى نفسه أنه دون كل أحد من المسلمين وأنه ليس على وجه الارض أحد أكثر عصيانا ولا أقل أدبا وحياء منه على سبيل اليقين لا على سبيل

الظن فان من رأى نفسه فوق أحد من العصاة على غير وجه الشكر لله تعالى فقد شرع فى درجات الكبر
وقد أجمع العارفون على أن من عنده شئ من الكبر لا يصح له المداومة على دخول حضرة الله تعالى أبدا ولو
عبد الله تعالى فى الظاهر عبادة الثقلين انتهى واعلم أن الانسان لا يستعظم نفسه الا وهو يعتقد أن لها
صفة من صفات الكمال دينية أو دنيوية فأسباب الكبر سبعة * الاول العلم قال صلى الله عليه وسلم آفة العلم
الخيلاء والعلم الحقيقى هو الذى يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر
العلم * والثانى العمل والعبادة فالعلماء والعباد فى آفة الكبر على ثلاث درجات الاولى أن يكون الكبر مستقرا
فى قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا أنه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قد
رسخ فى قلبه شجرة الكبر ولكنه قطع أغصانها بالكلية الثانية أن يظهر ذلك على أفعاله بالترفع فى المجالس
والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من يقصر فى حقه وأدنى ذلك فى العالم أن يصعر خده للناس كأنه
معرض عنهم وفى العابد أن يعبس وجهه كأنه متنزه عن الناس مستقذر لهم أو غضبان عليهم الثالثة أن
يظهر الكبر على لسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة وتزكية النفس كأن يقول العابد لغيره من هو
وما عمله ومن أين زهده ويقول انى لم أفطر منذ كذا وكذا ولا أنام الليل وكأن يقول العالم أنا متفنن فى العلوم
ومطلع على الحقائق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن أنت وما فضلك ومن لقيت وما الذى سمعت من
الحديث * والسبب الثالث النسب فالذى له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان أرفع
منه عملا وعلما * والرابع الجمال وذلك أكثر ما يجرى بين النساء ويدعو ذلك الى الغيبة وذكر عيوب
الناس * والخامس المال وذلك يجرى بين الملوك فى خزائنهم وبين التجار فى بضائعهم وبين الدهاقين فى
أراضيهم وبين المتجملين فى لباسهم وخيولهم ومراكبهم * والسادس القوة والتكبر بها على أهل الضعف
* والسابع الاتباع والتلامذة والاقارب ويجرى ذلك بين الملوك فى المكاثرة بالجنود وبين العلماء فى
المكاثرة بالمستفيدين فكل ما هو نعمة وأمكن أن يعتقد كمالا وان لم يكن فى نفسه كمالا أمكن أن يتكبر به
حتى ان الفاسق قد يفتخر بكثرة الفجور بالنسوان ويتكبر به لظنه أن ذلك كمال وان كان مخطئا فيه
(والاخبار فى الحسد والكبر والرياء والعجب كثيرة ويكفيك فيها) أى هذه الاربعة (حديث واحد جامع)
لتلك الاربعة (فقد روى) القاضى المروزى عبد الله (بن المبارك) رحمهما الله تعالى (باسناده) أى ابن المبارك
(عن رجل) وهو خالد بن معدان (أنه قال لمعاذ) بن جبل رضى الله عنه الذى قال فى حقه رسول الله صلى الله
عليه وسلم أعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل (يا معاذ حدثنى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه
وسلم) فحفظته وذكرته فى كل يوم من شدته ودقته (قال) أى ذلك الرجل (فبكى معاذ) بكاء طويلا (حتى
ظننت أنه لا يسكت ثم سكت ثم قال) أى معاذ تلهفا (واشوقاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى لقائه ثم
قال) أى معاذ (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم) يقول الحمد لله الذى يقضى فى خلقه ما يشاء وهو
راكب وقد أردفنى خلفه رافعا بصره الى السماء ثم (يقول لى يا معاذ انى محدثك بحديث) أى واحد جامع
(ان أنت حفظته نفعك عند الله) أى فى الدارين (وان أنت ضيعته) أى نسيته (ولم تحفظه انقطعت حجتك
عند الله تعالى يوم القيامة يا معاذ ان الله تبارك وتعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلق السموات والارض)
ثم خلق السموات (فجعل لكل سماء من السبع ملكا بوابا) خازنا (عليها) أى كل سماء فكان كل ملك على
قدر الباب وجلالته (فتصعد الحفظة بعمل العبد) الكائن (من حين يصبح الى حين يمسى (له) أى لذلك العمل
نور كنور الشمس حتى اذا صعدت) أى الحفظة (به) أى بذلك العمل (الى السماء الدنيا) أى القربى من
الارض وانتهى الى الباب وله مصراعان من ذهب ومغاليقها من نور ومفاتيحها اسم الله الاعظم (زكته)
أى مدحته (وكثرته) أى عدته كثيرا (فيقول الملك الموكل بها) أى بالسماء الدنيا (للحفظة اضربوا بهذا
العمل وجه صاحبه أنا) ملك (صاحب الغيبة أمرنى ربى أن لا أدع) أى أترك (عمل من اغتاب الناس
يجاوزنى الى غيرى) من بواب آخر (قال) صلى الله عليه وسلم (ثم تأتى الحفظة) من الغد (بعمل

والاخبار فى الحسد والكبر
والرياء والعجب كثيرة
ويكفيك فيها حديث واحد
جامع فقد روى ابن المبارك
باسناده عن رجل أنه قال
لمعاذ يا معاذ حدثنى حديثا
سمعته من رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال فبكى
معاذ حتى ظننت أنه لا يسكت
ثم سكت ثم قال واشوقاه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم
والى لقائه ثم قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لى يا معاذ انى
محدثك بحديث ان أنت
حفظته نفعك عند الله وان
أنت ضيعته ولم تحفظه
انقطعت حجتك عند الله
تعالى يوم القيامة يا معاذ ان
الله تبارك وتعالى خلق
سبعة أملاك قبل أن يخلق
السموات والارض فجعل
لكل سماء من السبع
ملكا بوابا عليها فتصعد
الحفظة بعمل العبد من حين
يصبح الى حين يمسى له نور
كنور الشمس حتى اذا
صعدت به الى السماء الدنيا
زكته وكثرته فيقول الملك
الموكل بها للحفظة اضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه
أنا صاحب الغيبة أمرنى ربى
أن لا أدع عمل من اغتاب
الناس يجاوزنى الى غيرى
قال ثم تأتى الحفظة بعمل

صالح من أعمال العبد له نور فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السماء الثانية فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه
صاحبه انه أراد بعمله عرض الدنيا أنا ملك الفخر أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال وتصعد
الحفظة بعمل العبد يبتهج نورا من صدقة وصلاة وصيام قد أعجب الحفظة فيجاوزون به الى السماء الثالثة فيقول لهم الملك

الموكل بها قفوا واضربوا
بهذا العمل وجه صاحبه
أنا ملك الكبر أمرني ربي
أن لا أدع عمله يجاوزني الى
غيري انه كان يتكبر على
الناس في مجالسهم قال
وتصعد الحفظة بعمل العبد
يزهو كما يزهو الكوكب
الدري وله دوي من تسبيح
وصلاة وصيام وحج وعمرة
حتى يجاوزون به الى
السماء الرابعة فيقول لهم
الملك الموكل بها قفوا
واضربوا بهذا العمل وجه
صاحبه وظهره وبطنه أنا
صاحب العجب أمرني ربي
أن لا أدع عمله يجاوزني الى
غيري انه كان اذا عمل عملا
أدخل العجب فيه قال
وتصعد الحفظة بعمل العبد
حتى يجاوزون به الى السماء
الخامسة كأنه العروس
المزفوفة الى بعلها فيقول
لهم الملك الموكل بها قفوا
واضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه واحملوه على
عاتقه أنا ملك الحسد انه
كان يحسد من يتعلم ويعمل
بمثل عمله وكل من كان يأخذ
فضلا من العبادة كان
يحسدهم ويقع فيهم أمرني
ربي أن لا أدع عمله يجاوزني
الى غيري قال وتصعد

الحفظة بعمل العبد له ضوء كضوء الشمس من صلاة وزكاة وحج وعمرة وجهاد وصيام فيجاوزون به الى السماء السادسة فيقول لهم الملك الموكل
بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله أصابه بلاء أو مرض بل كان يشمت به أنا ملك الرحمة
أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صوم وصلاة ونفقة وجهاد وورع له دوي

صالح) أي خال من اثم الغيبة (من أعمال العبد له نور فتزكيه وتكثره حتى) تجاوز السماء الاولى و(تبلغ به) أي بذلك العمل (الى السماء الثانية) واسمها الماعون وهي من حديد أو مرمرة بيضاء (فيقول لهم الملك الموكل بها) أي بالسماء الثانية واسمه روبائيل (قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه) أي صاحب هذا العمل (أراد بعمله عرض الدنيا) أي منفعتها (أنا ملك الفخر) أي أنا الملك الموكل باحترازا الفخر (أمرني ربي أن لا أدع عمله) أي هذا المفتخر (يجاوزني الى غيري) من بوّاب آخر (انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم) فتلعنه الملائكة حتى يمسي (قال) صلى الله عليه وسلم (وتصعد الحفظة بعمل العبد يبتهج) أي يضيء (نورا من صدقة وصلاة وصيام) وكثير من البر (قد أعجب) أي ذلك العمل (الحفظة فيجاوزون به) السماء الاولى والثانية وانتهوا به (الى السماء الثالثة) وهي من نحاس وقيل من حديد ويقال لها هاروت وتسبيح أهلها سبحان الحي الذي لا يموت ومن قالها كان له مثل ثوابهم (فيقول لهم الملك الموكل بها) أي بالسماء الثالثة (قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا ملك الكبر) أي ملك صاحب الكبر (أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري) أي من بوّاب بعدي (انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال) صلى الله عليه وسلم (وتصعد الحفظة بعمل العبد يزهو) أي يضيء (كما يزهو الكوكب الدري) بضم الدال وكسرها أي المضيء (وله دوي) أي حفيف كحفيف النحل وحفيف جناح الطائر وحفيف الريح (من تسبيح وصلاة وصيام وحج وعمرة حتى يجاوزوا به) السماء الثالثة وانتهوا به (الى السماء الرابعة) وهي من نحاس وقيل من فضة ويقال لها الزاهر وتسبيح أهلها سبحان الملك القدوس من قالها كتب له مثل ثوابهم (فيقول لهم الملك الموكل بها) أي بالسماء الرابعة (قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه وظهره وبطنه أنا) ملك (صاحب العجب أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري) من بوّاب بعدي (انه كان اذا عمل عملا أدخل العجب فيه) أي في ذلك العمل (قال) صلى الله عليه وسلم (وتصعد الحفظة بعمل العبد) من جهاد وحج وعمرة له ضوء كضوء الشمس (حتى يجاوزوا به) من السماء الرابعة (الى السماء الخامسة) وهي من فضة وقيل من ذهب ويقال لها المسهرة وذلك العمل يزف (كأنه العروس المزفوفة الى بعلها) أي زوجها (فيقول لهم الملك الموكل بها) أي السماء الخامسة (قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه) وهو محل الرداء وهو ما بين المنكب والعنق (أنا ملك الحسد انه كان يحسد من يتعلم و يعمل بمثل عمله وكل من كان يأخذ) أي يفعل (فضلا من العبادة كان يحسدهم ويقع) أي يغتاب (فيهم) وفي منهاج العابدين فيقول الملك أنا ملك صاحب الحسد انه كان يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد سخط ما رضي الله (أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري) من بعد هذه السماء (قال) صلى الله عليه وسلم (وتصعد الحفظة بعمل العبد له ضوء كضوء الشمس من) وضوء تام و(صلاة) كثيرة (وزكاة وحج وعمرة وجهاد وصيام فيجاوزون به) أي بذلك العمل من السموات الخمسة (الى السماء السادسة) وهي من ذهب وقيل من جوهر ويقال لها الخالصة (فيقول لهم الملك الموكل بها) أي بالسماء السادسة واسمه طوطئيل (قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله أصابه بلاء أو مرض بل كان يشمت به) بفتح الميم أي يفرح بمصيبة نزلت بالانسان (أنا ملك الرحمة) أي أنا ملك صاحب الرحمة (أمرني ربي أن لا أدع عمله يجاوزني الى غيري) من خازن بعدي (قال) صلى الله عليه وسلم (وتصعد الحفظة بعمل العبد من صوم وصلاة ونفقة) أي كثيرة في سبيل الله (وجهاد) لاعلاء دين الله (وورع) أي نقاء من الحرام والشبهة (له) أي لذلك العمل (دوي) أي

كدوى النحل وضوء كضوء الشمس ومعه ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه واضربوا جوارحه واقفلوا (٨٠) به على قلبه فانى أحجب عن ربى كل عمل لم يرد به وجه ربى انه انما أراد بعمله غير الله تعالى انه أراد

به رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا فى المدائن أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى الى غيرى وكل عمل لم يكن لله تعالى خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائى قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر لله تعالى فتشيعه ملائكة السموات السبع حتى يقطعوا به الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى فيقول الله تعالى أنتم الحفظة على عمل عبدى وأنا الرقيب على ما فى قلبه انه لم يردنى بهذا العمل وانما أراد به غيرى فعليه لعنتى فتقول الملائكة كلها عليه لعنتك ولعنتنا فتلعنه السموات السبع ومن فيهن ثم بكى معاذ وانتحب انتحابا شديدا وقال معاذ قلت يارسول الله أنت رسول الله وأنا معاذ فكيف لى بالنجاة والخلاص من ذلك قال اقتدبى وان كان فى عملك نقص يامعاذ حافظ على لسانك من الوقيعة فى اخوانك من حملة القرآن خاصة واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك بذمهم

صوت خفى (كدوى النحل وضوء كضوء الشمس) وفى منهاج العابدين له صوت كصوت الرعد وضوء كضوء البرق (ومعه) أى ذلك العمل (ثلاثة آلاف ملك فيجاوزون به) من السموات الستة (الى السماء السابعة) وهى من ياقوتة حمراء ويقال لها اللاسية وتسبيح أهلها سبحان خالق النور ومن قالها كان له مثل ثوابهم (فيقول لهم الملك الموكل بها) أى تلك السماء السابعة (قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واضربوا جوارحه) أى أعضاءه التى يكتسب بها (واقفلوا) أى أغلقوا واضربوا (به) أى بذلك العمل (على قلبه أنا صاحب الذكر) أى السمعة والصيت فى الناس (فانى أحجب عن ربى كل عمل لم يرد) أى لم يقصد (به وجه ربى انه انما أراد بعمله غير الله تعالى انه أراد به) أى بذلك العمل (رفعة عند الفقهاء) وعند القرناء (وذكرا) فى المجالس (عند العلماء) وجاها عند الكبراء (وصيتا) بكسر الصاد أى ذكرا جميلا بين الناس منتشرا (فى المدائن) أى البلدان (أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى الى غيرى) من الحجب التى بعد هذا الباب (وكل عمل لم يكن لله تعالى خالصا فهو رياء ولا يقبل الله عمل المرائى قال) صلى الله عليه وسلم (وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلاة وزكاة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت) أى سكوت عما لا ينفع فى الدنيا والآخرة (وذكر لله تعالى) فى السر والجهر (فتشيعه) أى تتبعه (ملائكة السموات السبع حتى يقطعوا) أى يجاوزوا (به) أى بذلك العمل (الحجب كلها الى الله تعالى فيقفون بين يديه) جل جلاله (ويشهدون له) أى لذلك العبد (بالعمل الصالح المخلص لله تعالى) أى بحسب علمهم (فيقول الله تعالى) لهم (أنتم الحفظة على عمل عبدى وأنا الرقيب) أى الحافظ (على ما فى قلبه انه لم يردنى بهذا العمل وانما أراد به غيرى) ولا أخلصه لى وأنا أعلم بما أراد من عمله عليه لعنتى غر الآدميين وغركم ولم يغرنى وأنا علام الغيوب المطلع على ما فى القلوب لا تخفى على خافية ولا تعزب عنى عازبة علمى بما كان كعلمى بما يكون وعلمى بما مضى كعلمى بما بقى وعلمى بالأولين كعلمى بالآخرين أعلم السر وأخفى فكيف يغرنى عبدى بعمله انما يغر المخلوقين الذين لا يعلمون الغيب وأنا علام الغيوب (فعليه لعنتى فتقول الملائكة كلها) أى ملائكة السموات السبع المشيعون يا ربنا (عليه لعنتك ولعنتنا فتلعنه السموات السبع ومن فيهن ثم بكى معاذ) رحمه الله (وانتحب) أى رفع صوته بالبكاء (انتحابا شديدا وقال معاذ قلت يارسول الله أنت رسول الله) أى أنت معصوم من الذنوب (وأنا معاذ) بن جبل أى لست بمعصوم (فكيف لى بالنجاة والخلاص من ذلك) أى المذكور من الغيبة والفخر والكبر والعجب والحسد والسمعة والرياء (قال) صلى الله عليه وسلم يامعاذ (اقتدبى) أى فى اليقين (وان كان فى عملك نقص) أى قصور (يامعاذ حافظ على لسانك من الوقيعة) أى الغيبة (فى اخوانك من حملة القرآن خاصة) أى وفى الناس عامة (واحمل ذنوبك عليك) وفى نسخة على عاتقك (ولا تحملها) أى الذنوب (عليهم) أى الاخوان (ولا تزك نفسك) متلبسا (بذمهم) أى الاخوان (ولا ترفع نفسك عليهم) بوضعهم على سبيل التكبر (ولا تدخل عمل الدنيا) كطلب منفعتها (فى عمل الآخرة) من نحو طلب العلم (ولا ترائ بعملك) كى تعرف فى الناس بل أره ليقتدى بك ولا تدخل فى الدنيا دخولا ينسيك أمر الآخرة (ولا تتكبر فى مجلسك لكى يحذر الناس من سوء خلقك) وفى منهاج العابدين ولا تفحش فى مجلسك حتى يحذروك من سوء خلقك ولا تمن على الناس (ولا تناج رجلا) وفى نسخة خلا بكسر الخاء أى صديقا (وعندك آخر) أى رجل واحد فقط (ولا تتعظم على الناس فتنقطع عنك خيرات الدنيا والآخرة) من نحو المال والعلم لتجنبهم عنك ولعدم تواضعك (ولا تمزق الناس بلسانك) أى لا تغتب ولا تشتم (فتمزقك كلاب النار) أى جهنم (يوم القيامة فى النار قال الله تعالى والناشطات نشطا هل تدرى ماهن) أى الناشطات (يامعاذ قلت ماهى بأبى أنت وأمى) أى أنت مفدى بأبى وأمى فالباء للتفدية (يارسول الله قال) صلى الله عليه وسلم هن (كلاب فى النار تنشط اللحم) أى تنزعه

ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا فى عمل الآخرة ولا ترائ بعملك ولا تتكبر فى مجلسك لكى يحذر الناس من سوء خلقك (من
ولا تناج رجلا وعندك آخر ولا تتعظم على الناس فتنقطع عنك خيرات الدنيا والآخرة ولا تمزق الناس بلسانك فتمزقك كلاب النار يوم
القيامة فى النار قال الله تعالى والناشطات نشطا هل تدرى ماهن يامعاذ قلت ماهى بأبى أنت وأمى يارسول الله قال كلاب فى النار تنشط اللحم

من العظم قلت بأبى انت وأمى يارسول الله من يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال يامعاذ انه (٨١) ليسير على من يسره الله تعالى عليه انما

يكفيك من ذلك أن تحب للناس ماتحب لنفسك وتكره لهم ماتكره لنفسك فاذن أنت يامعاذ قد سلمت قال خالد بن معدان فما رأيت أحدا أكثر تلاوة للقرآن العظيم من معاذ لهذا الحديث العظيم فتأمل أيها الراغب فى العلم هذه الخصال واعلم ان أعظم الاسباب فى رسوخ هذه الخبائث فى القلب طلب العلم لاجل المباهاة والمنافسة فالعامى بمعزل عن أكثر هذه [illegible] والمتفقه مستهدف لها وهو متعرض للهلاك بسببها فانظر أى أمورك أهم أتتعلم كيفية الحذر من هذه المهلكات وتشتغل باصلاح قلبك وعمارة آخرتك أم الاهم أن تخوض مع الخائضين فتطلب من العلم ماهو سبب زيادة الكبر والرياء والحسد والعجب حتى تهلك مع الهالكين * واعلم أن هذه الخصال الثلاث من أمهات خبائث القلب ولها مغرس واحد وهو حب الدنيا ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة ومع هذا فالدنيا مزرعة للآخرة فمن أخذ من الدنيا بقدر الضرورة ليستعين بها على الآخرة فالدنيا مزرعته ومن أراد الدنيا ليتنعم بها فالدنيا مهلكته فهذه نبذة يسيرة من ظاهر علم التقوى وهى بداية الهداية فان جربت بها نفسك وطاوعتك عليها فعليك بكتاب احياء علوم الدين لتعرف كيفية الوصول الى باطن التقوى

(من العظم قلت بأبى أنت وأمى يارسول الله من يطيق هذه الخصال ومن ينجو منها قال) صلى الله عليه وسلم (يامعاذ انه) أى الذى وصفت لك (ليسير على من يسره الله تعالى عليه انما يكفيك من ذلك) أى المذكور (أن تحب للناس) من الامور الاخروية (ماتحب لنفسك وتكره لهم ماتكره لنفسك فاذن أنت يامعاذ قد سلمت) ونجوت (قال خالد بن معدان) رحمه الله (فما رأيت أحدا أكثر تلاوة للقرآن العظيم من معاذ لهذا الحديث العظيم) نبؤه الكبير خطره الاليم أثره الذى تطير له القلوب وتحير له العقول وتضيق عن حمله الصدور وتجزع لهوله النفوس (فتأمل أيها الراغب فى العلم لهذه الخصال) واعتصم بمولاك اله العالمين والزم الباب بالتضرع والابتهال والبكاء آناء الليل وأطراف النهار مع المتضرعين المبتهلين فانه لانجاة من هذا الامر الا برحمته ولاسلامة من هذا البحر الا بعنايته فجاهد نفسك فى هذه العقبة المخوفة لعلك لاتهلك مع الهالكين (واعلم أن أعظم الاسباب فى رسوخ) أى ثبوت (هذه الخبائث) أى التى هى الغيبة والفخر والكبر والعجب والحسد والسمعة والرياء (فى القلب طلب العلم لاجل المباهاة) أى المفاخرة (والمنافسة) بالسين المهملة أى الرغبة فى كون العلم لنفسه خاصة دون غيره لانه نفيس (فالعامى) أى الذى لم يتفقه (بمعزل) أى بعد (عن أكثر هذه الخصال والمتفقه مستهدف) أى منتصب (لها) أى هذه الخصال (وهو متعرض) أى مقبل (للهلاك بسببها) أى هذه الخصال (فانظر) أى تفكر (أى أمورك أهم أتتعلم كيفية الحذر من هذه المهلكات وتشتغل باصلاح قلبك وعمارة آخرتك أم الاهم أن تخوض) أى توجد الكلام الذى هو فى غير موقعه (مع الخائضين) أى مع المتكلمين بما لا ينفع (فتطلب من العلم ماهو سبب زيادة الكبر والرياء والحسد والعجب حتى تهلك مع الهالكين واعلم أن هذه الخصال الثلاثة من أمهات خبائث القلب) وعدّ المصنف الكبر والعجب خصلة واحدة لما بينهما من التلازم والتقارب ولذلك لم يذكر الكبر فى أول الباب (ولها) أى لهذه الثلاثة (مغرس) أى أصل (واحد وهو حب الدنيا ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة) فانه يوقع فى الشبهات ثم فى المكروهات ثم فى المحرمات وكما أن حبها رأس كل خطيئة فبغضها رأس كل حسنة روى هذا الحديث البيهقى عن الحسن البصرى مرسلا كذا فى الجامع الصغير وشرحه وقال الزرقانى وهذا من كلام مالك بن دينار كما رواه ابن أبى الدنيا أو من كلام عيسى عليه السلام كما رواه البيهقى فى الزهد وقال فى شعب الايمان هذا لا أصل له عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه من مراسيل الحسن البصرى (ومع هذا فالدنيا) أى دار الدنيا (مزرعة) لدار (الآخرة فمن أخذ من الدنيا) شيأ (بقدر الضرورة) أى الحاجة (ليستعين بها) أى بالدنيا وفى بعض النسخ به أى بالقدر المأخوذ (على الآخرة فالدنيا مزرعته ومن أراد الدنيا ليتنعم بها فالدنيا مهلكته) قال بعضهم طلب الكسب لازم وهو اربعة أنواع فرض وهو كسب أقل الكفاية لنفسه وعياله ودينه ومستحب وهو الزائد على ذلك ليواسى به فقيرا أو يصل به رحما وهو أفضل من نفل العبادة ومباح وهو كسب الزائد على ذلك للتنعم والتجمل وحرام وهو كسب ما أمكن للتكاثر والتفاخر أى ادّعاء العظم والشرف (فهذه) أى المذكورة من أول الكتاب (نبذة يسيرة) أى شئ قليل (من ظاهر علم التقوى وهى بداية الهداية فان جربت) أى اختبرت مرة بعد أخرى (بها) أى بهذه البداية (نفسك) أى الامارة وغيرها (وطاوعتك) أى انقادت لك (عليها) أى على أداء مقتضاها (فعليك) أى الزم وتمسك (بكتاب احياء علوم الدين لتعرف كيفية الوصول الى باطن التقوى) وأنقل منه الآن شيأ مما ينبغى أن يحضر فى القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة * وهو فاذا سمعت نداء المؤذن فاحضر فى قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك وباطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الاكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوأ بالاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى واذا أتيت بالطهارة فلا تغفل عن قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على مافرطت * وأما ستر العورة فاعلم

أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق فما بالك بعورات باطنك وفضائح سرائرك فأحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها ولا يكفرها الا الندم والحياء والخوف * وأما الاستقبال فهو صرف لظاهر وجهك عن سائر الجهات الى جهة بيت الله تعالى فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله تعالى الا بالتفرغ عما سواه * وأما الاعتدال قائما فهو مثول بالشخص والقلب بين يدى الله عز وجل فليكن رأسك مطرقا تنبيها على الزام القلب التواضع والتذلل والتبرى عن الترؤس والتكبر وليكن عن ذكرك ههنا خطر القيام بين يدى الله تعالى فى هول القيامة عند العرض للسؤال * وأما النية فاعزم على اجابة الله تعالى فى امتثال أمره بالصلاة واتمامها والكف عن مفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه * وأما التكبير فاذا نطق به لسانك فينبغى أن لا يكذبه قلبك فان كان فى قلبك شئ هو أكبر من الله فالله يشهد انك لكاذب * وأما دعاء الاستفتاح فأول كلماته قولك وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك انما وجهته الى جهة القبلة والله يتقدس عن أن تحده الجهات وانما وجه القلب هو الذى تتوجه به الى فاطر السموات والارض فانظر اليه أمتوجه الى همه فى البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل الى فاطر السموات * واذا قلت حنيفا مسلما فينبغى أن يخطر ببالك أن المسلم هو الذى سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا * واذا قلت وما أنا من المشركين فاخطر ببالك الشرك الخفى وكن حذرا من هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه * واذا قلت محياى ومماتى لله فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده * واذا قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم أنه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله تعالى حسدا لك على مناجاتك مع الله وسجودك له واعلم أن من مكايده أن يشغلك فى صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معانى قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها * واذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو بها التبرك لابتداء القراءة لكلام الله وافهم أن معناها أن الامور كلها بالله وأن المراد بالاسم هنا المسمى ومعنى الحمد لله أن الشكر لله اذ النعم من الله * واذا قلت الرحمن الرحيم فاحضر فى قلبك جميع أنواع لطفه لتتضح لك رحمته ثم استثر من قلبك التعظيم لله والخوف لهول يوم الحساب بقولك مالك يوم الدين ثم جدد الاخلاص بقولك اياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبرى من الحول والقوة بقولك واياك نستعين ثم اطلب أهم حاجتك وقل اهدنا الصراط المستقيم ثم التمس الاجابة وقل آمين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فتشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبى صلى الله عليه وسلم قسمت الصلاة أى قراءتها بينى وبين عبدى نصفين أى نصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدنى عبدى فاذا قال العبد الرحمن الرحيم قال الله تعالى أثنى على عبدى فاذا قال العبد مالك يوم الدين قال مجدنى عبدى فاذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل فاذا قال العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدى ولعبدى ما سأل وأما دوام القيام فانه تنبيه على اقامة القلب مع الله على نعت واحد من الحضور * وأما الركوع والسجود فينبغى أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله تعالى وترفع يديك مستجيرا بعفو الله تعالى من عقابه * وأما التشهد فاذا جلست له فاجلس متأدبا وأحضر فى قلبك النبى صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم ثم تأمل أن يرد الله عليك سلاما وافيا بعدد عباده الصالحين ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد نبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله تعالى باعادة كلمتى الشهادة ثم ادع فى آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع وصدق الرجاء بالاجابة وأشرك فى دعائك أبويك وسائر المؤمنين واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانو ختم الصلاة به واضمر فى قلبك شكر الله تعالى على توفيقه لاتمام هذه الطاعة وتوهم

أنك مودع لصلاتك هذه وانك ربما لاتعيش لمثلها وخف أن لاتقبل صلاتك وأن تكون ممقوتا بذلك ظاهرا
وباطنا فترد صلاتك فى وجهك وارج مع ذلك أن يقبلها الله تعالى بكرمه وفضله وكان بعضهم يمكث بعد
الصلاة ساعة كأنه مريض فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلاة فبالقدر الذى يسر له منه ينبغى أن يفرح
وعلى مايفوته ينبغى أن يتلهف وفى مداومة ذلك ينبغى أن يجتهد (فاذا عمرت) أى ملأت (بالتقوى باطن
قلبك) كما وصف لك (فعند ذلك ترتفع الحجب) أى الموانع للشهود (بينك وبين ربك) تعالى (وتنكشف لك
أنوار المعارف وتنفجر) أى تنبجس (من قلبك ينابيع الحكم) أى عيون العلوم النافعة (وتتضح لك أسرار
الملك والملكوت) الملك ماتشهده بعين بصرك والملكوت ماتدركه بعين بصيرتك (ويتيسر لك من) حصول
(العلوم) اللدنية من الاسرار والمكاشفات والمعارف من غير كسب وتعب والجار والمجرور بيان لما بعده
(ماتستحقر به هذه العلوم المحدثة) أى المؤلفات للعلماء (التى لم يكن لها) أى لهذه المحدثة (ذكر فى زمن الصحابة
رضى الله عنهم والتابعين) كالفقه والنحو واللغة وغيرها من المؤلفات * حكى أن الامام الغزالى صار اماما فى
مسجده وله أخ اسمه أحمد لم يقتد به فقال الامام لامه ياأمى مرى أخى أحمد بالاقتداء بى فى الصلاة لئلا
يتهمنى الناس على سوء فعلى فأمرته بذلك فاقتدى به فرأى أن فى بطن الامام دما ففارقه ثم لما فرغ من
الصلاة سأله الامام عن سبب مفارقته فى الصلاة فقال له أخوه انى رأيت بطنك مملوأ بالدم وقد كان الامام حالة
الصلاة يتذكر مسئلة المتحيرة فقال له الامام من أين أخذت العلم فقال أخذته من الشيخ العتقى بضم العين وفتح
التاء وهو الذى يخيط النعال القديمة ويصلحها فذهب الامام الى الشيخ الخرازى فقال له ياسيدى أريد أن
آخذ العلم منك فقال لعلك لاتطيق اطاعة أمرى فقال ان شاء الله تعالى أطيق ذلك فقال اكنس هذه الارض
فلما أراد الامام أن يكنسها بالمكنس أمره بكنسها باليد فكنسها بيده ثم رأى عذرة كثيرة جدا فى الارض
فقال ذلك الشيخ اكنس هذه العذرة فلما أراد الامام أن يفسخ ثيابه قال له الشيخ اكنسها مع ماأنت عليه
من اللباس فلما أراد أن يكنسها برضاء قلب نهاه الشيخ عن الكنس وأمره بالرجوع الى بيته فلما رجع الامام
وتعدى الى مدرسته وهو محل تعليم العلوم للطلبة فقال للناس فى هذا محل تلاعبنا مع الصبيان وقد أعطاه
الله تعالى العلوم اللدنية وصار حينئذ يرى أن جميع العلوم التى علمها الناس حقيرة بالنسبة لهذه العلوم التى
أفاضها الله تعالى على قلبه من غير كسب وتعب منه رضى الله عنه (وان كنت تطلب العلم من القيل
والقال) أى المخاصمة (والمراء والجدال فما أعظم مصيبتك) أى شدتك النازلة عليك (وما أطول تعبك وما
أعظم حرمانك) أى امتناعك من الخير (وخسرانك فاعمل ماشئت) من المنهيات ان لم تخف الهلاك (فان
الدنيا) أى متاعها (التى تطلبها بالدين لاتسلم) أى تلك الدنيا (لك والآخرة تسلب) أى تذهب (منك فمن
طلب الدنيا بالدين خسرهما) بتشديد السين أى أهلكهما (جميعا ومن ترك الدنيا للدين ربحهما جميعا) أى
استشف فيهما فان الدنيا عدوة لله وعدوة لاوليائه وعدوة لاعدائه أما عداوتها الله تعالى فانها تقطع
الطريق عن أوليائه وأما عداوتها الاوليائه تعالى فلانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها فتجرعوا مرارة
الصبر فى مقاطعتها وأما عداوتها الاعداء الله تعالى فلاستدراجها لهم بمكرها حتى عولوا عليها (فهذه) أى
المذكورات كلها (جمل الهداية الى بداية الطريق فى معاملتك مع الله تعالى باداء أوامره واجتناب نواهيه)
وفى بعض النسخ مناهيه وهو أولى (وأشرعليك الآن بجمل من الآداب لتؤاخذ) أى لتحاسب وتداوى
(نفسك) القبيحة (بها) أى بتلك الجمل (فى مخالطتك مع عباد الله تعالى وصحبتك معهم فى الدنيا) فالادب
هو استعمال مايحمد قولا وفعلا أى بحسن الاحوال والاخلاق واجتماع الخصال الحميدة من بسط الوجه
وحسن اللقاء وحسن التناول والاخذ وقال ابن عطاء الله الادب الوقوف مع المستحسنات وقيل الاخذ
بمكارم الاخلاق وقيل هو تعظيم من فوقه والرفق بمن دونه قال بعض المتقدمين كما أن قوت الاجساد
بالاطعمة المصنوعة كذا قوت العقل بالآداب المسموعة وقال بعضهم من بحر المتقارب

وما كل وقت ترى مسعفا * فكن حافظا لطريق الادب

فاذا عمرت بالتقوى باطن
قلبك فعند ذلك ترتفع الحجب
بينك وبين ربك وتنكشف
لك أنوار المعارف وتنفجر
من قلبك ينابيع الحكم
وتتضح لك أسرار الملك
والملكوت ويتيسر لك من
العلوم ماتستحقر به هذه
العلوم المحدثة التى لم يكن لها
ذكر فى زمن الصحابة رضى
الله عنهم والتابعين وان
كنت تطلب العلم من القيل
والقال والمراء والجدال فما
أعظم مصيبتك وما أطول
تعبك وما أعظم حرمانك
وخسرانك فاعمل ماشئت
فان الدنيا التى تطلبها بالدين
لا تسلم لك والآخرة تسلب
منك فمن طلب الدنيا بالدين
خسرهما جميعا ومن ترك
الدنيا للدين ربحهما جميعا
فهذه جمل الهداية الى بداية
الطريق فى معاملتك مع
الله تعالى باداء أوامره
واجتناب نواهيه وأشرعليك
الآن بجمل من الآداب
لتؤاخذ نفسك بها فى
مخالطتك مع عباد الله تعالى
وصحبتك معهم فى الدنيا

ترى الله يكشف ساقد خفى * فتحظى بأجر ونيل الرتب

القول فى آداب الصحبة والمعاشرة مع الخالق عزوجل ومع الخلق

وهذا ترجمة بيان للقسم الثالث الذى وعد المصنف بذكره فى قوله وألحق قسما ثالثا (اعلم أن صاحبك الذى لا يفارقك فى حضرك) أى بلدك (وسفرك ونومك ويقظتك بل فى حياتك وموتك هو ربك) أى مصلحك (وسيدك) أى مالكك (ومولاك) أى ناصرك (وخالقك ومهما) أى فى أى وقت (ذكرته) بلسانك أو بقلبك أو بهما (فهو جليسك) أى مجالسك فلا ينساك (اذ قال الله تعالى) فى الحديث القدسى (أنا جليس من ذكرنى) وقال الله تعالى عبدى أنا عند ظنك بى وأنا معك أى بالتوفيق أو أنا معك بعلمى اذا ذكرتنى أى اذا دعوتنى فأسمع ما تقول فأجيبك هذا وما أشبهه فى ذكر عن يقظة لا عن غفلة وقال الله تعالى يا ابن آدم ان ذكرتنى فى نفسك ذكرتك فى نفسى وان ذكرتنى فى ملا ذكرتك فى ملا خير منه وان دنوت منى ذراعا دنوت منك باعا وان أتيتنى تمشى أتيت اليك أهرول والمعنى ان ذكرتنى سرا اخلاصا وتجنبا للرياء أسرع ثوابك على منوال عملك وان ذكرتنى فى جماعة افتخارا بى واجلالا لى بين خلقى ذكرتك فى الملائكة المقربين وأرواح المرسلين مباهاة بك واعظاما لقدرك وان تقربت منى بالاجتهاد والاخلاص فى طاعتى قربتك بالهداية والتوفيق وان زدت زدت كذا أفاده العزيزى (ومهما انكسر قلبك) أى ذل (حزنا على تقصيرك فى حق) أى جنب (دينك فهو صاحبك وملازمك اذ قال الله تعالى) فى الحديث القدسى (أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى) أى أنا مع الخاشعين بالتوفيق من أجل التقصير فى الطاعة ومن أجل حصول المعصية (فلو عرفته) تعالى أيها الغافل (حق معرفته لاتخذته صاحبا وتركت الناس جانبا) كما قال الشاعر من بحر الخفيف

مذ عرفت الاله لم أر غيرا * وكذا الغير عندنا ممنوع
مذ تجمعت ما خشيت افتراقا * وأنا اليوم واصل مجموع

وكما قال الشاعر من بحر البسيط

لكل شئ اذا فارقته عوض * وليس لله ان فارقت من عوض

(فان لم تقدر على ذلك) أى اتخاذ الله صاحبا وترك الناس جانبا بملازمة الطاعة واكثار الذكر واجتناب المعاصى (فى جميع أوقاتك فاياك) أى احذر (أن تخلى) بتشديد اللام أى تترك (ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه) أى تنفرد فى ذلك الوقت (بمولاك وتتلذذ معه بمناجاتك له) بصلاة النفل وغيرها (وعند ذلك) أى الخلوة (فعليك أن تتعلم آداب الصحبة مع الله تعالى) فان الله تعالى أمرنا بالآداب (وآدابها) أى الصحبة مع الله تعالى أربعة عشر الاول (اطراق الرأس وغض الطرف) أى خفضه (و) الثانى (جمع الهم) أى القصد مع الاعتماد على الله (و) الثالث (دوام الصمت) أى عما لا يفيد فى الدين لقوله صلى الله عليه وسلم عليك بطول الصمت فانه مطردة للشيطان (و) الرابع (سكون الجوارح) عن الملاغاة لانه يستلزم الخشوع والخضوع وحضور القلب مع الله تعالى (و) الخامس (مبادرة) امتثال (الامر) أى من الواجب والمندوب (و) السادس (اجتناب النهى) أى المحرم والمكروه (و) السابع (قلة الاعتراض) أى عدم الاعتراض (على القدر) بتحريك الدال أى على تقدير الله الامور قال صلى الله عليه وسلم اعبد الله بالرضا فان لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خير كثير وقال أيضا قال الله تعالى أنا الله لا اله الا أنا فمن لم يصبر على بلائى ولم يشكر لنعمائى ولم يرض بقضائى فليطلب ربا سوائى وقال أبو على الدقاق رحمه الله تعالى ليس الرضا أن لا يحس بالبلاء انما الرضا أن لا يعترض على الحكم والقضاء وحكى عن الشيخ عفيف الدين الزاهد أنه كان بمصر فبلغه ما وقع ببغداد من قتل التتار أهلها فأنكره وقال يارب كيف هذا وفيهم الاطفال ومن لا ذنب له فرأى فى المنام رجلا فى يده كتاب فاذا فيه بيتان من بحر المتقارب وهما

دع الاعتراض فما الامر لك * ولا الحكم فى حركات الفلك
ولا تسأل الله عن فعله * فمن خاض لجة بحر هلك

(و) الثامن (دوام الذكر) أى باللسان والقلب (و) التاسع (ملازمة الفكر) فى نعمة الله تعالى وفى جلاله تعالى (و) العاشر (ايثار الحق) أى اختياره وتقديمه (على الباطل) وفى بعض النسخ سقوط هذا الجار والمجرور والمعنى تقديم الله تعالى فى الرجوع اليه على الخلق وعلى كل ما سواه والمراد بالحق على هذا هو الله

تعالى

القول فى آداب الصحبة والمعاشرة مع الخالق عز وجل ومع الخلق

اعلم أن صاحبك الذى لا يفارقك فى حضرك وسفرك ونومك ويقظتك بل فى حياتك وموتك هو ربك وسيدك ومولاك وخالقك ومهما ذكرته فهو جليسك اذ قال الله تعالى أنا جليس من ذكرنى ومهما انكسر قلبك حزنا على تقصيرك فى حق دينك فهو صاحبك وملازمك اذ قال الله تعالى أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى فلو عرفته حق معرفته لاتخذته صاحبا وتركت الناس جانبا فان لم تقدر على ذلك فى جميع أوقاتك فاياك أن تخلى ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه بمولاك وتتلذذ معه بمناجاتك له وعند ذلك فعليك أن تتعلم آداب الصحبة مع الله تعالى وآدابها اطراق الرأس وغض الطرف وجمع الهم ودوام الصمت وسكون الجوارح ومبادرة الامر واجتناب النهى وقلة الاعتراض على القدر ودوام الذكر وملازمة الفكر وايثار الحق على الباطل

فضل الله تعالى معرفة بحسن الاختيار وهذا كله ينبغي أن يكون شعارك في جميع ليلك ونهارك فانه آداب الصحبة مع صاحب لا يفارقك والخلق كلهم يفارقونك في بعض أوقاتك وان كنت عالما فآداب العالم الاحتمال ولزوم الحلم والجلوس بالهيبة على سمت الوقار مع اطراق الرأس وترك التكبر على جميع العباد الا على الظلمة زجرا لهم عن الظلم وايثار التواضع في المحافل والمجالس وترك الهزل والدعابة والرفق بالمتعلم والتأني بالمتجرف واصلاح البليد بحسن الارشاد وترك الحرد عليه وترك الانفة من قول لا أدري وصرف الهمة الى السائل وتفهم سؤاله وقبول الحجة والانقياد للحق بالرجوع اليه عند الهفوة ومنع المتعلم عن كل علم يضره وزجره عن أن يريد بالعلم النافع غير وجه الله تعالى وصد المتعلم عن أن يشتغل بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين وفرض عينه اصلاح ظاهره وباطنه بالتقوى ومؤاخذة نفسه أولا بالتقوى ليقتدي المتعلم أولا بأعماله ويستفيد ثانيا من أقواله وان كنت متعلما فآداب المتعلم مع العالم أن يبدأه بالتحية والسلام وان يقلل بين يديه الكلام ولا يتكلم ما لم يسأله استاذه ولا يسأل ما لم يستأذن أولا ولا يقول

تعالى (و) الحادي عشر (الاياس) أي قطع الرجاء (عن الخلق) أي عدم الاعتماد على الخلق في حاجتك في السفر والحضر لان الخلق لا تنفع ولا تضر (و) الثاني عشر (الخضوع) أي التواضع بالقلب (تحت الهيبة) مع الله تعالى (و) الثالث عشر (الانكسار) أي في القلب (تحت الحياء) من الله تعالى لتقصيرك في العبادة (و) الرابع عشر (السكون عن حيل الكسب ثقة) أي ائتمانا (بالضمان) أي بضمان الله تعالى لك في رزقك قال تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها (والتوكل) أي الاعتماد (على فضل الله تعالى معرفة بحسن الاختيار) أي اختياره تعالى فان الله تعالى هو المدبر لعبده (وهذا) الادب (كله ينبغي) أي يطلب (أن يكون) أي يصير هو (شعارك) أي ثيابك الملاصقة بيدنك (في جميع ليلك ونهارك فانه) أي هذه الآداب المذكورة (آداب الصحبة مع صاحب لا يفارقك) أي بعلمه وتوفيقه في جميع أوقاتك (والخلق كلهم يفارقونك في بعض أوقاتك) قال الله تعالى وهو معكم أينما كنتم (وان كنت عالما فآداب العالم) سبعة عشر الاول (الاحتمال) أي قبول ما جاء به تلامذته من المسئلة وما يتبعه أي الصبر على ذلك (و) الثاني (لزوم الحلم) بكسر الحاء أي الاناة في الامور (و) الثالث (الجلوس بالهيبة) أي اجلال جلسائه (على سمت الوقار) أي صفة الضعف (مع اطراق الرأس) أي استرخاء العين (و) الرابع (ترك التكبر على جميع العباد الا على الظلمة) المتجاهرين بظلمهم (زجرا لهم عن الظلم) فان التكبر على المتكبرين صدقة كالتواضع مع المتواضعين (و) الخامس (ايثار التواضع) أي تقديمه (في المحافل) أي مجامع الناس (والمجالس و) السادس (ترك الهزل) أي اللعب (والدعابة) بالدال المهملة ثم الباء الموحدة أي المزاح (و) السابع (الرفق بالمتعلم) في تعلمه (والتأني بالمتجرف) أي الذي لا يحسن السؤال ويدعي العلم ولا يعلمه بأن تحسن عليه أحوالك وأقوالك (و) الثامن (اصلاح البليد) أي غير الفطن (بحسن الارشاد) أي التعليم (و) التاسع (ترك الحرد) أي الغضب والتعريض (عليه) أي البليد (و) العاشر (ترك الانفة) أي الاستكبار والامتناع والاستحياء (من قول لا أدري) أو من قول والله أعلم اذا لم تظهر لك المسئلة أو لم تعلم لما روي في الحديث أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي البلاد أشر فقال صلى الله عليه وسلم لا أدري حتى أسأل جبريل فسأله فقال لا أدري حتى أسأل رب العزة (و) الحادي عشر (صرف الهمة) أي القلب (الى السائل) لاجل اخلاصه (وتفهم سؤاله) لتجيب مسئلته (و) الثاني عشر (قبول الحجة) أي الدليل المصدق للقائل واستماعها وان كانت من الخصم لان اتباع الحق واجب (و) الثالث عشر (الانقياد للحق بالرجوع اليه) أي الحق (عند الهفوة) أي الزلة في القول والاعتقاد وان صدر ممن هو أسفل منك (و) الرابع عشر (منع المتعلم عن كل علم يضره) في الدين كعلم السحر والنجوم والرمل (و) الخامس عشر (زجره) أي نهي المتعلم (عن أن يريد بالعلم النافع غير وجه الله تعالى) وغير الدار الآخرة (و) السادس عشر (صد المتعلم) أي منعه وصرفه (عن أن يشتغل بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين وفرض عينه اصلاح ظاهره وباطنه بالتقوى) أي بأداء عبادة ظاهرة وباطنة وباجتناب معصية ظاهرة وباطنة كما هو مذكور في هذا الكتاب والله الهادي (و) السابع عشر (مؤاخذة) أي مداواة (نفسه) أي العالم (أولا) أي قبل الامر للناس بفعل الخير وقبل النهي لهم عن اجتناب الشر (بالتقوى) أي بامتثال أمر الشرع واجتناب نهيه (ليقتدي المتعلم أولا بأعماله ويستفيد) أي المتعلم (ثانيا من أقواله) فان دلالة الاحوال أقوى من دلالة المقال كما قال أبو الاسود من بحر الكامل

وإذا عتبت على السفيه ولمته * في مثل ما تأتي فأنت مليم * فابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فاذا انتهت عنه فأنت حكيم * لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

(وان كنت متعلما فآداب المتعلم مع العالم) ثلاثة عشر الاول (أن يبدأه بالتحية والسلام) وطلب الاذن في الدخول (و) الثاني (أن يقلل بين يديه) أي في حضرته (الكلام) أي المباح (و) الثالث أن لا يتكلم ما لم يسأله أستاذه (و) الرابع أن (لا يسأل) شيأ (ما لم يستأذن) استاذه (أولا) أي قبل السؤال (و) الخامس أن (لا يقول

في معارضة قوله) أي لاستاذه (قال فلان بخلاف ماقلت) وما أشبه ذلك (و) السادس أن (لايشير عليه) أي استاذه (بخلاف رأيه) أي بمخالفة قول استاذه (فيرى) أي يظن المتعلم (أنه أعلم بالصواب) في تلك المسئلة (من أستاذه) فذلك يخل بالادب للاستاذ وينقص البركة (و) السابع أن (لايسأل) وفي بعض النسخ لايشاور (جليسه في مجالسه) أي الاستاذ ولا يتبسم عند مخاطبته (و) الثامن أن (لا يلتفت الى الجوانب) يمينا وشمالا في حضرته (بل يجلس مطرقا) عينه (ساكتا متأدبا) بلا عبث بنحو اليد (كأنه في الصلاة و) التاسع أن (لايكثر عليه) أي الاستاذ (السؤال عند ملله) أي الاستاذ أي عند سآمته وقلقه من الغم ولو بالتوهم القوى (و) العاشر (اذا قام) اى الاستاذ (قام) أي المتعلم (له) أي لاجله تعظيما له ولا يأخذ بثوبه اذا قام (و) الحادى عشر أن (لايتبعه) عند القيام من المجلس (بكلامه وسؤاله و) الثاني عشر أن (لايسأله في طريقه) بل ينتظر (الى أن يبلغ الى منزله) أي بيته أو محل قعوده (و) الثالث عشر (أن لايسيء الظن به) أي الاستاذ (في أفعال ظاهرها منكرة) أي غير مرضية لله تعالى (عنده) أي المتعلم (فهو) أي الاستاذ الفاء للتعليل أي لانه (أعلم بأسراره) أي الافعال (وليذكر عند ذلك) أي عند ارادة اساءة الظن (قول موسى للخضر) واسمه بليا بن ملكان (عليهما السلام) منكرا لما في ظاهره الفساد باتلاف السفينة المؤدى الى اهلاك النفوس وسمي خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء والفروة قطعة نبات مجتمعة يابسة وقيل سمي خضرا لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله (أخرقتها) أي السفينة أي قلعت لوحا من ألواحها (لتغرق أهلها) فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المؤدى الى غرق أهلها (لقد جئت شيأ امرا) أي عظيما منكرا فان ذلك منكر في الظاهر ولذلك أنكره موسى أولا ولكنه في الحقيقة موافق لباطن الشريعة فلذلك صدقه موسى آخرا (و) ليذكر (كونه) أي المتعلم (مخطئا في انكاره) أي على الاستاذ (اعتمادا على الظاهر) وليذكر كون الاستاذ عالما بالاسرار كما روى أن ابن عربي كان يصلي فرآه تلامذته يحرك رجله مرارا في الصلاة وسألوه بعدها لم حركتها فقال ان الفخر الرازي احتضر فاحتاطت به الشياطين لتسلبه الايمان فطردتهم عنه برجلي فمات على الايمان (وان كان لك والدان فآداب الولد مع الوالدين) أي المسلمين اثنا عشر الاول (أن يسمع كلامهما) ولو شتما من غير جواب لهما (و) الثاني أن (يقوم لقيامهما) توقيرا لهما وحفظا لحرمتهما وان كانا دونه في المرتبة (و) الثالث أن (يمتثل لامرهما) فيما يأمرانه أو أحدهما ولو فيما يضره اذا لم يكن الامر في معاصي الله تعالى (و) الرابع أن (لايمشي أمامهما) تعاظما عليهما بل يمشي بازائهما أو خلفهما فان مشى أمامهما لامر اقتضاه الحال فلا بأس حينئذ (و) الخامس أن (لايرفع صوته فوق أصواتهما) أو أصوات أحدهما ساوكا للادب معهما وهذا أوكد الآداب كما قاله الرملي في عمدة الرابح (و) السادس أن (يلبي دعوتهما) أي يجيب نداءهما بجواب لين يدل على تعظيمهما كقوله لبيك أو نعم أو سيدي أو سيدتي (و) السابع أن (يحرص) اي يحافظ (على طلب (مرضاتهما) بالاحوال والاقوال (و) الثامن أن (يخفض لهما جناح الذل) أي جناحه الذليل وذلك كناية عن التواضع واللين كأن يخدمهما بنفسه ويطعمهما بيده لعجزهما ويؤثرهما على نفسه وأولاده (و) التاسع (أن لايمن عليهما بالبر لهما ولا بالقيام لامرهما) كأن يقول أعطيتكما كذا وكذا وفعلت كذا وكذا لكما فان المن يكسر القلوب ومن ذلك قيل المن أخ المن اى الامتنان بتعديد الصنائع أخو القطع (و) العاشر أن (لاينظر اليهما شزرا) بفتح الشين وسكون الزاى وهو نظر الغضبان بمؤخر العين أو هو النظر عن يمين وشمال أو هو نظر فيه اعراض كما في القاموس (و) الحادي عشر أن (لايقطب) بكسر الطاء أي يجمع أو بضم الياء وتشديد الطاء أي يعبس (وجهه في وجههما و) الثاني عشر أن (لايسافر الا باذنهما) سفر الجهاد وحج تطوع وزيارة أنبياء وأولياء وسفر لم تغلب فيه السلامة لتجارة فان ذلك يحرم اذا لم يكن باذن أصل أب وأم وان عليا وان أذن من هو أقرب منه الا سفر التعلم فرض ولو كفاية كطلب النحو ودرجة الافتاء فلا يحرم عليه وان لم يأذن أصله كذا في فتح المعين وأما الوالدان الكافران فأدب الولد معهما مصاحبتهما في الامور التي لا تتعلق بالدين ما داما حيا ومعاملتهما بالحلم والاحتمال وما تقتضيه مكارم الاخلاق والشيم (واعلم

في معارضة قوله قال فلان
بخلاف ماقلت ولايشير
عليه بخلاف رأيه فيرى أنه
أعلم بالصواب من أستاذه
ولايسأل جليسه في مجلسه
ولا يلتفت الى الجوانب بل
يجلس مطرقا ساكتا متأدبا
كأنه في الصلاة ولا يكثر عليه
السؤال عند ملله واذا قام
قام له ولا يتبعه بكلامه
وسؤاله ولا يسأله في طريقه
الى أن يبلغ الى منزله ولا
يسيء الظن به في أفعال
ظاهرها منكرة عنده فهو
أعلم بأسراره وليذكر عند
ذلك قول موسى للخضر
عليهما السلام أخرقتها
لتغرق أهلها لقد جئت شيأ
امرا او كونه مخطئا في انكاره
اعتمادا على الظاهر وان
كان لك والدان فآداب الولد
مع الوالدين أن يسمع كلامهما
ويقوم لقيامهما ويمتثل
لامرهما ولا يمشي أمامهما
ولا يرفع صوته فوق أصواتهما
ويلبي دعوتهما ويحرص
على مرضاتهما ويخفض
لهما جناح الذل ولا يمن
عليهما بالبر لهما ولا بالقيام
لامرهما ولا ينظر اليهما
شزرا ولا يقطب وجهه في
وجههما ولا يسافر
الا باذنهما واعلم

أن الناس بعد هؤلاء) أى المذكورين من العالم والمتعلم والوالدين (فى حقك ثلاثة أصناف) أى أنواع (اما أصدقاء واما معاريف واما مجاهيل فان بليت) بالبناء للمفعول (بالعوام المجهولين) أى امتحنك الله بصحبة العوام الذين هم ليسوا أصدقاءك ولا معاريفك (فا داب مجالستهم) خمسة الاول (ترك الخوض) أى الدخول معهم (فى حديثهم و) الثانى (قلة الاصغاء) أى عدم امالة السماع (الى أراجيفهم) أى كثرة أخبارهم السيئة واختلاف أقوالهم الكاذبة (و) الثالث (التغافل) أى الترك بالاعراض (عما يجرى) أى يسبق (من سوء ألفاظهم و) الرابع (الاحتراز) أى التجنب (عن كثرة لقائهم والحاجة اليهم و) الخامس (التنبيه على منكراتهم باللطف والنصح عند رجاء القبول منهم) فان قلوب العوام سريعة التقلب فان لم ينفع النصح فالاعراض أولى (وأما الاخوان والاصدقاء فعليك فيهم وظيفتان احداهما ان تطلب أولا) أى قبل المعاشرة مع من تريد معاشرتهم (شروط الصحبة والصداقة) لانه لا يصلح للصحبة كل انسان (فلا تؤاخ الامن يصلح للاخوة والصداقة) ولابد أن يتميز بصفات يرغب بسببها فى صحبته وتشترط بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة اذ معنى الشرط مالابد منه للوصول الى المقصود فبالاضافة الى المقصود تظهر الشروط فليس مايشترط للصحبة فى مقاصد الدنيا مشروطا للصحبة للآخرة فان الاخوة ثلاثة أخ لآخرتك وأخ لدنياك وأخ لتأنس به ولم تجتمع هذه المقاصد فى واحد بل تتفرق على جمع فتتفرق الشروط فيهم (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) وقال أيضا المرء مع من أحب وله ما اكتسب رواه الترمذى عن أنس وقال سهل بن عبد الله اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الناس الجبابرة الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين (فاذا طلبت رفيقا) أى من يرافقك (ليكون شريكك فى التعلم وصاحبك فى أمر دينك ودنياك فراع) أى انظر (فيه) أى الرفيق (خمس خصال الاولى العقل) فانه رأس المال وهو الاصل (فلا خير فى صحبة الاحمق) اى فاسد العقل (فالى الوحشة والقطيعة يرجع آخرها) اى الصحبة وان طالت فانك لست منه على شئ (واحسن احواله) اى الاحمق (ان يضرك وهو يريد ان ينفعك) ويعينك من حيث لايدرى لحماقته (والعدو العاقل خير من الصديق الاحمق) ولذلك قال الشاعر من بحر الكامل

انى لآمن من عدو عاقل * واخاف خلا يعتريه جنون

فالعقل فن واحد وطريقه * ادرى فارصد والجنون فنون

وكذا قيل مقاطعة الاحمق قربان الى الله والمراد بالعاقل هو الذى يفهم الامور على ماهى عليه (قال) امير المؤمنين (على) بن ابى طالب (رضى الله عنه) نظما من بحر الوافر المعصوب الاجزاء فى ستة ابيات مجزوءة وبعض أجزائها منقوص

(فلا تصحب أخا الجهل * واياك واياه فكم من جاهل أردى * حليما حين واخاه

يقاس المرء بالمرء * اذا ما المرء ماشاه كحذو النعل بالنعل * اذا ما النعل حاذاه

وللشئ من الشئ * مقاييس واشباه وللقلب على القلب * دليل حين يلقاه)

ومعنى أردى أهلك وفى نسخة * اذا ما هو ساواه * وقال بعضهم من بحر الموالياو اجزاؤه مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن بسكون آخره

عاشر ذوى الفضل واحذر عشرة السفل * وعن عيوب صديقك كف وتغفل

وصن لسانك اذا ما كنت فى محفل * ولا تشاركن ولا تضمن ولا تكفل

(الثانية حسن الخلق) فلابد منه اذ رب عاقل يدرك الاشياء على ماهى عليه ولكن اذا غلبه غضب أو شهوة أو بخل أو جبن أطاع هواه وخالف ماهو المعلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم أخلاقه فذلك سيئ الخلق (فلا تصحب من ساء خلقه) فانه لا خير فى صحبته (وهو الذى لايملك) أى لا يملك (نفسه) أى الامارة أو اللوامة (عند الغضب والشهوة) والبخل والجبن (وقد جمعه) أى حسن الخلق (علقمة العطاردى) نسبة الى عطارد رجل من تميم رهط أبى رجاء عمران بن ملحان (رحمه الله تعالى فى وصيته لابنه لما) اى حين (حضرته الوفاة

فآداب مجالستهم ترك الخوض فى حديثهم وقلة الاصغاء الى أراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء ألفاظهم والاحتراز عن كثرة لقائهم والحاجة اليهم والتنبيه على منكراتهم باللطف والنصح عند رجاء القبول منهم وأما الاخوان والاصدقاء فعليك فيهم وظيفتان احداهما أن تطلب أولا شروط الصحبة والصداقة فلا تؤاخ الامن يصلح للاخوة والصداقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل فاذا طلبت رفيقا ليكون شريكك فى التعلم وصاحبك فى أمر دينك ودنياك فراع فيه خمس خصال الاولى العقل فلا خير فى صحبة الاحمق فالى الوحشة والقطيعة يرجع آخرها وأحسن أحواله أن يضرك وهو يريد أن ينفعك والعدو العاقل خير من الصديق الاحمق قال على رضى الله عنه

فلا تصحب أخا الجهل
واياك واياه
فكم من جاهل أردى
حليما حين واخاه
يقاس المرء بالمرء
اذا ما المرء ماشاه
كحذو النعل بالنعل
اذا ما النعل حاذاه
وللشئ من الشئ * مقاييس وأشباه وللقلب على القلب * دليل حين يلقاه الثانية حسن الخلق فلا تصحب من ساء خلقه وهو الذى لايملك نفسه عند الغضب والشهوة وقد جمعه علقمة العطاردى رحمه الله تعالى فى وصيته لابنه لما حضرته الوفاة

فقال يابني اذا أردت صحبة انسان فاصحب من اذا خدمته) أي بالقول أو بالفعل (صانك) عن عرضك ونفسك ومالك (وان صحبته زانك) أي بصحبته (وان قعدت بك مؤنة) بالقاف ثم العين المهملة أي تأخرت وحبست (مانك) أي احتمل مؤنتك وقام بكفايتك (اصحب من اذا مددت يدك بخير مدّها) أي اذا أعطيته شيأ جازاك أو اذا أتيت خصلة من أنواع الطاعات أعانك (وان رأى منك حسنة عدّها) وان قلت (وان رأى منك سيئة سدها) وان كثرت اصحب من اذا سألته أعطاك وان سكت ابتدأك وان نزلت بك نازلة واساك (اصحب من اذا قلت صدّق قولك) أي لا يعترض عليك (واذا حاولت) أي عالجت (أمرا أمرك) بتشديد الميم أي جعلك أميرا وفي نسخة أعانك ونصرك (وان تنازعتما) أي اختلفت أنت وهو (في شئ آثرك) أي قدمك على نفسه فكأن هذا جمع جميع حقوق الصحبة قال المأمون فأين هذا فقيل له أتدري لم أوصاه بذلك قال لا قال لانه أراد أن لا يصحب أحدا وقال بعض الادباء لا تصحب من الناس الا من يكتم سرك ويستر عيبك فيكون معك في النوائب ويؤثرك في الرغائب وينشر حسنتك ويطوي سيئتك فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك (وقال) أمير المؤمنين (علي) بن أبي طالب (رضي الله عنه رجزا) أي نظما من بحر الرجز

(ان أخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك)

أي ان أخاك الصحيح من كان يصاحبك في حالتي الرخاء والشدّة والصحة والمرض ومن يتعب نفسه لاجل نفعك واذا فرقتك حوادث الدهر وصروفه فرق لاجل ذلك ما اجتمع من أمره لتكون مجتمعا على حالة حسنة وفي بعض النسخ تشتت فيك أي من أجلك أو في شأنك (الثالثة الصلاح) أي الخير والصواب في الاحوال (فلا تصحب فاسقا مصرا على معصية كبيرة) لانه لا فائدة في صحبته (لان من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غائلته) أي شره ولا يوثق بصداقته (بل يتغير) أي من لا يخاف الله (بتغير الاحوال) من العلانية والخلوة ونحو ذلك (والاعراض) من مرض ونحوه (قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تطع) يا أشرف الخلق (من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أي جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا (واتبع هواه) أي في طلب الشهوات (وكان أمره فرطا) أي اسرافا وباطلا وهذا يدل على أن أشر أحوال الانسان أن يكون قلبه خاليا عن ذكر الحق ويكون مملوأ من الهوى الداعي الى الاشتغال بالخلق لان ذكر الله تعالى نور وذكر غيره ظلمة كذا قاله الشربيني وقال الغزالي وفي مفهوم ذلك زجر عن الفاسق (فاحذر صحبة الفاسق) فانه يبيعك بأكلة أو بالطمع فيها ثم لا ينالها (فان مشاهدة الفسق والمعصية على الدوام تزيل عن قلبك كراهية) وقوع (المعصية ويهون) أي يسهل (عليك أمرها) أي المعصية وتبطل نفرة القلب عنها (ولذلك) أي المذكور (هان على القلوب معصية الغيبة لالفهم) أي أنسهم ومحبتهم (لها ولو رأوا خاتما) بفتح التاء (من ذهب أو ملبوسا من حرير على فقيه لاشتدّ انكارهم عليه) أي الفقيه (والغيبة أشدّ) أي أعظم ذنبا (من ذلك) أي استعمال الذهب والحرير كما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية انها كذا وكذا أي انها قصيرة فقال عليه الصلاة والسلام لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته رواه الترمذي ومعنى مزجته خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لشدّة نتنها وقبحها قال العلماء وهذا الحديث من أبلغ الزواجر عن الغيبة كذا في قمع النفوس لابي بكر بن الحصني (الرابعة أن لا يكون) أي الرفيق (حريصا) أي أجشع (على الدنيا) وفي بعض النسخ لا تصحب حريصا (فصحبة الحريص على الدنيا سم قاتل لان الطباع مجبولة) أي مخلوقة (على التشبه والاقتداء) بمن يقارنه (بل الطبع) السليم (يسرق من الطبع) الفاسد (من حيث لا يدري) الانسان وعبارة الاحياء من حيث لا يدري صاحبه (فمجالسة الحريص) على الدنيا تحرك الحرص و(تزيد في حرصك ومجالسة الزاهد) أي المعرض عن الدنيا تزهد في الدنيا و(تزيد في زهدك) أي في اعراضك عن الدنيا وتركك لها وتقليلك منها فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا وتستحب صحبة الراغبين في الآخرة قال علي رضي الله عنه أحيوا الطاعات

فقال يابني اذا أردت صحبة انسان فاصحب من اذا خدمته صانك وان صحبته زانك وان قعدت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها وان رأى منك حسنة عدها وان رأى منك سيئة سدها اصحب من اذا قلت صدق قولك واذا حاولت أمرا أمرك وان تنازعتما في شئ آثرك وقال علي رضي الله عنه رجزا

ان أخاك الحق من كان معك
ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك
شتت فيك شمله ليجمعك

الثالثة الصلاح فلا تصحب فاسقا مصرا على معصية كبيرة لان من يخاف الله لا يصر على كبيرة ومن لا يخاف الله لا تؤمن غوائله بل يتغير بتغير الاحوال والاعراض قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا فاحذر صحبة الفاسق فان مشاهدة الفسق والمعصية على الدوام تزيل عن قلبك كراهية المعصية ويهون عليك أمرها ولذلك هان على القلوب معصية الغيبة لالفهم لها ولو رأوا خاتما من ذهب أو ملبوسا من حرير على فقيه لاشتد انكارهم عليه والغيبة أشد من ذلك الرابعة أن لا يكون حريصا على الدنيا فصحبة الحريص على الدنيا سم قاتل لان الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري فمجالسة الحريص تزيد في حرصك ومجالسة الزاهد تزيد في زهدك

ومجالسة

بمجالسة من يستحيا منه وقال أحمد بن حنبل ما أوقعني في بلية الا صحبة من لا أحتشمه وقال لقمان يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان القلوب لتحيا بالحكم كما تحيا الارض الميتة بوابل القطر (الخامسة الصدق) في المقال والاعتقاد (فلا تصحب كذابا) أي كثير الكذب في المقال (فانك منه على غرور) أي جهل في الامور وغفلة عنها (فانه مثل السراب) بفتح الميم والثاء أي لان الكذاب صفته كصفة السراب الذى تراه نصف النهار كأنه ماء (يقرب) أي الكذاب (منك البعيد ويبعد منك القريب) ولا تصحب المبتدع فصحبته خطر لسراية البدعة اليك ولا تصحب البخيل فانه يقطع بك أحوج ما تكون اليه ولا تصحب الجبان فانه يسلمك ويفر عند الشدة (ولعلك تعدم) بفتح الدال أي تفقد (اجتماع هذه الخصال) المذكورة (في سكان المدارس) وهم العلماء والطلبة (والمساجد) وهم العباد (فعليك) أي الزم (باحد أمرين اما العزلة والانفراد ففيها) أي العزلة (سلامتك) من الاثم (واما أن تكون مخالطتك مع شركائك بقدر خصالهم بان تعلم أن الاخوة) أي الاصحاب (ثلاثة) كما نقله الغزالي عن بشر (أخ لآخرتك فلا تراع) أي تلاحظ (فيه الا الدين وأخ لدنياك فلا تراع فيه الا الخلق الحسن) والاحوال المؤدية الى الخيرات (وأخ لتأنس) بفتح النون أي ليسكن قلبك (به فلا تراع فيه الا السلامة من شره) أي ظلمه (وفتنته) أي امتحانه (وخبثه) أي خديعته قال أبو ذر رضي الله عنه الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة (والناس) الذين تتخذهم اخوانا (ثلاثة) كما نقله الغزالي عن المأمون (أحدهم مثله مثل الغذاء) بكسر الغين أي صفته وشأنه صفة الطعام والشراب وشأنهما (لا يستغنى عنه) وهم العلماء (والآخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه في وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به) أي يمتحن بالاجتماع مع من هو كصفة الداء (وهو الذى لا أنس فيه ولا نفع) وهو الفاسق والمبتدع والكذاب والجبان (فتجب مداراته) أي ملاينته ومجاملته ومداعبته (الى الخلاص منه) دفعا للشر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مداراة الناس صدقة رواه ابن حبان والطبراني والبيهقي عن جابر بن عبد الله أي ملاطفة الناس بالقول والفعل يثاب عليها ثواب الصدقة (وفي مشاهدته) أي الذى هو كصفة الداء (فائدة عظيمة ان وفقت) بالبناء للمجهول أي ان وفقك الله (لها وهو أن تشاهد من خبائث أحواله وأفعاله ما تستقبحه) وفي نسخة ما تستخبثه (فتجتنبه فالسعيد من وعظ) بالبناء للمفعول (بغيره) والشقي من غلب شره على خيره (والمؤمن مرآة المؤمن) فيقيس نفسه بغيره في الاحوال والمقال مما يحبه ويكرهه (وقيل لعيسى عليه السلام من أدبك) أي من علمك الادب فانك ولدت من غير أب (فقال ما أدبني أحد ولكن رأيت جهل الجاهل فاجتنبته ولقد صدق) أي سيدنا عيسى في مقالته (على نبينا وعليه الصلاة والسلام فلو) الفاء للتعليل أي لانه لو (اجتنب الناس ما يكرهونه) من الاقوال والافعال اللتين صدرتا (من غيرهم لكملت آدابهم واستغنوا عن المؤدبين) فان العاقل ينظر تقلب الازمنة ويتأدب بحسبها ومثل جملة الناس كمثل النبات والاشجار فمنها ما له ظل وليس له ثمر وهو مثل الذى ينتفع به في الدنيا دون الآخرة فان نفع الدنيا كالظل السريع الزوال ومنها ما له ثمر وليس له ظل وهو مثل الذى يصلح للآخرة دون الدنيا ومنها ما له ثمر وظل جميعا ومنها ما ليس له واحد منهما فالاقسام أربعة

(الوظيفة الثانية مراعاة حقوق الصحبة) والاخوة (فهما انعقدت الشركة) أي ارتبطت بين الشخصين كالنكاح بين الزوجين (وانتظمت) أي استقامت (بينك وبين شريكك الصحبة فعليك حقوق يوجبها عقد الصحبة) كما يوجب النكاح حقوقا (وفي القيام بها) أي الحقوق (آداب) كثيرة (وقد قال) رسول الله (صلى الله عليه وسلم مثل الاخوين مثل اليدين) بفتح الميم والثاء (تغسل احداهما الاخرى) وانما شبههما رسول الله باليدين لا باليد والرجل لانهما يتعاونان على غرض واحد فكذا الاخوان انما تتم أخوتهما اذا ترافقا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء والمشاركة في المال والحال (ودخل رسول الله) صلى الله عليه وسلم (أجمة) بفتح الاحرف الثلاثة أي غيضة بفتح الغين وهي مجتمع الشجر (فاجتنى) أي أخذ (منها سواكين أحدهما معوج) بسكون العين وفتح الواو وتشديد

الخامسة الصدق فلا تصحب كذابا فانك منه على غرور فانه مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب ولعلك تعدم اجتماع هذه الخصال في سكان المدارس والمساجد فعليك بأحد أمرين أما العزلة والانفراد ففيها سلامتك واما أن تكون مخالطتك مع شركائك بقدر خصالهم بأن تعلم أن الاخوة ثلاثة أخ لآخرتك فلا تراع فيه الا الدين وأخ لدنياك فلا تراع فيه الا الخلق الحسن وأخ لتأنس به فلا تراع فيه الا السلامة من شره وفتنته وخبثه والناس ثلاثة أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه في وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذى لا أنس فيه ولا نفع فتجب مداراته الى الخلاص منه وفي مشاهدته فائدة عظيمة ان وفقت لها وهو أن تشاهد من خبائث أحواله وأفعاله ما تستقبحه فتجتنبه فالسعيد من وعظ بغيره والمؤمن مرآة المؤمن وقيل لعيسى عليه السلام من أدبك فقال ما أدبني أحد ولكن رأيت جهل الجاهل فاجتنبته ولقد صدق على نبينا وعليه الصلاة والسلام فلو اجتنب الناس ما يكرهونه من غيرهم لكملت آدابهم واستغنوا عن المؤدبين

(الوظيفة الثانية) مراعاة حقوق الصحبة فهما انعقدت الشركة وانتظمت بينك وبين شريكك الصحبة فعليك حقوق يوجبها عقد الصحبة وفي القيام بها آداب وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل الاخوين مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى ودخل صلى الله عليه وسلم أجمة فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج

الجيم (والآخر مستقيم وكان معه) صلى الله عليه وسلم (بعض أصحابه) وهو عبد الرحمن بن عوف أو عثمان بن عفان على اختلاف الروايات (فأعطاه) أي بعض أصحابه (المستقيم) منهما (وأمسك لنفسه المعوج فقال) له صلى الله عليه وسلم (يا رسول الله أنت) والله (أحق مني بالمستقيم فقال) رسول الله (صلى الله عليه وسلم ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا ويسئل عن صحبته هل أقام فيها) أي الصحبة (حق الله تعالى أو أضاعه) أي أهلكه وهذا الحديث يدل على ان الايثار هو القيام بحق الله في الصحبة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر يغتسل عندها فأمسك حذيفة الثوب وقام يستر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اغتسل ثم جلس حذيفة ليغتسل فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الثوب وقام يستر حذيفة من الناس فأبى حذيفة وقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا تفعل فأبى عليه السلام الا أن يستره بالثوب حتى اغتسل (وقال) رسول الله (صلى الله عليه وسلم ما اصطحب اثنان قط الا وكان أحبهما الى الله تعالى أرفقهما بصاحبه وآداب الصحبة) اثنا عشر الاول (الايثار) أي الاكرام (بالمال) على وجه تقديم صاحبه على نفسه (فان لم يكن هذا) أي الايثار (فبذل الفضل) أي اعطاؤه (من المال) ولو قليلا (عند الحاجة) اى حاجة صاحبه والحاصل أن المواساة بالمال مع الاخوة على ثلاثة مراتب أدناها أن تنزل صاحبك منزلة عبدك أو خادمك فتقوم بحاجته من فضلة مالك فاذا كانت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء ولم تحوجه الى السؤال فان أحوجته الى ذلك فهو غاية التقصير في حق الاخوة الثانية أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته اياك في مالك ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته على المال والثالثة وهي العليا أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك عند تساويهما في الحاجة وهذه رتبة الصديقين ومنتهى رتبة المتحابين أما القريب فيكره الايثار بها (و) الثاني (الاعانة بالنفس في) قضاء (الحاجات) والقيام بها (على سبيل المبادرة من غير احواج الى التماس) أي طلب وتقديمها على الحاجات الخاصة فان ذلك أبلغ في التواضع وهذه أيضا لها درجات كالمواساة بالمال فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار واظهار الفرح وقبول المنة (و) الثالث (كتمان السر) الذي بثه صاحبه اليه ولا يبثه الى غيره ألبتة ولا الى أخص أصدقائه ولا يكشفه ولو بعد القطيعة والوحشة فان ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن (وستر العيوب) التي علمها في غيبته وحضرته بل يتجاهل عنه وان تعلق بها حد الله تعالى طلبا للستر المستحب ولو مع المصارمة (والسكوت على تبليغ ما يسوءه) أي يحزنه (من مذمة الناس اياه) فان الذي سبك من بلغك وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا الا اذا وجب عليه النطق في أمر بمعروف أو نهي عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فاذ ذاك لا يبالي بكراهته فان ذلك احسان اليه في التحقيق (و) الرابع (ابلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه) مع اظهار الفرح فان اخفاء ذلك محض الحسد وقد قال عليه السلام اذا أحب أحدكم أخاه فليخبره (وحسن الاصغاء عند الحديث وترك المماراة فيه) وترك التجسس والسؤال عن أحواله واذا رآه في طريق أو حاجة لم يفاتحه بذكر غرضه من مصدره ومورده ولا يسأل فربما يثقل عليه ذكره أو يحتاج الى أن يكذب فيه (و) الخامس (أن يدعوه بأحب أسمائه اليه) في غيبته وحضوره (وأن يثني عليه بما يعرف من محاسنه) أي محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده فان ذلك من أعظم الاسباب في جلب المحبة وكذلك الثناء على أولاده وأهله حتى على علمه وتصنيفه وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وافراط (وأن يشكره على صنيعته) أي فعله الحسن (في حقه) وهو موافق للاحياء وفي نسخة في وجهه بل يشكره على نيته وان لم يتم ذلك قال علي رضي الله عنه من لم يحمد أخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة (وأن يذب) أي يدفع (عنه في غيبته اذا تعرض) بالبناء للمفعول (لعرضه) بكسر العين أي قصد بسوء بكلام صريح أو تعريض (كما يذب عن نفسه) وهذا أعظم تأثيرا في جلب المحبة فان حق الاخوة التشمير في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه وانما شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخوين باليدين تغسل احداهما الاخرى لينصر أحدهما الآخر وينوب عنه (وأن ينصحه باللطف والتعريض) فيما فيه صلاح شأنه ويتأكد عليه (اذا احتاج اليه) اى النصيحة بأن يذكر آفات ذلك الفعل وفوائد تركه ويخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة لينزجر عنه وينبهه على عيوبه ولكن ينبغي ان يكون ذلك في سر لا يطلع عليه أحد فما كان على الملا فهو مقابح وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة

والآخر مستقيم وكان معه بعض أصحابه فأعطاه المستقيم وأمسك لنفسه المعوج فقال يا رسول الله أنت أحق مني بالمستقيم فقال صلى الله عليه وسلم ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا ويسئل عن صحبته هل أقام فيها حق الله تعالى أو أضاعه وقال صلى الله عليه وسلم ما اصطحب اثنان قط الا وكان أحبهما الى الله تعالى أرفقهما بصاحبه وآداب الصحبة الايثار بالمال فان لم يكن هذا فبذل الفضل من المال عند الحاجة والاعانة بالنفس في الحاجات على سبيل المبادرة من غير احواج الى التماس وكتمان السر وستر العيوب والسكوت على تبليغ ما يسوءه من مذمة الناس اياه وابلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه وحسن الاصغاء عند الحديث وترك المماراة فيه وأن يدعوه بأحب أسمائه اليه وأن يثني عليه بما يعرف من محاسنه وأن يشكره على صنيعه في حقه وأن يذب عنه في غيبته اذا تعرض لعرضه كما يذب عن نفسه وان ينصحه باللطف والتعريض اذا احتاج اليه

وقال الشافعي رضي الله عنه من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه (و) السادس (أن يعفو عن زلته وهفوته) في دينه بارتكاب معصية أو في حقه بتقصيره في الاخوة ولو مع القدرة على الانتقام منه اذ هو أعظم في الاجر (ولا يعتب) أي لا يلوم (عليه) بسخط أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية أو الاصرار عليها فعليك التلطف في نصحه مما يعيد الى الصلاح وأما زلته في حقه فلا خلاف في أن الاولى العفو والاحتمال فقد قيل ينبغي أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذرا فان لم يقبله قلبك فرد اللوم على نفسك فتقول لقلبك ما أقساك يعتذر اليك سبعين عذرا فلا تقبله فانت المعيب لا أخوك فان ظهر بحيث لم يقبل التحسين فينبغي أن لا تغضب ان قدرت ولكن ذلك لا يمكن وقد قال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان فلا تكونن حمارا ولا شيطانا واسترض قلبك بنفسك نيابة عن أخيك واحترز أن تكون شيطانا ان لم تقبل (و) السابع (أن يدعو له في خلوته في حياته وبعد مماته) بكل ما يحبه لنفسه ولاهله فتدعو له كما تدعو لنفسك ولا تفرق بين نفسك وبينه فان دعاءك له دعاء لنفسك على التحقيق فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل لاخيه في ظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك وفي لفظ آخر يقول الله تعالى بك أبدأ وفي الحديث يستجاب للرجل في أخيه ما لا يستجاب له في نفسه وفي الحديث دعوة الرجل لاخيه في ظهر الغيب لا ترد (و) الثامن (أن يحسن الوفاء) وهو الثبات على الحب وادامته الى الموت (مع أهله) أي أولاده (وأقاربه) أي أصدقائه (بعد موته) كالذي قبله فان الحب انما يراد للآخرة فان انقطع بعد الموت حبط العمل وضاع السعي (و) التاسع (أن يؤثر) أي يختار (التخفيف عنه فلا يكلفه شيأ من حاجاته) أي لا يكلف أخاه ما يشق عليه (فيروح سره) أي قلبه كما في نسخة (من مهماته) أي أموره الشديدة فلا يستمد منه من جاه ومال دفعا للسآمة المقتضية للتنافر ولا يكلفه التواضع له بل لا يقصد بمحبته الا الله تعالى تبركا بدعائه واستئناسا بلقائه واستعانته به على دينه وتقربا الى الله تعالى بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته (وان يظهر الفرح بجميع ما يرتاح) أي ينشط (له من مساره) جمع مسرة بمعنى فرح (و) يظهر (الحزن) بفتحتين مصدر قياسي أو بضم فسكون اسم مصدر (على ما يناله من مكارهه وان يضمر في قلبه مثل ما يظهره فيكون صادقا في وده) بفتح الواو وضمها وكسرها أي محبته (سرا وعلانية) فان الاخلاص في الاخاء استواء الغيب والشهادة واللسان والقلب والسر والعلانية والجماعة والخلوة ومن لم يكن مخلصا في اخائه فهو منافق في الصحبة ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطاع أولى من المؤاخاة قال بعض الحكماء ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد واذا أراد شخص أن يعرف محبة صاحبه له فلينظر محبته له كما قال بعضهم من بحر الطويل

سلوا عن مودات الرجال قلوبكم * فتلك شهود لم تكن تقبل الرشا
ولا تسألوا عنها العيون لانها * تشير لشئ ضد ما أضمر الحشا

(و) العاشر (أن يبدأه بالسلام عند اقباله) وفي نسخة اذا لقيه وكذا يفعل لمن لا يعرفه (وأن يوسع له في المجلس) قال عمر رضي الله تعالى عنه ثلاث يصفين لك ود أخيك أن تسلم عليه واذا لقيته أولا وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه اليه (و) الحادي عشر أن (يخرج له من مكانه وأن يشيعه) بتشديد الياء أي يتبعه (عند قيامه) اكراما له الا أن يمنعه (و) الثاني عشر (أن يصمت عند كلامه حتى يفرغ من كلامه ويترك المداخلة في كلامه) وأن يجيبه اذا دعاه ولو الى كراع وأن يعوده ولو مرة اذا مرض أو رمد ويشهد جنازته اذا مات وان لم يصل عليه حيث صلى عليه غيره ويبر قسمه اذا أقسم عليه في مباح (وعلى الجملة) أي أقول قولا على الجملة (فيعامله بما يحب أن يعامل به) من طاعة ومباح وقول وفعل فان ذلك من كمال الايمان وكان سهل بن عبد الله يقول من كف أذاه عن الخلق مشى على الماء أي عند ارادة اظهار كرامته للحاجة اذ قد يجب على الولي اخفاء الكرامة الاولوية الا لحاجة كما نقله الرملي عن الشيخ خليل (فمن لا يحب لاخيه مثل ما يحب لنفسه فأخوته نفاق وهي) أي الاخوة (عليه وبال) أي ثقل (في الدنيا والآخرة) وحق الصحبة ثقيل لا يطيقه الا محقق ولا شك أن أجره جزيل لا يناله الا موفق ولذلك قال عليه السلام أبا هر أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمنا (فهذا) أي المذكور كله (أدبك في حق العوام المجهولين) أي الذين لا تعرفهم (وفي حق الاصدقاء المؤاخين) أي العاقدين عقد الاخوة (وأما القسم الثالث وهم المعارف)

وان يعفو عن زلته وهفوته ولا يعتب عليه وان يدعو له في خلوته في حياته وبعد مماته وان يحسن الوفا مع أهله وأقاربه بعد موته وان يؤثر التخفيف عنه فلا يكلفه شيأ من حاجاته فيروح سره من مهماته وأن يظهر الفرح بجميع ما يرتاح له من مساره والحزن على ما يناله من مكارهه وان يضمر في قلبه مثل ما يظهره فيكون صادقا في وده سرا وعلانية وأن يبدأه بالسلام عند اقباله وان يوسع له في المجلس ويخرج له من مكانه وان يشيعه عند قيامه وان يصمت عند كلامه حتى يفرغ من كلامه ويترك المداخلة في كلامه وعلى الجملة فيعامله بما يحب أن يعامل به فمن لا يحب لاخيه مثل ما يحب لنفسه فاخوته نفاق وهي عليه وبال في الدنيا والآخرة فهذا أدبك في حق العوام المجهولين وفي حق الاصدقاء المؤاخين وأما القسم الثالث وهم المعارف

أي غير الاصدقاء (فاحذرمنهم فانك لاترى) أي لاتجد (الشر الامن تعرفه أما الصديق) وهو الصادق في المودة (فيعينك) في شأنك (وأما المجهول فلا يتعرض لك) بشيء (وانما الشر كله) حاصل (من المعارف الذين يظهرون الصداقة بألسنتهم) ويخفون العداوة في بواطنهم (فاقلل من المعارف ماقدرت فاذا بليت بهم) أي بالمخالطة معهم (في مدرسة) للعلماء وهو محل درس العلوم (أومسجد) وهو محل اقامة الجمعة (اوسوق أوبلد فيجب عليك ان لا تستصغر) أي تستحقر (منهم أحدا) ولو أقل الخلق صورة (فانك لاتدري لعله خيرمنك) عندالله تعالى وفي الحديث بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه (ولاتنظر اليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فتهلك) بسبب حبك الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم من تواضع لغني لغناه ذهب ثلثا دينه (لان الدنيا صغيرة) أي حقيرة (عندالله تعالى صغير مافيها) لان الله تعالى لم ينظر اليها منذ خلقها (ومهما عظم أهل الدنيا في قلبك فقد سقطت من عين الله تعالى) أي عين المحبة لان الدنيا عدو لله تعالى ولاوليائه وفي الحديث حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل (واياك) أي احذر (ان تبذل لهم) أي تعطيهم (دينك لتنال به) أي ببذل الدين (من دنياهم) فذلك خسران عظيم (فلا يفعل ذلك احد الاصغر في أعينهم ثم حرم) أي منع (ماعندهم) من الاموال كما هو المشاهد بين الناس قوله فلا يفعل الفاء للتعليل (وان عادوك فلا تقابلهم بالعداوة فانك) الفاء للتعليل أي لانك (لاتطيق الصبر على مكافأتهم) أي مساواتهم في العداوة (فيذهب دينك في عداوتهم) وفي نسخة فيهم (ويطول عناؤك) أي تعبك ومشقتك (معهم) بالمقابلة (ولاتسكن) اي لاتمل بقلبك (اليهم في حال اكرامهم اياك) بالمال والفعل والقول (وثنائهم عليك في وجهك) وفي غيبتك (واظهارهم المودة) اي المحبة (لك) بالقول وباتيان ماتحبه (فانك ان طلبت حقيقة ذلك) اي المذكور من الاكرام والثناء والمودة (لم تجد في المائة) من الاشخاص (واحدا) قال بعضهم من بحر الكامل المجزوء

خذ من خليلك ماصفا * ودع الذي فيه الكدر
فالعمر أقصر من معا * تبة الخليل على الغير

(ولا تطمع) اي لاتأمل (ان يكونوا لك في السر والعلن واحدا) على حال واحدة من الثناء ونحوه (ولا تتعجب ان ثلبوك) اي عابوك (في الغيبة) وفي بعض النسخ في غيبتك (ولاتغضب منه) لاجل ذلك (فانك ان أنصفت) اي عاملت بالعدل (وجدت من نفسك مثل ذلك) اي مثل فعل أخيك (حتى) انك قد فعلت مثل ذلك (في أصدقائك وأقاربك بل في استاذك ووالديك فانك تذكرهم في الغيبة) اي في غيبتهم (بما لاتشافههم) اي لاتخاطبهم من فيك الى فيهم (به واقطع طمعك عن مالهم وجاههم ومعونتهم) بأبدانهم (فان الطامع في الاكثر) أي الغالب (خائب) اي غير نائل لما يطلبه (في المآل) اي عاقبة أمره (وهو) اي الطامع (ذليل لامحالة) بفتح الميم اي لابد (في الحال) اي في ذلك الوقت كما قال بعضهم من بحر الكامل المضمر في الاكثر المجزوء

العبد حر ان قنع * والحر عبد ان قنع
فاقنع ولا تقنع فما * شيء يشين سوى الطمع

الماضي الاول مكسور عينه والثاني مفتوحه وفعل الامر والنهي مفتوحة عين كلتيهما الا ان قنع يقنع بفتح العين في الماضي والمضارع هو بمعنى سأل وتذلل ومصدره قنوعا وان قنع يقنع بكسر العين الماضي وفتحها في المضارع هو بمعنى رضي بالقسم ومصدره قنعا وقناعة قال لبيد من بحر الطويل

فمنهم سعيد آخذ بنصيبه * ومنهم شقي بالمعيشة قانع

(واذا سألت واحدا) من الناس (حاجة فقضاها فاشكر الله تعالى) على قضاء حاجتك (واشكره) فانه لايكمل الشكر لله تعالى الامع الشكر للوسيلة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله تعالى أي شكرا كاملا وقال أيضا من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا على مكافأته فادعوا له وقال أيضا من أسدى الى قوم نعمة فلم يشكروها فدعا عليهم استجيب له (وان قصر) أي الواحد في حقك (فلا تعاتبه قال) أبو سليمان الداراني لاحمد بن أبي الحواري اذا واخيت أخا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ماتكرهه فانك لاتأمن من أن ترى في جوابك ماهو شر من الاول قال أحمد فجربته فوجدته كذلك وقال بعضهم الصبر على مضض الاخ خير من معاتبته والمعاتبة خير من القطيعة والقطيعة خير من الوقيعة (ولاتشكه) أي لاتخبر الناس بسوء فعله بك (فتصير عداوة) له (وكن كالمؤمن يطلب المعاذير) جمع معذرة (ولاتكن كالمنافق يطلب العيوب وقل) في نفسك اذا اقصر صاحبك (لعله قصر في حق

الصداقة بألسنتهم فاقلل من المعارف ماقدرت فاذا بليت بهم في مدرسة أومسجد أو جامع أو سوق أوبلد فيجب أن لاتستصغر منهم أحدا فانك لاتدري لعله خيرمنك ولاتنظر اليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم فتهلك لان الدنيا صغيرة عندالله تعالى صغير مافيها ومهما عظم أهل الدنيا في قلبك فقد سقطت من عين الله تعالى واياك أن تبذل لهم دينك لتنال به من دنياهم فلا يفعل ذلك أحد الاصغر في أعينهم ثم حرم ماعندهم وان عادوك فلاتقابلهم بالعداوة فانك لاتطيق الصبر على مكافأتهم فيذهب دينك في عداوتهم ويطول عناؤك معهم ولا تسكن اليهم في حال اكرامهم اياك وثنائهم عليك في وجهك واظهارهم المودة لك فانك ان طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة واحدا ولا تطمع أن يكونوا لك في السر والعلن واحدا ولا تتعجب ان ثلبوك في غيبتك ولاتغضب منه فانك ان أنصفت وجدت من نفسك مثل ذلك حتى في أصدقائك وأقاربك بل في أستاذك ووالديك فانك تذكرهم في الغيبة بما لاتشافههم به فاقطع طمعك عن مالهم وجاههم ومعونتهم فان الطامع في الاكثر خائب في المآل وهو ذليل لامحالة في الحال واذا سألت واحدا حاجة فقضاها فاشكر الله تعالى

واشكره وان قصر فلاتعاتبه ولاتشكه فتصير عداوة وكن كالمؤمن يطلب المعاذير ولاتكن كالمنافق يطلب العيوب وقل لعله قصر (لعذر

لعذر له لم أطلع عليه ولا تعظن أحدا منهم مالم تتوسم فيه أولا مخايل القبول والالم يستمع منك وصار خصما عليك فاذا أخطؤا فى مسئلة

(العذر له لم أطلع عليه) أى العذر (ولا تعظن أحدا منهم) أى المعارف مالم (تتوسم) اى تنظر بقلبك (فيه) اى الاحد (أولا) اى قبل الوعظ (مخايل القبول) اى دلائله (والا) يكن الامر كذلك بأن تعظه قبل ثبوت دلائل القبول (لم يستمع) أى الاحد (منك) أى سماع قبول (وصار خصما عليك فاذا أخطؤا فى مسئلة وكانوا يأنفون) اى يستنكفون ويمتنعون (من التعلم) اى الاستفادة (منك) وفى نسخة من كل أحد (فلا تعلمهم لانهم يستفيدون منك علما ويصبحون) أى يصيرون (لك أعداء الا اذا تعلق ذلك) اى الخطأ فى المسئلة (بمعصية يقارفونها) اى المعصية أى يفعلونها وفى نسخة يأتونها (عن جهل منهم فاذكر الحق) وجوبا (بلطف من غير عنف واذا رأيت منهم) اى المعارف (كرامة وخيرا) اى اكراما واحسانا بقول وأفعال (فاشكر الله الذى حببك اليهم) اى صيرك محبوبا عندهم (واذا رأيت منهم شرا) فى الاقوال والافعال (فكلهم) أى فوض وسلم أمورهم (الى الله تعالى) واكتف به تعالى (واستعذ) أى اعتصم (بالله من شرهم ولا تعاتبهم) العتاب فى السر خير من القطيعة والتعريض به خير من التصريح والمكاتبة خير من المشافهة والاحتمال خير من الكل (ولا تقل لهم لم تعرفوا حق وأنا فلان بن فلان وأنا الفاضل فى العلوم فان ذلك) أى القول (من كلام الحمق) اى الذين قلت عقولهم (وأشد الناس) أى أعظمهم (حماقة) أى فسادا فى العقل (من يزكى نفسه) أى يمدحها فى كثرة خيراته (ويثنى عليها) بكثرة العلم وبالانتساب الى الفضلاء والعلماء (واعلم أن الله تعالى لا يسلطهم) أى لا يجعلهم قاهرين (عليك) بذلك الشر (الا لذنب سبق منك) ولو بعد سنين (فاستغفر الله من ذنبك) كل وقت وفى رواية ابن حبان ان كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى المجلس الواحد رب اغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم مائة وقال الشاذلى رحمه الله تعالى وعليك بالاستغفار وان لم يكن هناك ذنب (واعلم أن ذلك) أى الشر الذى جاءك منهم (عقوبة من الله تعالى) لك فى الدنيا (وكن فيما بينهم سميعا لحقهم) اى لكلامهم الحق (أصم عن باطلهم) بأن لا تذيعه بين الناس اما أن تنصحهم بطريق اللطف واما أن تهمله مرة واحدة (نطوقا بمحاسنهم) بأن تشيعها بين الناس مع اظهار الفرح بها (صموتا عن مساويهم) أى معايبهم ومعاصيهم سترا لهم فرحم الله امرأ رأى سيئة لاخيه فسترها (واحذر مخالطة متفقهة الزمان لاسيما المشتغلين بالخلاف) أى بعلم الخلاف بين العلماء (والجدال) أى العلم المؤدى الى المجادلة (واحذر منهم فانهم يتربصون) أى ينتظرون (بك لحسدهم ريب المنون) أى حوادث الدهر (ويقطعون عليك) فى كل شئ (بالظنون) أى انهم يعملون ظنونهم السيئة وان أكثر الظنون ميون (ويتغامزون) أى يشيرون (وراءك بالعيون) مستهزئين بك (ويحصون) بضم الياء والصاد أى يعدون (عليك عثراتك) أى زلاتك (فى عشرتهم) بكسر فسكون أى فى وقت مخالطتهم بعضهم مع بعض (حتى يجبهوك) بتشديد الموحدة بعد الجيم أو بسكون الجيم وفتح الموحدة (بها) أى حتى يستقبلوك بتلك العثرات كأنهم ضربوك بحجر فى جبهتك (فى حال) أى وقت (غيظهم) أى غضبهم المحيط بالكبد عليك (ومناظرتهم) أى مجادلتهم معك (لا يقيلون) أى لا يرفعون (لك عثرة) أى سقطة (ولا يغفرون لك زلة) أى خطأ فى منطقك وفعالك (ولا يسترون لك) وفى نسخة عليك (عورة) أى عيبا (يحاسبونك على النقير والقطمير) وهذا كناية عن أدنى الاشياء فكيف بما فوقه والاشياء التى يضرب بها المثل فى القلة أربعة النقير وهو النكتة التى فى ظهر النواة والقطمير وهو القشرة الرقيقة التى بين النواة والتمر والفتيل وهو ما يكون فى شق النواة والزرقوق وهو ما بين القمع والنواة (ويحسدونك على القليل والكثير) من النعمة (ويحرضون) أى يحثون (عليك الاخوان بالنميمة) أى السعى بالحديث لايقاع فتنة أو وحشة وفى الحديث لا يدخل الجنة قتات أى نمام (والبلاغات) بفتح الباء ثم باللام أى الوشايات وهو الكلام الكذب أو السعى بالكلام عند نحو السلطان (والبهتان) أى بالقول عليك بما لم تفعله (ان رضوا) عنك (فظاهرهم الملق) أى اللطف الشديد (وان سخطوا) عليك (فباطنهم الحنق) بالحاء المهملة والنون المفتوحتين ثم القاف أى الغيظ (ظاهرهم ثياب) تنتفع بها (وباطنهم ذئاب) تهلكك (هذا) أى المذكور حكم (ما قطعت) أى جاوزت (به المشاهدة) أى المعاينة (على أكثرهم الا من عصمه الله تعالى) أى وقاه فلا يتصف بهذه الصفة الرذيلة (فصحبتهم) أى هؤلاء الموصوفين بما ذكر (خسران) أى هلاك فى دينه ودنياه (ومعاشرتهم) أى مخالطتهم (خذلان) أى عدم

وكانوا يأنفون من التعلم منك فلا تعلمهم فانهم يستفيدون منك علما ويصبحون لك أعداء الا اذا تعلق ذلك بمعصية يقارفونها عن جهل منهم فاذكر الحق بلطف من غير عنف واذا رأيت منهم كرامة وخيرا فاشكر الله الذى حببك اليهم واذا رأيت منهم شرا فكلهم الى الله تعالى واستعذ بالله من شرهم ولا تعاتبهم ولا تقل لهم لم تعرفوا حق وأنا فلان بن فلان وأنا الفاضل فى العلوم فان ذلك من كلام الحمق وأشد الناس حماقة من يزكى نفسه ويثنى عليها واعلم ان الله تعالى لا يسلطهم عليك الا لذنب سبق منك فاستغفر الله من ذنبك واعلم أن ذلك عقوبة من الله تعالى وكن فيما بينهم سميعا لحقهم أصم عن باطلهم نطوقا بمحاسنهم صموتا عن مساويهم واحذر مخالطة متفقهة الزمان لاسيما المشتغلين بالخلاف والجدال واحذر منهم فانهم يتربصون بك لحسدهم ريب المنون ويقطعون عليك بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون ويحصون عليك عثراتك فى عشرتهم حتى يجبهوك بها فى حال غيظهم ومناظرتهم لا يقيلون لك عثرة ولا يغفرون لك زلة ولا يسترون لك عورة يحاسبونك على النقير والقطمير ويحسدونك على القليل والكثير ويحرضون عليك الاخوان بالنميمة والبلاغات والبهتان ان رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب هذا ما قطعت به المشاهدة على أكثرهم الا من عصمه الله تعالى فصحبتهم خسران ومعاشرتهم خذلان

هذا حكم من يظهر لك الصداقة فكيف من يجاهرك بالعداوة قال القاضي ابن معروف رحمه الله تعالى فاحذر عدوك مرة *

واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديـ
ـق فكان أعرف بالمضره
وكذلك قال ابن تمام
عدوك من صديقك مستفاد
فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء أكثر ما تراه
يكون من الطعام أو الشراب
وكن كما قال هلال بن العلاء الرقي
لما عفوت ولم أحقد على أحد
أرحت نفسي من هم العداوات
اني أحيي عدوي عند رؤيته
لادفع الشر عني بالتحيات
وأظهر البشر للانسان أبغضه
كأنه قد ملا قلبي مسرات
ولست أسلم ممن لست أعرفه
فكيف أسلم من أهل المودات
الناس داء دواء الناس تركهم
وفي الجفاء لهم قطع الاخوات
فسالم الناس تسلم من غوائلهم
وكن حريصا على كسب التقيات
وخالق الناس واصبر ما بليت بهم
أصم أبكم أعمى ذا تقيات
وكن أيضا كما قال بعض
الحكماء الق صديقك وعدوك
بوجه الرضا من غير مذلة
لهما ولا هيبة منهما وتوقر من
غير كبر وتواضع من غير مذلة
وكن في جميع أمورك في
أوسطها فكلا طرفي قصد
الامور ذميم كما قيل
عليك بأوساط الامور فانها
طريق الى نهج الصراط قويم
ولا تك فيها مفرطا أو مفرطا
فان كلا حال الامور ذميم
ولا تنظر في عطفيك ولا
تكثر الالتفات الى ورائك
ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك أصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل

حصول النصرة (هذا) أي المذكور (حكم من يظهر لك الصداقة) بلسانه (فكيف من يجاهرك بالعداوة قال القاضي ابن معروف) نظما من الكامل المجزوء المرفل في الضرب
(فاحذر عدوك مرة * واحذر صديقك ألف مره فلربما انقلب الصديـ * ـق فكان أعرف بالمضره)
(وكذلك قال ابن تمام) في معنى ذلك وفي نسخة ابو تمام نظما من بحر الوافر
(عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب فان الداء اكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب)
وكان ابو سعيد الثوري يقول اذا أردت أن تؤاخي رجلا فأغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك فان قال خيرا وكتم سرك فاصحبه وقال ذو النون لا خير في صحبة من لا يحب أن يراك الا معصوما ومن أفشى السر عند الغضب فهو اللئيم وقد قال بعض الحكماء لا تصحب من يتغير عند أربع عند غضبه ورضاه وعند طمعه وهواه بل ينبغي أن يكون صدق الاخوة ثابتا على اختلاف الاحوال كما قال بعضهم من بحر الكامل
وترى الكريم اذا تصرم وصله * يخفي القبيح ويظهر الاحسانا * وترى اللئيم اذا تقضى وصله * يخفي الجميل ويظهر البهتانا (وكن) أيها الطالب للخير (كما قال هلال بن العلاء الرقي) نظما من بحر البسيط والرقة اسم موضع (لما عفوت ولم احقد على أحد * أرحت نفسي من هم العداوات اني أحيي عدوي عند رؤيته * لادفع الشر عني بالتحيات) أي من السلام والبشر والتبسم والمجروران والظرف متعلقان بأحيي ويحسن أن يتعلق المجرور الاخير بأدفع وفي نسخة حين أنظره بدل عند رؤيته
(وأظهر البشر للانسان أبغضه * كأنه قد ملا قلبي مسرات ولست أسلم ممن لست أعرفه * فكيف أسلم من أهل المودات) البشر بكسر الباء هو طلاقة الوجه وفي نسخة وأحسن البشر
(الناس داء دواء الناس تركهم * وفي الجفاء لهم قطع الاخوات فسالم الناس تسلم من غوائلهم * وكن حريصا على كسب التقيات) وفي نسخة على كسب المودات والمراد بقوله تركهم عدم تغييرهم عن حالهم وليس المراد به اجتنابهم بدليل قوله وفي الجفاء الى آخره أي وفي الاعراض عنهم بالكلية قطع الاخوات وقوله تركهم بضم الميم للوزن وقوله من غوائلهم أي شرورهم (وخالق الناس واصبر ما بليت بهم * أصم أبكم أعمى ذا تقيات) قوله وخالق الناس أي كن معهم موافقا في أحوالهم كما قيل خالطوا الناس بأبدانكم وزايلوهم بقلوبكم وفي نسخة فخالط الناس وفي نسخة ما بقيت بهم وقوله أصم أبكم أعمى ذا تقيات كل منها حال من فاعل خالق أو خالطوا وأشار هلال بهذه الابيات السبعة الى أن شأن الناس صعب جدا كما قال الشافعي نظما من البسيط الناس داء دفين لا دواء لهم * تحير العقل منهم فهو مندهل ان كنت منبسطا سموك مسخرة * أو كنت منقبضا قالوا به ثقل وان تخالطهم قالوا به طمع * وان تجانبهم قالوا به ملل وان تعففت عن أموالهم كرما * قالوا غني وان تسألهم بخلوا اني تحيرت في أمري وأمرهم * شبه النعامة لا طير ولا جمل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط وجه وحسن خلق (وكن) أيها المريد للخير (أيضا) ملازما لآداب المعيشة والمجالسة مع أصناف الخلق وهي (كما قال بعض الحكماء) وهم من عندهم علم وحكمة (الق صديقك وعدوك بوجه الرضا) اي بوجه دال على الرضا وهو طلق الوجه (من غير مذلة لهما ولا هيبة) أي خوف (منهما وتوقر) أي كن حليما عند اللقاء (من غير كبر وتواضع) عند اللقاء (من غير مذلة وكن في جميع أمورك في أوسطها فكلا طرفي قصد الامور) أي وسطها (ذميم) أي مذموم عند الله وعند الناس (كما قيل) من بحر الطويل (عليك بأوساط الامور فانها * طريق الى نهج الصراط قويم ولا تك فيها مفرطا أو مفرطا * فان كلا حال الامور ذميم) ومعنى مفرطا بسكون الفاء اي مسرفا مجاوزا الحد ومفرط بتشديد الراء أي مقصرا او ناقصا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الامور أوساطها (ولا تنظر) على سبيل الاعجاب (في عطفيك) بكسر العين أي جانبيك يمينا وشمالا بان تنظر بألحاظ عينيك (ولا تكثر الالتفات الى ورائك) وفي نسخة اذا مشيت بدل ورائك (ولا تقف على الجماعات) أي الجالسين اذا مشيت من غير حاجة دينية أو دنيوية (واذا جلست) مع الناس (فلا تستوفز) أي فلا ترفع رجليك غير مطمئن (وتحفظ من تشبيك أصابعك) أي ادخال بعضها في بعض فانه يورث النعاس وانه من الشيطان (و) من (العبث) بفتح العين والباء أي اللعب (بلحيتك وخاتمك) بفتح التاء (و) من (تخليل

اسنانك

أسنانك وادخال اصبعك فى أنفك و) من (كثرة بصاقك) بالصاد وقد يبدل بالزاى واذا بصقت فابصق فى جهة يسارك (وتنخمك) أى رمى نخامتك وهى مايخرج من الحلق من مخرج الخاء المعجمة ومايخرج من الخيشوم عند التنخخ (و) من (طرد الذباب عن وجهك و) من (كثرة التمطى) أى مدّ البدن واليدين (والتثاؤب فى وجوه الناس وفى الصـلاة وغيرها) واذا تثاءبت فغط فمك ظهر يدك اليسرى دفعا للشـيطان لان التثاؤب من الشـيطان (وليكن مجلسك هادئا) أى ساكنا من الاصوات (وحديثك منظوما) أى مجتمعا فى خصلة واحدة (مرتبا واصغ) بفتح الغين أى مل (الى الكلام الحسن ممن حدثك من غير اظهار تعجب مفرط) أى كثير (ولا تسأله) أى من حـدثك (اعادته) أى الحديث الا ان كان فى الاعادة مصلحة (واسكت عن المضاحك) أى الامور المضحكة (والحكايات) أى لا تضحك من ذلك وفى نسخة ولا تستكثر الحكايات (ولا تحدّث عن اعجابك بولدك) ولا بجاريتك (و) لا (شعرك) وهو النظم الموزون وحدّه ماتركب تركيبا متقاصدا او كان مقفى مقصودا به ذلك فما خلا من هـذه القيود أو من بعضها فلا يسمى شـعرا ولا يسمى قائله شاعرا (و) لا (كلامك و) لا (تصنيفك) فى العلوم (وسائر مايخصك ولا تتصنع) أى لا تتكلف لاجل الناس حسن هيئة أهل الخير (تصنع المرأة فى التزين ولا تتبذل) أى لا تمتهن فى الثياب (تبذل العبد وتوق) أى تجنب (كثرة) استعمال (الكحل) والتكحل مطلوب كل ليلة (و) توق (الاسراف) أى الزيادة عن التوسط (فى الدهن) لجميع البدن والتدهين للبدن مطلوب وقتا دون وقت (ولا تلح) اى لا تواظب مقبلا (فى الحاجات) أى فى طلبها من الناس (ولا تشجع) أى لا تغر (أحدا على) اتيان (الظلم) لاحد فمن أعان على معصية كان شريكا فيها (ولا تعلم أحدا من أهلك) أى زوجتك (وولدك فضلا عن غيرهم) أى عدم اعلامك غيرهم أولى بالانتفاء (مقدار ما) ثبت (لك) أى من المرتبة (فانهم ان رأوه) أى المقدار (قليلا هنت) أى حقرت (عليهم وان رأوه كثيرا لم تبلغ قط رضاهم) وجعل ما موصولة أو نكرة موصوفة هو ما عليه شيخنا يوسف السنبلاوينى ويصح أن يكون قوله مالك بكسر اللام مضاف ومضاف اليه كما عليه الشيخ عبد الصمد والضميران اللذان بعده عائدان اليه (واجفهم) أى تباعد عنهم اذا أخطؤا وفى الاحياء وخوفهم (من غير عنف) وهو ضد الرفق (ولن) أى تلطف (لهم من غير ضعف ولا تهازل) أى لا تمازح (أمتك ولا عبدك فيسقط وقارك) أى تعظيمك (من قلوبهم) وفى نسخة فى قلوبهم وفى نسخة فيسقط طولك وكذا بقية الناس ولذا قيل لا تظهر بياض أسنانك للانسان فيظهر لك سواد دبره (واذا خاصمت) مع الناس (فتوقر) أى فكن حليما أو بجل نفسك ليكون الناس تابعين لقولك كذا قاله الشيخ عبد الصمد (وتحفظ) عند المخاصمة (من جهلك) بان تفعل او تقول مايخالف الشرع (وعجلتك) أى اسراعك فى الجواب وفى الغضب وفى الاحياء وتجنب عجلتك (وتفكر فى حجتك) أى فى جوابك (ولا تكثر الاشارة بيدك) أى فى حال المخاصمة (ولا تكثر الالتفات الى من) أى شخص (وراءك ولا تجث) أى لا تجلس (على ركبتيك) أى حال الخصام (واذا هدأ) أى سكن (غضبك فتكلم) بل ينبغى لك أن تسكت حتى تتوضأ (واذا قربك السلطان فكن منه على حد السنان) أى السيف فان استرسل اليك فلا تأمن انقلابه عليك وارفق به رفق الصبى وكلمه بما يشتهيه مالم يكن معصية ولا يحملنك لطفه بك ان تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده فان سقطة الداخل بين الملك وبين اهله سقطة لا تنعش وزلة لا تقال (واياك وصديق العافية) أى احذر تلاقيك والصاحب الذى يصاحبك فى وقت صحتك وغناك ولا يصاحبك حالة مرضك وفقرك (فانه) أى من ذكر (أعدى الاعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك) بكسر العين أى نفسك ومن بلى فى مجلس بمزاح أو لغط فليذكر الله عند قيامه قال النبى صلى الله عليه وسلم من جلس فى مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك وأتوب اليك الا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك (فهذا القدر) أى المذكور فى هذا الكتاب (يافتى) اى يامن يبتدئ فى علم التصوف (يكفيك من بداية الهداية فجرب بها) اى بالبداية (نفسك) أى الامارة واللوامة (فانها) اى تلك البداية (ثلاثة اقسام قسم فى آداب الطاعات) اى الظاهرة والباطنة (وقسم فى ترك المعاصى) كذلك (وقسم فى مخالطة الخلق) كما عرفته أولا (وهى) اى بداية الهداية (جامعة لجمل معاملة العبد مع الخالق) عز وجل (والخلق) وهذا المجموع يسمى تقوى والدين الكامل وهو زاد للآخرة (فان رأيتها) أى بداية الهداية أى وجدتها (مناسبة) أى قريبة (لنفسك ورأيت) أى وجدت

من غير اظهار تعجب مفرط ولا تسأله اعادته واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن اعجابك بولدك وشعرك وكلامك وتصنيفك وسائر مايخصك ولا تتصنع تصنع المرأة فى التزين ولا تتبذل تبذل العبد وتوق كثرة الكحل والاسراف فى الدهن ولا تلح فى الحاجات ولا تشجع أحدا على الظلم ولا تعلم أحدا من أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فانهم ان رأوه قليلا هنت عليه وان رأوه كثيرا لم تبلغ قط رضاهم واجفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولا تهازل امتك ولا عبدك فيسقط وقارك من قلوبهم واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وعجلتك وتفكر فى حجتك ولا تكثر الاشارة بيدك ولا تكثر الالتفات الى من وراءك ولا تجث على ركبتيك واذا هدأ غضبك فتكلم واذا قربك السلطان فكن منه على حد السنان واياك وصديق العافية فانه أعدى الاعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك فهذا القدر يافتى يكفيك من بداية الهداية فجرب بها نفسك فانها ثلاثة أقسام قسم فى آداب الطاعات

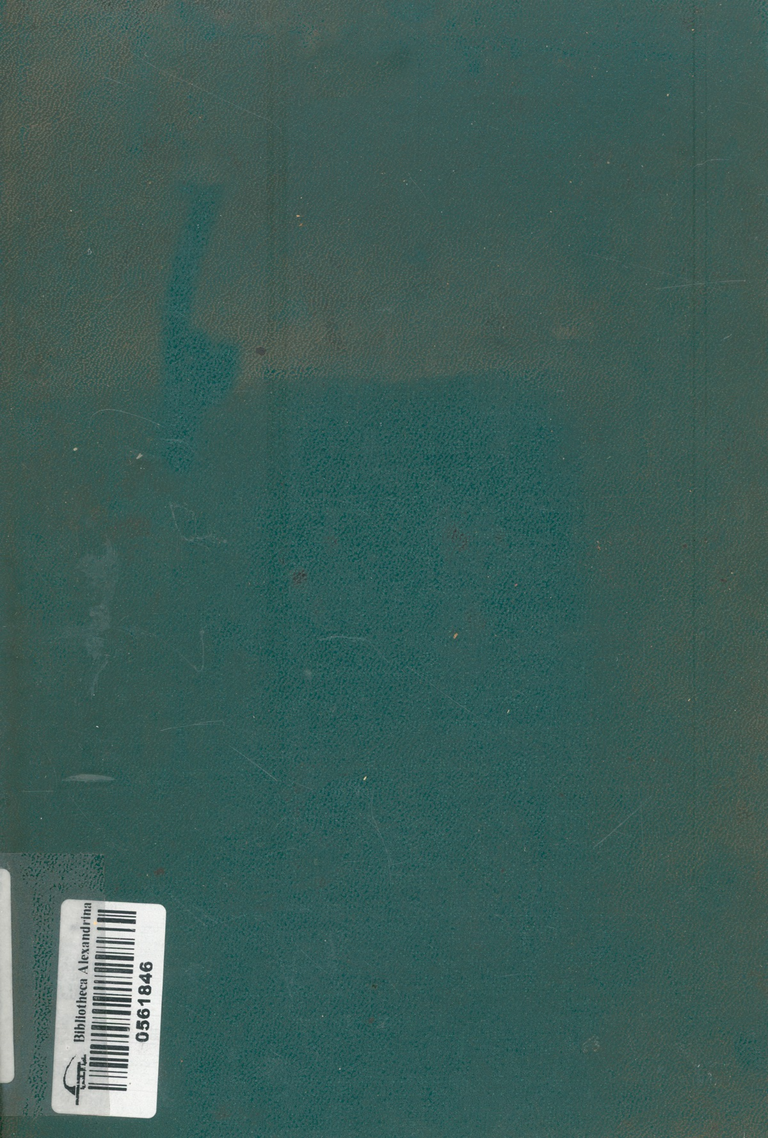
وقسم فى ترك المعاصى وقسم فى مخالطة الخلق وهى جامعة لجمل معاملة العبد مع الخالق والخلق فان رأيتها مناسبة لنفسك ورأيت

(قلبك مائلا اليها) اى البداية (راغبا) أى مريدا (فى العمل بها) أى بمطالبها (فاعلم انك عبد) من عباد الله تعالى (نور الله تعالى بالايمان) الكامل (قلبك) السليم (وشرح) أى كشف (به) اى بالايمان (صدرك) فاشكر الله تعالى الذى هداك الى ذلك واطلب منه تعالى استقامتك (وتحقق) بصيغة الماضى اى ثبت (ان لهذه البداية نهاية) كما علمت أولا (ووراءها) أى النهاية اى بعدها (اسرارا واغوارا) أى دقائق وقد ذكرتهما أولا فى هذا الشرح (وعلوما) باطنية كعلم احوال القلب أما ما يحمد منها فهو الصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والقناعة ومعرفة المنة لله تعالى فى جميع الاحوال وحسن الظن والاخلاص ونحو ذلك وأما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء فى الدنيا للتمتع ونحو ذلك (ومكاشفات) وهى غاية العلوم وهى عبارة عن نور يظهر فى القلب عند تطهيره من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى وبصفاته الباقيات التامات وبأفعاله وبحكمه فى خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا (وقد أودعناها فى كتاب احياء علوم الدين فاشتغل بتحصيله) اى كتاب الاحياء لتكون من أهل الظاهر والباطن معا فقد قيل علماء الظاهر زينة الارض والملك وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت وقال السرى للجنيد جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث وأشار بذلك القول الى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوف أفلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه (وان رأيت) اى وجدت (نفسك تستثقل العمل) اى تعتقد ثقل العمل (بهذه الوظائف) اى الاوراد التى ذكرت فى هذا الكتاب (وتنكر) وفى بعض النسخ وتترك (هذا الفن) اى النوع الذى فى هذا الكتاب (من العلم) اى علم التصوف (وتقول لك نفسك أنى) اى كيف (ينفعك هذا العلم فى محافل العلماء) اى مجامعهم (ومتى) اى فى اى وقت (يقدمك هذا على الاقران) جمع قرين وهو من يعادلك فى أحوالك (والنظراء) جمع نظير وهو من يساويك فى الدرجة (وكيف يرفع) أى هذا العلم (منصبك) أى علوك (فى مجالس الامراء والوزراء وكيف يوصلك الى الصلة) أى العطية منهم (والارزاق) أى المرتبة من عندهم كل شهر أو كل سنة (وولاية الاوقاف والقضاء فاعلم ان الشيطان قد أغواك) أى أضلك (وأنساك منقلبك) بضم الميم وفتح القاف واللام أى مرجعك (ومثواك) أى منزلك وهو الآخرة (فاطلب لك شيطانا مثلك ليعلمك ما) أى علما (تظن انه ينفعك) فى الدنيا (ويوصلك الى بغيتك) بكسر الباء وضمها أى حاجتك (ثم اعلم انه) أى الشأن (قط لا يصفو لك) اى لا يخلص من الاكدار (الملك) أى العز (فى محلتك) أى منزلك (فضلا عن عن قريتك وبلدتك ثم يفوتك الملك المقيم) أى الدائم الذى لا ينعزل (والنعيم الدائم) أى المستمر الذى لا ينفد (فى جوار) بكسر الجيم (رب العالمين) أى فى الجنة مجاورة معنوية (والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا) * قال الشارح * تم تأليفه بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ليلة الاحد ثالث عشر ذى القعدة المعظم سنة ألف ومائتين وتسعة وثمانين على يد المذنب المقصر محمد نووى بن عمر بن عربى بن على عفا الله عنهم آمين

* (يقول خادم تصحيح العلوم بدار الطباعة العامرة ببولاق مصر القاهرة الفقير الى الله تعالى محمد الحسينى اعانه الله على أداء واجبه الكفائى والعينى) * تم طبعه وحسن وضعه بالمطبعة الزاهية الزاهرة ببولاق مصر القاهرة على ذمة ذى الهمة السنية والاخلاق البهية الجناب الامجد الحاج كشميرى فدا محمد وشركاه * فى ظل الحضرة الفخيمة والعواطف الرحيمة حضرة المليك الاكرم والخديوى الاعظم عزيز الديار المصرية وحامى حوزتها النيلية الذى لا زال يمن طلعته هنى الخير على رعيته بفيض وبهمى أفندينا المعظم عباس باشا حلمى أيد الله دولته وقوى شوكته وصولته مشمولا هذا الطبع الجليل والشكل الجميل بنظر من عليه جميل طبعه يثنى حضرة وكيل المطبعة محمد بك حسنى فى أواسط شعبان المعظم سنة ١٣٠٩ تسع وثلثمائة وألف من هجرة سيدنا محمد السيد السند الاعظم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون آمين

* (فهرست كتاب شرح بداية الهداية) *

قلبك مائلا اليها راغبا فى العمل بها فاعلم انك عبد نور الله تعالى بالايمان قلبك وشرح به صدرك وتحقق ان لهذه البداية نهاية وراءها أسرارا وأغوارا وعلوما ومكاشفات وقد أودعناها فى كتاب احياء علوم الدين فاشتغل بتحصيله وان رأيت نفسك تستثقل العمل بهذه الوظائف وتنكر هذا الفن من العلم وتقول لك نفسك أنى ينفعك هذا العلم فى محافل العلماء ومتى يقدمك هذا على الاقران والنظراء وكيف يرفع منصبك فى مجالس الامراء والوزراء وكيف يوصلك الى الصلة والارزاق وولاية الاوقاف والقضاء فاعلم أن الشيطان قد أغواك وأنساك منقلبك ومثواك فاطلب لك شيطانا مثلك ليعلمك ما تظن انه ينفعك ويوصلك الى بغيتك ثم اعلم أنه قط لا يصفو لك الملك فى محلتك فضلا عن قريتك وبلدتك ثم يفوتك الملك المقيم والنعيم الدائم فى جوار رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم


Bibliotheca Alexandrina
0561846